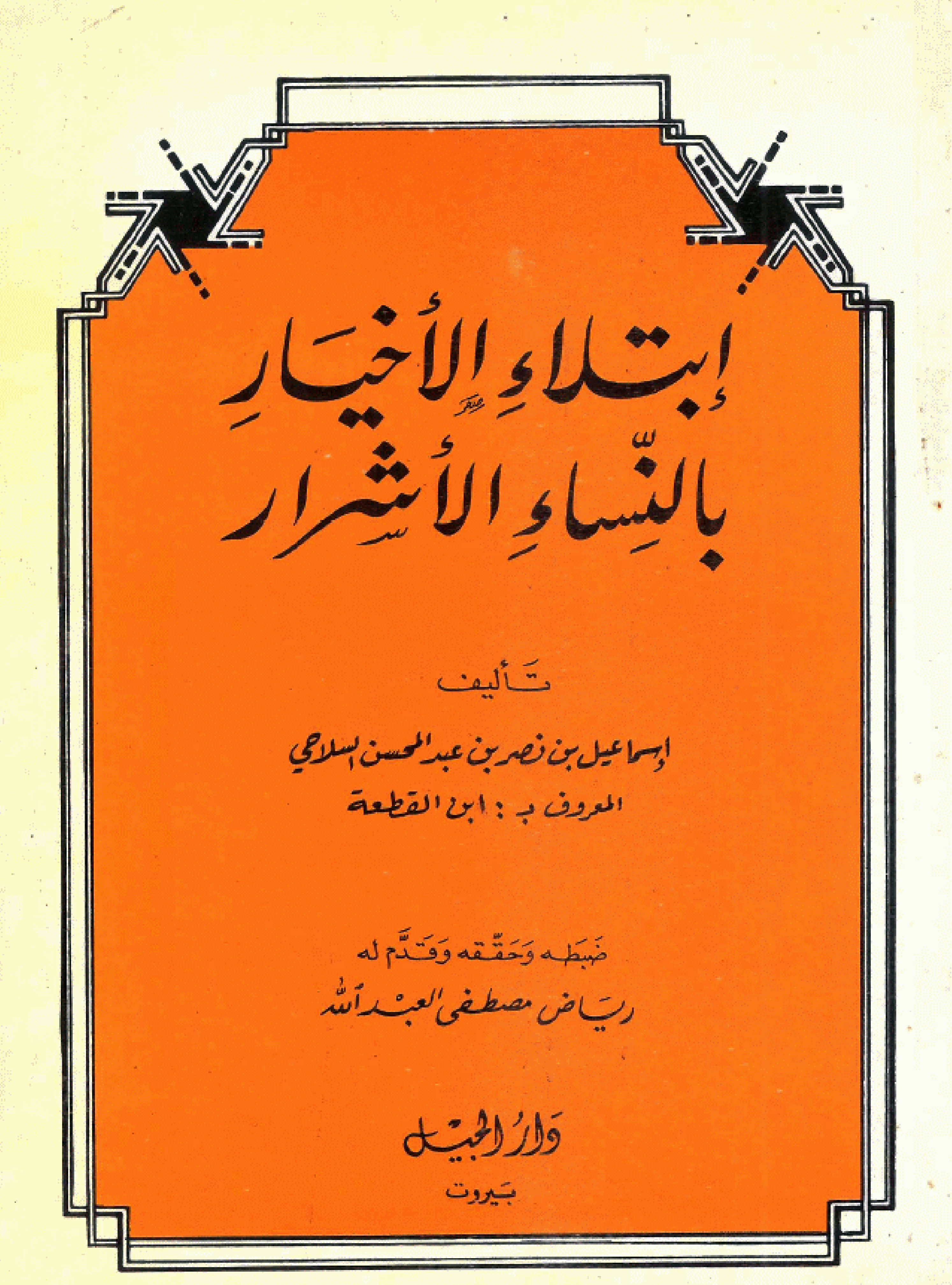


إبتلاءِ الأخيارِ بالنِّساءِ الأشرار

تأليف

إسماعيل بن نصر بن عبد المحسن السلاحي
المعروف بـ : ابن القطعة

ضَبطه وَحَقّقه وَقَدَّم له

رياض مصطفى العبد الله

دار الجيل
بيروت

إبتلاءِ الأخيارِ
بالنِّساءِ الأشرار

ابتلاءِ الأخيارِ بالنِّساءِ الأشرار

تـألـيف

اسماعيل بن نصر بن عبد المحسن السلاحي

المعروف بـ : ابن القطعة

ضَبَطه وَحَقّقه وَقدَّم له

رياض مصطفى العبدالله

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أَنَّ الحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُـرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَـالِنَا، مَنْ يَهْـدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِـلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَـلاَ هَـادِيَ لَـهُ، وَأَشْهَـدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَـدُ أَنَّ مُحَمَّـداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُهُ (١) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّـذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِـهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢) . . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَقُولُـوا قَوْلاً سَـدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُـولَـهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزاً عَظِيماً﴾(٣) . . .

---

(١) رواه أبـو داود برقم (٢١١٨)، والترمذي بـرقم (١١٠٥)، والنسـائي (٣/١٠٥)، من حـديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. . .

(٢) سورة النساء ـ الآية ١ . . .

(٣) سورة الأحزاب ـ الآيتان ٧٠ و ٧١ . .

﴿يَـا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَقَّ تُقَـاتِـهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ﴾[1] . . .

«صدق الله العظيم»

---

(1) سورة آل عمران ـ الآية ١٠٢ . . .

مقدمة المحقق

مما لا شك فيه أن المؤرخين لم يبخلوا في تصانيفهم وتآليفهم عن ذكر النساء وأخبارهن الخاصة والعامة، إذ لا نكاد نجد كتاباً قد جمع أطرافاً من الطرائف، وباقات من الأخبار، إلا وخصَّ من كتابه جزءاً أو فصلاً تحدث فيه عن النساء، سلباً أو إيجاباً، وقد عدّوا الحديث فيه بمثابة محطة ارتياح نفسية فكرية، وموقع لبسمة متوقعة على ثغر كل قارىء. . .

ونجد ذلك في كثير من أمهات الكتب، نذكر منها:

- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. . .
- كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني. . .
- كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري. . .
- كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي. . .

كما نجد أيضاً، أن من المؤرخين من أفرد كتباً خاصة تحدث فيها عن المرأة بشكل عام، في الحب، وفي فلسفة العلاقة الوجدانية، وفي الحلال والحرام، وفي الشعر والأدب. . . وغير ذلك. . .

ونحن إذ نقدم لك أيها القارئ الكريم كتاباً مغموراً، كان من المحتمل أن يمكث بين المخطوطات إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى،

لولا أن شاء تعالى أن يقع بين يدي، وقد سمّاه مؤلفه: «**ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار**».. حيث ضم بين دفتيه عشرات من القصص الطريفة التي تحكي عن شر المرأة ودهائها وكيدها، والوسائل التي اتبعتها لإيقاع الرجل باحبلها، أو للوصول به إلى مكمن غايتها...

وبالطبع.. إن ما أورده المؤلف في هذا الكتاب هو عبارة عن قصص وحكايات قد انتقاها من كتب التاريخ بشكل عام وخاص، لذلك.. قد نجد في هذه القصة أو تلك الحكاية مبالغة أو تقصيراً أو أوهاماً والتباسات، وتحديداً: إن المؤلف قد قيد في كتابه هذا قصص وحكايات انتقاها من أمهات الكتب، وأن تلك الكتب فيها الغث وفيها السمين، والمؤلف لم يبين أو يعلل في ذلك الأمر شيئاً، وإنما قيد القصص والحكايات كما هي، ثم استشهد عليها بآيات كريمة، وبأحاديث نبوية شريفة إن لزم الأمر، وهو في كل ذلك لم يكتب شيئاً من عنده، بل إن غاية ما قام به أنه جمع النقول والروايات، فاختصرها وهذبها، واستشهد عليها، وقيدها بذكاء رائع وعرض بارع...

وأما المؤلف فليس لدينا أي نص تاريخي نرجع فيه وإليه عن حياة المؤلف غير هذا الكتاب، فهو: إسماعيل بن نصر بن عبد المحسن السلاحي، والمعروف بـ: ابن القطعة... وأما النسخة المخطوطة التي وقعت بين يدي، فهي بخط: محمد بن أحمد، والمؤرخة في شهر شوال من سنة (١٠١٧ هـ)، وحفظت في نوبة: محمد بن محمد بن الحاج علي العطار، والمؤرخة في شهر ربيع الثاني من سنة (١١٣٨ هـ)، ومن ثم.. فقد نظر فيها وتأمل معانيها: عثمان بن محمد الندي الحسني، والمؤرخة في شهر ذي الحجة في سنة (١٢٥٣ هـ)...

تقع هذه المخطوطة في (١٥٢) ورقة مزدوجة، محفوظة في دار

الكتب الظاهرية الأهلية بـدمشق تحت رقم (٤١٨٨).. وهي من القطع الكبير قياس (١٧ × ٢٤ سم) وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحـة من (١٧) إلى (٢٠) سـطراً، منسـوخـة بخط لا يخـلو من الـعيـوب الظاهرة... وعلى هذا الأساس، فقد آليت على نفسي ضبط الكتاب، وتحقيقه، وشرح غموضه، وذلك يقيناً مني أن هذا الكتاب سيلقى رحابة صدر لدى الخاصة والعامة، ولن يقتصر على الباحثين والمحققين، بل إنـه سيرد كـل مكتبة، وكـل منزل بشكـل عام... وحسبي أخيـراً، أني أوجدت هذا الكتاب النفيس في ثوب جديد، وأنـه لمن دواعي سروري أن ألتقط القلم لأجدد ما ألفه المؤرخون الأوائل، سائلاً المولى عز وجل أن يهدي بهذا الكتاب وينفع...

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد...

رياض



ملاحظة

أيها القارىء الكريم، إن العناوين الرئيسية والفرعية قد تم إثباتها من المحقق وذلك كما يقتضي السياق ولإتمام المعنى العام، كما أن هناك الكثير من الكلمات قد أُعيدت إلى الصواب دون التنبيه عنها، حيث إن الناسخ لله دره قد سها عن أغلاط فاحشة أحياناً، لذلك مما اضطرنا أن نرجع لأكثر من مصدر لبيان الصواب فيها، والله سبحانه وتعالى الموفق والمستعان. . .

كتاب ابتلاء الأخيار
بالنساء الأشرار تأليف الشيخ الإمام
الأوحد اسمعيل بن نصر بن
عبد المحسن السلامي المعروف
بابن القطعه رحمه الله
تعالى بمنه وكرمه
امين

الورقة الأولى من المخطوطة ـ عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله ذي القدرة والتمكين الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين ثم صوره فاحسن صوره ونفخ فيه من روحه وفضله علي كثير من المخلوقين احمده حمدا استوجب به منازل المتقين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ادخرها ليوم يوضع فيه الموازين واشهد ان محمد عبده ورسوله ارسله رحمة للعالمين وختم به انبيايه المرسلين وخصه بافضل الايات والبراهين صلي الله عليه وعلي اله واصحابه الانقيا المنتخبين وعلي ازواجه امهات المومنين صلاة دايمه الي يوم الدين وبعد

بعد فانك سالتني ايدك الله ان انظم لك ابياتا في اعداد المعايب والمثالب في وصف النسا الغالبات لكل غالب فبادرت الي ما اشرت اليه وكنت من احرص الناس عليه فنظمت الي ما وصل اليه خاطري ووقع عليه من الكتب ناظري فكان فيها ما يحتاج الي اظهار كشفه ويترجم عن سيرته ووصفه فاحتجنا الي ذكرت قصيده وقد جعلتها علي وضع الابواب فكل بيت منها لك ترجمه ما يعضد نا علي صحة ماذكرنا فيه ويبرهن عنه من الكتاب العزيز وما نقل من التواريخ وغيرها ثم قلت

الورقة [٢/أ] من المخطوطة

يا من تشد لنفسه ولم يزل يلقه الرايب، اسمع وصية ناصح قد هذبته يد التجارب
واحرص بانك لا تنزل الاسلام من اذا مراقب لا تركنن الى النسا وعدهن من الاجانب
واحذرهن اذا جنين جناية ضرب العقارب واهجرهن ما استطعت
لهن هجر المحارب لا يعجبك ما ترى منهن وانظر في العواقب
يظهرن لي حسن الثنا ولهن في غيري مآرب كم شيبت افعالهن
من النواصي والذوايب فتمن في [illegible] الحقير ما قد ابيه الاقارب
هذا وكم من طيلسان نكسته لنا العمائم واذا سلكن مصاعبا
انت لهن يد الاعاصب من كيدهن تصيبك البلوى وافات
حبايل الشيطان هن له مطيعات الجوانب فرضاهن
وزوجهن فقر وفيهن المضارب ان قل مالك او بلا بعد ادرك
الجنى الشوايب انكرن ما اوليتهن من الكرامة والمواهب
حتى كانك لم تكن ابدا لعشرتهن صاحب وكذاك يكفرن
العشير وهن يكفرن الاطايب فيهن جرع ادما مر الماكل
والمشارب اتراه ثم اخرجهن ومكرهن عن المراتب وتركته
لا يستفيق من المصايب والنوايب وغدا لذا الدنيا حزينا
باكيا منهن تايب ودم لها يبكي ازرق لاجلهن بغير واجب
وسعى به حتى وهن من حمله منه المناكب وكذا لهاروت وماروت
العذاب بهن واصب وكذا ابن نوح اصبح من مصايبهن شايب
منهن التي [illegible] في السفن غرق اليم راكب وعقرن ناقة صالح

الورقة [٢/ب] من المخطوطة

عن ترتب عن التفكر في ضروب الحال وعلى زوال الزنا
فما التفتت إلى شيء من الحيا ولكن فبات بانابته
متواضعين ومتخشعين اماثنا ضمن الله لي الا انه
جعلني اناك وجعله بابك واوهب لي ما حسن
ووافق ما تخيله من هذه الشهرة فعجبت من حسن
احتجاجها وجودة معانيها فما تزيد وهي على تلك الحال

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب في ختام شهر شوال
سنة الف وسبعة عشر على يد الفقير إلى رحمة الله محمد [illegible]
١٠١٧
[illegible] ولوالديه ولمن قرأ فيه ودعا له
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام ورضي الله عن أصحاب رسول الله
أجمعين

الورقة الأخيرة من المخطوطة



مقدمة المؤلف

الحمد لله ذي القدرة والتمكين، الذي أحسن كل شيء خَلَقَهُ، وبدأ خَلْقَ الإنسان من طين، ثم / جعل نَسْلَهُ من سُلالةٍ من ماءٍ مهينٍ، ثم صَوَّرَهُ فأحسن صُوَرَهُ، ونفخ فيه من روحِهِ، وفضله على كثير من المخلوقين[1]، أحمده حمداً استوجب به منازل المتقين... وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم يوضع فيه الموازين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وختم به أنبياءَه المرسلين، وخصه بأفضل الآيات والبراهين...

٢/أ

وصلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه الأتقياء المنتخبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين...

وبعد:

فإنك سألتني ـ أيدك الله ـ أن أنظم لك أبياتاً في إعداد المعايب

---

(١) إشارة إلى الآيات الكريمة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مهينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾ سورة السجدة ـ الآيات ـ ٧ و٨ و٩، وأيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ سورة الإسراء ـ الآية ٧٠...

والمَثَـالِبِ[1]، في وصف النساء الغـالبات لكـل غالب، فبـادرت إلى ما أشرت إليه، وكنت من أحرص الناس عليه، فنظمت إلى مـا وصل إليـه خاطري، ووقع من الكتب عليه ناظري، فكان فيها ما يحتاج إلى إظهار كشفه، ويترجم عن سيـرته ووصفـه، فاحتجنـا أني ذكرت قصيـدة، وقد جعلتها على وضع الأبواب، فكل بيت منها نذكر تحته مـا يعضدنـا على صحـة ما ذكـرت فيه، ويبـرهن عنه من الكتـاب العزيـز، ومـا نقـل من التواريخ وغيرها. . .

(١) المَثَالِب: معايب الأمور ونواقصها. . «لسان العرب ـ مادة: ثَلَبَ». . .

قصيدة

ثم قلت:

١ ـ / يَا مَنْ تُشدُّ لِفَضْلِهِ وَلِبِرِّ نَائِلِهِ الرَّكَائب ٢/ب

٢ ـ اسْمع وَصِيةَ نَاصِحٍ قَدْ هَذَّبَتْهُ يَدُ التَجَارب

٣ ـ وَاحرصْ بِأَنكَ لا تَزَالُ لأمرهِنَّ إذاً مُراقب

٤ ـ لا تركننَّ إلى النِّساءِ وَعدُّهُنَّ مِنَ الأَجَانب

٥ ـ واضربنَ هُنَ إذا جَنَينَ جِنَايةً ضَربَ العَقَارب[1]

٦ ـ وَاهجرْ فَديتكَ مَا استطعتَ لَهُنَّ هَجراً كالمُحَارب[2]

٧ ـ لا يَعْجبنكَ مَا ترى منهُنَّ وَانظر في العواقِب[3]

---

(١) إشارةَ إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿والَّلاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَاكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ سورة النساء ـ الآية ٣٤... وقيل: الضرب يجب أن يكون غير مبرح إن لم يرجعن بالعظة والهجران، وهذا بادىء الأمر، الوعظ، ثم الهجر، ثم الضرب، وقد أخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تستعدي ـ أي: تشتكي ـ زوجها أنه لطمها، فقال ﷺ: «القصاص». فأنزل الله تعالى الآية، فرجعت المرأة بغير قصاص...

(٢) الهجران هو الاعتزال من فراش الزوجة إلى فراش منفرد، حتى تسلك المرأة الدرب القويم...

(٣) إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ سورة يوسف ـ الآية ٢٨، =

٨ ـ يُظْهِرنَّ لي حُسْنَ الثَّنَاءِ وَلَهُنَّ في غَيري مَآرِب

٩ ـ كَمْ شَيّبت أفعَالُهُنَّ مِنَ النَوَاصِي والذْوَائِب[1]

١٠ ـ فَلَهُنَّ في المَكْرِ الخَفي مَنَاقِباً بينَ المَنَاقِب

١١ ـ هَذَا وَكَمْ مِنْ طَيْلَسَانٍ نَكَّسَتْهُ لَنَا العَصَائِب[2]

١٢ ـ وَإِذَا سَلَكْنَ مَصَاعِباً كَانَتْ لَهُنَّ يَدُ الأَعَاصِب[3]

١٣ ـ مِنْ كَيْدِهِنَّ تُصيبُكَ البَلْوى وَآفَاتُ المَصَائِب

١٤ ـ فَحَبَائِلُ الشّيطانِ هُنَّ لَهُ مُطِيعَاتُ الجَوَانِب[4]

١٥ ـ فَرِضَاؤهُنَّ فُرُوجُهنَّ قفرٌ وَفِيهُنَّ المَضَارب

١٦ ـ إنْ قَلَّ مَالُكَ أَو بَدَا بِعذَارِكَ البيض الشَوَائِب[5]

١٧ ـ أَنْكَرنْ مَا أَوْلَيْتَهُنَّ مِنَ الكَرَامَةِ والمَوَاهِب

١٨ ـ حتَّى كَأَنَكَ لَمْ تَكُنْ أَبَداً لِصُحْبَتِهِنَّ صَاحِب

١٩ ـ وَكَذَاكَ يُكْفِرنَ العَشِيرَ وَهُنَّ يُكْفِرنَ الأَطَايِب

٢٠ ـ فِيهِنَّ جُرِّعَ آدَمُ مِنَ المَآكِلِ والمَشَارِب

٢١ ـ أنْزَلْنَهُ بِخداعِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ عَنِ المَرَاتِب

٢٢ ـ وتَرَكْنَهُ لا يَسْتَفِيقُ مِنَ المَصَائِبِ والنَوَائِب

٢٣ ـ وَغَدَا لِذا الدُّنيَا حَزِيناً بَاكِياً مِنهُنَّ تَائِب

= وقد ورد بالحديث الشريف، قال ﷺ: «إنكن صواحب يوسف». رواه البخاري ومسلم، والمعنى: إنكن تشبههن في إظهار خلاف ما في نفوسكن، والله أعلم، من شرح صحيح البخاري للشيخ زكريا الأنصاري ـ ص ٣٥٢...

(١) النَوَاصي والذَوَائِب: النَوَاصي مقدم الرأس، والذوَائِبِ الشعر المضفور...

(٢) طيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من الناس، لباس العجم. «لسان العرب ـ مادة: طلس»...

(٣) الأَعَاصِبِ: في الحديث «ذكر العَصَبيةِ»، وهو: أن تدعو الرجل إلى نصرة عصبته ظالمين أو مظلومين، وعُصْبة الرجل: أولياؤه من الذكور من ورثته، سموا عُصْبَةً لأنهم عُصِبُوا بِنَسَبِهِ.. «لسان العرب ـ مادة: عَصَبَ».

(٤) إشارة إلى قول: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «النساء حبائل الشيطان» مجمع الأمثال ـ للميداني ٢/٣٤٠، وجمهرة الأمثال ـ للعسكري ٢/٣٠٢...

(٥) عِذَارِكَ: الشعر ينبت بمحاذاة الأذن جانب اللحية...

٢٤ ـ وَدَمُ لِهَابيلَ أُرِيقَ ... لأَجْلِهِنَّ بِغَيرِ وَاجِب

٢٥ ـ وَسَعَى بِهِ حتَّى وَهَنْ ... مِنْ حَمْلِهِ مِنهُ المَنَاكِب

٢٦ ـ وَكَذَا لِهَاروتَ وَمَاروتَ ... العَذَابُ بِهِنَ وَاصِب[1]

٢٧ ـ وَكَذَا أبونا نُوحُ أَصْبَحَ ... مِن عَصَائِبِهِنَّ شَائِب

٢٨ ـ مِنهُنَّ أَلْقَى نَفْسَهُ ... في السُّفنِ فَوقَ اللُّجِ رَاكِب

٢٩ ـ وعَقَرنَ نَاقَةَ صَالِحٍ ... / وَقتَلنَ حَمزَةَ في الكَتَائب ٣/أ

٣٠ ـ وَكَذَا الخَليلُ فَلَمْ يَزَلْ ... مِن كَيْدِهُنَّ لَهُ مُغَاضِب

٣١ ـ مِنهُنَّ أَلْقَى ابْنَهُ ... بينَ الجَنَادِلِ وَالمآرب[2]

٣٢ ـ وَبِهِنَّ ذو القَرْنينِ أَضْحَىٰ ... جِسْمَهُ مِنهُنَّ دَائِب

٣٣ ـ أَلْقَينَهُ في مَهلَكٍ ... وَخَدعنَهُ خَدْعَ الثَعَالِب

٣٤ ـ وَبِهِنَّ لوطُ قَومَهُ ... أَضْحَت مَدَائِنُهم سَبَاسب

٣٥ ـ وَكَذَاكَ حُصنٌ بِالعراقِ ... بِهِنَّ أَمسىٰ وَهُوَ ذَاهِب[3]

٣٦ ـ خَرّبنَهُ وتَركْنَهُ لِلبُومِ ... وَالعُقْبَانِ سَائِب

٣٧ ـ قَدْ أَودَعُوا السِّجنَ العَزيز ... بكَيدهِنَّ وَكَانَ غَالب

٣٨ ـ وَقَدَدنَ مِنْهُ قَميصَهُ ... فَرَأى بَرَاهِينَ العَجَائب

٣٩ ـ وَكَذَبنَ فيمَا قُلنَ فيهِ ... وَكُنَّ فِيهِ مِنَ الكَوَاذِب

٤٠ ـ وَطَلَبْنَ مِنهنَّ رِضَاءهِنَّ ... فَخَابَ مِنهُنَّ المَطَالب

٤١ ـ وَكَذَاكَ يُونس لَمْ يَزل ... عَلَيْه فِي الدُّنيا صَوَاحب

٤٢ ـ وبِهِنَّ قَارُونُ غَدَا ... مُتجلجلاً في الأَرضِ دَائب

٤٣ ـ وَبِهِنَّ نَزلتْ ببَلْعَمَ ... بْنِ بَاعُورَ النَوائب

٤٤ ـ وَتَركْنَ دَاودَ حَزيناً ... دَمعُهُ مِنهُنَّ سَاكِب

---

(١) وَاصِب: الأمر، دام ووجب وثبت. . .

(٢) الجَنَادِل: الصخر العظيم. . .

(٣) إشارة إلى قصة الزباء مع جذيمة بن مالك، ويقال له: جذيمة الأبرش، وأيضاً، جذيمة الوضاح. «مجمع الأمثال ـ للميداني ١/٢٣٣ و٢٣٧». . .

٤٥ ـ حَتَّىٰ لَقد نَدبتْ عَلَيْهِ   لِحُزنهِ فِيهِ النَوادب

٤٦ ـ وَسَلّبنَ مملكةَ ابْنهِ   وَسَلكْنَهُ ضِيقَ المَذاهِب

٤٧ ـ وَقتلْنَ يَحيىٰ عَامِلاً   وَتَركْنَهُ في الدَّمِ خَاضب

٤٨ ـ وبهنَّ بيتُ المَقدسِ   خَربَتْهُ يَدُ الأَغَالب

٤٩ ـ وَبهنَّ دَيرُ للزبيبِ   تَسَاقطتْ مِنهُ الجَوَانب[١]

٥٠ ـ وَبِهنَّ بَرصيصُ غَدَا   بعبادةِ السّتينَ ذاهب

٥١ ـ وبهنَّ أَصْبَح بَاكياً   إسْحاقُ مِنْ فَقدِ الحَبَايب

٥٢ ـ وَكَذا البَسوس فَشَرُّهَا   شَرُّ الأَفاعِي في المَضَارب[٢]

٥٣ ـ هَلَكْت وَأهلكتِ التَّقِيَّ   الزَاهِدَ الوَرِعَ المُراقب

٥٤ ـ وَبِهنَّ شَمْشُونٌ دُهي   بمَصَائبٍ مِنْ كُلِّ جَانب

٥٥ ـ وَخَدَعْنَهُ بِالمَكْرِ حتَّىٰ   أَوثَقَتْهُ يَدُ القَوَاضب

٥٦ ـ وَبِهنَّ أَصْبحَ نَادِماً   طَالوتُ للعبَراتِ صَائب

٣/ب ٥٧ ـ طَلَبَ السِّياحةَ/ رَاجِلاً   بَعْدَ المَوَاكبِ والجَنَائِب[٣]

٥٨ ـ وَكَذَا جُريجُ نَالَهُ   مِنْ كَيدهنَ لَهُ مَصَائب

٥٩ ـ أنْزلنَهُ بِخداعِهنَ   وَمَكْرهنَ عَن المَرَاتب

٦٠ ـ كَادتْ تَزُولُ بِمَكْرِهنَ   جِبال لا تُحصىٰ لِكَاتب

---

(١) إشارة إلى قصة الزرقاء بنت اليمان، وكانت مالكة لدير الزبيب، ولما جاءها من يخطبها، طلبت مهراً لها: ألف بعير، ومئة وصيفة، ورأس حاتم الطائي . . .

(٢) إشارة إلى قصة البسوس، وهي: خالة جساس بن مرة البكري، وهو أخ لزوجة كليب، وكان كليب من أعز العرب في زمانه، رأى يوماً ناقة البسوس ترعى في أرض له فأمر بقتلها، عندئذ قامت البسوس بتحريض جساس على قتل كليب، فتحين جساس الفرصة ثم قتل كليباً، وعلى اثر ذلك نشبت حرب ضروس بين تغلب وبكر، ولحقت جليلة بنت مرة بأبيها، بعد مقتل زوجها كليب، فولدت الهجرس، ربَّاه خاله جساس، وما أن شبَّ الهجرس حتى قتل خاله جساس انتقاماً لأبيه والتحق بقوم أبيه، دامت تلك الحرب أربعين سنة . . .

(٣) يوجد خرم بالمخطوطة بمقدار [٣/ب] و[٤/أ]، وقد تداركنا ذلك بما ورد من عناوين داخل المخطوطة، كان قد اعتمدها المؤلف كما بيّن في مقدمته، وهي بمقدار (٢٧) بيتاً، كما تبين أيضاً أن جميع الأبيات مكسورة نظماً، وذلك علمه عند الله تعالى، فلا ندري أهي من المؤلف أم من الناسخ . . .

٦١ ـ وَبِهِنَّ وَاحِدَةٌ عَصَتْ فَتَقَطَّعت بِها المَنَاسب

٦٢ ـ مِنْ أَجْلِهَا سُفِكَ دَمٌ لا يُعَدُّ بِعَدٍّ حَاسب

٦٣ ـ حَمَالَةُ الحَطَب الّتي أودت أَبي لَهبٍ بلاهب

٦٤ ـ مِنْ خَوفهُ منهُنَّ مَاتَ بكفرِهِ والشِّرك طَالب

٦٥ ـ وكَذَا النَّبيُّ المُصطفىٰ خَيرُ الأَعَاجمِ والأَعَارب

٦٦ ـ فِيهُنَّ عَاتبهُ الَّذي خَلَقَ المَشَارِقَ وَالمَغَارب

٦٧ ـ وكَذَا الإمامُ الأرْنجي أَخُو المَفاخرِ والمناقب

٦٨ ـ النَاسكُ السَّهمُ اللَّمي المُجتبىٰ مِنَ المَغَالب

٦٩ ـ وَطَلبْنَ مَهراً رَأسهُ بِئسَ المَقَاصِدُ وَالمطَالب

٧٠ ـ فَسَعَىٰ إِلَيْهِ بِضَربةٍ شُلتْ يَداً بالسّيفِ ضَارب

٧١ ـ وكَذلِكَ الحَسنُ ابْنهُ لَيثُ الكَتيبةِ والعَصَائب

٧٢ ـ جَرعَنَهُ كَأساً بِهِ أَوْردنَهُ سُبلَ المَعَاطب

٧٣ ـ وكَذَلِكَ سَعدُ قَدْ رُمي مِنهُنَّ بالشُّهب الثَوَاقب

٧٤ ـ وبِهُنَّ أَنصارِيُ كَانَ مُحافِظاً لأَخيهِ تَائب

٧٥ ـ نَكَثَ العُهودَ وَلَمْ يَنل إِرباً مِنَ البيضِ الكَوَاعب

٧٦ ـ خَوفهُ ابنُ رَوَاحة مِنهنَّ أَصْبحَ وَهُوَ كَاذب

٧٧ ـ وَبِهنَّ قَاضٍ بِالعراقِ لَهُ تَصَانيفُ غَرَائب

٧٨ ـ أوقعنهُ بِخِدَاعِهنَّ فِي النَدَامةِ والنَطائب

٧٩ ـ كَمْ زَاهِداً وَمُحَافِظاً وَمُجَاوراً للدير ذاهِب

٨٠ ـ مِنْ جَورهنَّ وَمَا لَقُوا مِنهُنَّ أَضْحوا في المَعَائب

٨١ ـ وكَذَا أَبو الرَّجلِ الَّذي قَدْ كَانَ للخيراتِ نَاهب

٨٢ ـ مِنْ مَكْرهنَ رُمي بِسَهمٍ كَانَ بالآفاتِ صَائب

٨٣ ـ كَمْ مُسلمٍ عَبَدَ الصّليبَ لأَجْلِهِنَ وكَانَ تَائب

٨٤ ـ مِنهُنَّ أَصبحَ خَاسِراً مِنْ بَعدِ مَا قَدْ كَانَ كَاسب

* * *

وصايا

٤/أ

١ - / يَـا مَـنْ تُشـدُّ لِفَضْلِـهِ ... وَلِبِـرِّ نَـائِلِـهِ الـرَّكَـائِـب

٢ - اسْمـع وَصِيـةَ نَـاصِـحٍ ... قَـدْ هَـذبَتْـهُ يَـدُ التَجَـارب

٣ - وَاحـرِصْ بِـأَنـكَ لا تَـزَالُ ... لأَمـرهِـنَّ إِذاً مُـراقِـب

٤ - واضْـرُبْـنَ هُـنَّ إذا جَنَيـنَ ... جِنَـايـةً ضَـربَ الـعَقَـارب

٥ - وَاهجُـرْ فَـديتـكَ مَـا اسْتطـعتَ ... لَـهُـنَّ هَجْـراً كَـالمُحَـارب

٦ - لا يَـعْجبنـكَ مَـا تَـرىٰ مِنـهُـنَّ ... وَانظـر فِـي الـعَـوَاقِـب

٧ - يُظْـهـرنْ لـي حُسْـنَ الثَنَـاءِ ... وَلَـهُـنَّ فِـي غَيـري مَـآرِب

٨ - كَـمْ شَيّبـت أفـعَالُـهُـنَّ ... مِـنَ النَـوَاصـي والـذَوَائِـب

٩ - هَـذَا وَكَـمْ مِـنْ طَيْلَسَـانٍ ... نَكَّسَتْـهُ لَنَـا الـعَصَـائِـب

١٠ - وَإِذَا سَلَكْـنَ مَصَـاعِبـاً ... كَـانَـتْ لَـهُـنَّ يَـدُ الأَعَـاصِـب

١١ - مِـنْ كَيْـدِهِـنَّ تُصيبُـكَ ... البَلْـوىٰ وَآفَـاتُ المَصَـائِـب

١٢ - وَكَـذَاكَ يُكْفـرنَ الـعَشِيـرَ ... وَهُـنَّ يُكفـرنَ الأَطَـايِـب

١٣ - فَحَبَـائِـلُ الشّيطـانِ هُـنَّ ... لَـهُ مُطِيـعَـاتُ الجَـوَانِـب

١٤ - إنْ قَـلَّ مَـالُـكَ أَو بَـدَا ... بِـعـذَارِكَ البيضِ الشَـوَائِـب

١٥ - أَنْكَـرنَ مَـا أَوْلَيْتَـهُـنَّ ... مِـنَ الكَـرامـةِ والمَـوَاهِـب

١٦ - حتّـى كَـأَنَـكَ لَـمْ تَكُـنْ ... أَبَـداً لِصُحْبَتِـهِـنَّ صَـاحِـب

١٧ - فَرِضَاؤهُنَّ فُرُوجُهنَّ قَفرٌ وَفِيهُنَّ المَضَارِب[١]

/ وسئل ابن سيرين عن النساء..؟.. فقال: مفاتيحُ أبوابُ الفتن، ومخازنُ الحزن، إن أحْسَنتْ إليك منَتْ عليك، تُفشي سرّك، وتُهمل أمرك، وتَميلُ إلى غيرك... ٤/ب

ومن كلام العرب: لا تأمنن قارئاً على صحيفة، ولا شاباً على امرأة، ولا امرأة على سرٍّ...

وقال جالينوس: إياك ومصاحبة النساء، فإن منهن ما يذهب بصرك، ويدني هَرَمَك[٢]، ويزيل عقلك...

وقيل: النساء.. ريحان بالليل، وشوك بالنهار...

وقيل: النساء كالفاكهة.. [فالفاكهة][٣] لا تطيب إلا بالغسل، والمرأة لا تطيب إلا بالضرب.. وأرسل معاوية إلى الأحنف، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد..؟.. قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وهما طَلِيلة[٤]، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودّهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك.. فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غضباً على يزيد، فَسَلَلْتَهُ[٥] من قلبي.. فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد مئتي ألف درهم، ومئتي ثوب، شاطره إياها محمد بن إسحاق الإسماعيلي، وقال: إن تَسَمَّنَي[٦]، وإلا فصنت احتماله وسخطه، ومن يأبى

---

(١) يوجد خرم في المخطوطة بمقدار [٤/أ]، وقد تداركنا ذلك من خلال ما أورده المؤلف من عناوين وأعقدها كأبواب...

(٢) هَرَمك: من باب: تَعِبَ، فهو: هَرِمٌ، أي: كَبِرَ وَضَعُفَ...

(٣) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٤) طَلِيلة: هو الحصير الخلق...

(٥) فَسَلَلْتَهُ: انتزعته، الغضب برفق وحنو ولين...

(٦) تَسَمَّنِي: الإدعاء بما ليس فيه...

المذلة يعذر، فها أنا أسترضيه، لا من جناية جنيت، ولكن من تجنيه فأغفر. . .

٥/أ /. . . . .(١) [وفي حديث خولة بنت ثعلبة، قالت: ظاهر(٢) مني زوجي أوس بن الصامت](٣)، / ثم أتيت النبي ﷺ أشكوه ما لقيت. . ٥/ب فقال ﷺ: «زوجك وابن عمك، اتقي الله وأحسني صحبته». قالت: فما برحت حتى نزل قول الله تعالى: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وتَشْتَكِي إِلى اللَّهِ واللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاورَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**(٤). حتى انتهى إلى الكفارة(٥). قال: «مريه فليعتق رقبة». قلت: يا نبي الله، ما عنده رقبة يعتقها. قال: «مريه فليصم شهرين متتابعين». قلت: يا نبي الله، شيخ كبير ما به من صيام. قال: «فليطعم ستين مسكيناً». قلت: يا نبي الله، ما عنده ما يطعم. فقال: «بلى سنعينه». ففرق من تمر مكتل يشبع ثلاثين. قالت: فقلت: وأنا أعينه بعِرقٍ آخر(٦). قال: «لقد أحسنت فليتصدق»(٧). . .

---

(١) خرم في المخطوطة بمقدار [٥/أ]. . .

(٢) المظاهرة، أي: قال لها: أنتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، أي: أنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ. . .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من المراجع المعتمدة أصولاً. . .

(٤) سورة المجادلة ـ الآية ١. . .

(٥) المقصود بآيات الكفارة من سورة المجادلة ـ ٣ و٤، في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**. . .

(٦) العرق: هو السفيفة المنسوجة من الخوص قبل أن يجعل منه الزنبيل، وتجعل بمقدار (٣٩) صاعاً، والصاع أربعة أمداد، والمد (١ رطل)، والرطل البغدادي (١٢٨ درهماً)، والدرهم (١٧و٣ غراماً)، ويكون وزن الصاع من القمح (١٢٨ × ٥ = ٦٨٥,٧ درهماً و٢٧٥١ غراماً، وسعته ٢,٧٥ لتراً) وأن زنة الصاع هنا إذا كان مملوء بالماء، ويختلف باختلاف ما فيه، وذلك لاختلاف الوزن النوعي، إذ أن الأصل فيه الكيل لا الوزن. «انظر: النظم الإسلامية ـ ٤١٨ و٤٢٠». . .

(٧) رواه أبو داود في سننه، في كتابه الطلاق، باب في الظهار، برقم /٢٢١٤/. . .

أخبرنا أبو سعيد، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى النبي ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك.. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام يقرأ: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجادِلك فِي زَوْجِها﴾[1] . . .

وقوله بالإسناد الصحيح: أن رجلاً[2] واقع زوجته في رمضان، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هلكت وأهلكت. قال ﷺ: «وما ذاك..؟..». قال: أتيت أهلي وأنا صائم.. قال ﷺ: / «اعتق رقبة». قال: والله يا رسول الله، لا أملك رقبة غير رقبتي هذه. قال ﷺ: «فصم شهرين متتابعين». قال: من الصيام تم علي هذا.. قال ﷺ: «فأطعم ستين مسكيناً». قال: والله يا رسول الله، ما في هذه البيوت أفقر من بيتي. قال: فأُتي النبي ﷺ بوسق تمر[3]، قال ﷺ: «فخذ هذا فتصدق به». فقال: يا رسول الله، ومن هو أحق به مني ومن عيالي، فوالله لا بيت أفقر من بيتي، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال ﷺ: «خذه ولا يجزى لأحد غيرك إلى يوم القيامة»[4] . . .

٦/أ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ﴾[5] . . قال المفسرون: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن سارة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المجادلة، برقم /٢ ـ ٤٨١/ عن أبي محمد المزني، وانظر أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ . . .

(٢) هو: سلمة بن صخر البياضي الخزرجي، حليف بني بياضة . . .

(٣) الوسق: هو ما جاء أيضاً في بيان العرق، ستون صاعاً بصاع رسول الله ﷺ، وهو ٥ ١/٣ رطل . . .

(٤) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الطلاق، باب في الظهار، برقم /٢٢١٣/، وفيه قال: وزاد ابن العلاء، قال ابن إدريس: وبياضة بطن من بني زريق . . .

(٥) سورة الممتحنة ـ الآية ١ . . .

مولاة عمرو بن مهيب بن عبد مناف، أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة. فقال لها: «أمسلمة جئت..؟..». قالت: لا.. قال: «فما جاء بك؟..؟..». قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني. فقال لها: «فأين أنت من شباب [أهل][1] مكة». ـ وكانت مغنية ـ. قالت: ما طُلب مني شيئاً بعد وقعة بدر. فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب [وبني المطلب][2] عليها. فكسوها وحملوها وأعطوها، فأعطاها.. [وأتاها حاطب بن أبي بلتعة، وكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاها][3] عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، [وكتب في الكتاب، من حاطب إلى أهل مكة][4]، أن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم.. وكان النبي ﷺ قد أظهر الخروج إلى خيبر، / وأخفى المسير إلى مكة، فخرجت سارة، ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ: علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد، رضي الله عنهم أجمعين، وكانوا فرساناً، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[5]، فإن بها ظعينة[6]، معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم[7] فاضربوا عنقها».. فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان.. فقالوا لها: أين الكتاب الذي معك..؟.. فحلفت بالله ما معها كتاب.. ففتشوا متاعها[8]، فلم يجدوا معها كتاباً، فهمّوا بالرجوع، فقال

٦/ب

---

(١) ساقطة في الأصل، والزيادة ما بين الحاصرتين من أسباب النزول للواحدي ـ ٣٤٦...

(٢) ساقطة في الأصل، والزيادة ما بين الحاصرتين من أسباب النزول للواحدي ـ ٣٤٦...

(٣) ساقطة في الأصل، والزيادة ما بين الحاصرتين من أسباب النزول للواحدي ـ ٣٤٧...

(٤) ساقطة في الأصل، والزيادة ما بين الحاصرتين من أسباب النزول للواحدي ـ ٣٤٧...

(٥) روضة خاخ: موضع على بعدٍ من المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة...

(٦) ظعينة: في الأصل: ضعينة، والصواب ما أثبتناه، والظعينة هي المرأة، لأنها تظعن إذا ظعن زوجها، وتقيم إذا أقام. «لسان العرب ـ مادة: ظعن».

(٧) في الأصل لكم، والصواب ما أثبتناه في أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٤٦...

(٨) في الأصل ثيابها، والأصح متاعها، وذلك كما ثبت في أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٤٧، =

علي كرم الله وجهه: ما كَذبنا ولا كُذِبنا، وسلَّ سيفه، فقال: أخرجي الكتاب، وإلا والله لأجزرنك[1] ولأضربن عنقك.. فلما رأت الجدَّ منه أخرجته من ذؤابتها[2]، وكانت قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه. فقال ﷺ: «هل تعرف هذا الكتاب..؟..». فقال: نعم.. قال: «فما حملك على ما صنعت..؟..». فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصيحتك، ولا أجبتهم منذ فارقتهم، [ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته][3]، وكنتم وأهلي غريباً فيهم، وكان أهلي بين أظهرهم، فخفت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، [وقد علمت][4] أن الله نازل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، /فصدقه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ﴾**.. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر، لعل الله أطلع على أهل بدر، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[5]...

٧/أ

= ومعاذ الله أن يدنو أصحاب رسول الله ﷺ الأطهار الأخيار من امرأة يدسون أيديهم في ثيابها..!!.. أما المتاع فيكون عادة موجودة على المركوب ـ البعير...

(١) في الأصل لأجردنك، وقد جاء في أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٤٧: لأجزرنك، من الجزر، وهو: الذبح...

(٢) ذؤابتها: الشعر المضفور...

(٣) ما بين الحاصرتين [...] ساقط في الأصل، تداركناه في أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٤٧...

(٤) ما بين الحاصرتين [...] ساقط في الأصل، تداركناه في أسباب النزول للواحدي ـ ص ٣٤٧...

(٥) رواه البخاري ـ ٧/٤٠٠ و٤٠١، ومسلم /٢٩٤٤/، وأبو داود /٢٦٥٠/، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: رجاله ثقات ـ ٩/٣٠٤، وفي الطبراني الكبير ـ /٣٠٦٦/، والحاكم في المستدرك ـ ٣/٣٠١ و٣٠٢...

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُم عَدُوّاً لَكُم فَاحْذَرُوهُمْ﴾[1]. قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الرجل يسلم، فإذا أراد أن يهاجر، منعه أهله وولده، فقالوا: ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وعشيرتك، وتسير إلى المدينة بلا أهل ولا مال. فمنهم من يرق ويقيم ولا يهاجر، فأنزل الله تعالى الآية، فأخبر سبحانه وتعالى: أن زوجة الرجل وولده عدوّ له، ثم قال: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾، فهذا أمر مطاع، ويجب على الرجل أن يحذر زوجته وولده، لأنه نبّه على المؤامرة، وأمر بالحذر...

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾[2]، حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُم عَدُوّاً لَكُم فَاحْذَرُوهُمْ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه: وهؤلاء الذين منعوهم أهلهم عن الهجرة، لمّا هاجروا ورأوا الناس قد فقهوا في الدين، همّوا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى: / ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾... ٧/ب

وأما السنّة. قال: حدثنا أبو الحسن، أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرُ إلى محاسنِ المرأة سهمٌ من سهامِ إبليس مسموم، فمن ردَّ بصره ابتغاء ثواب الله، أبدلهُ الله تعالى بذلك عبادة تسرّهُ»[3]...

حدثنا أبو أسامة، عن حماد بن زيد، عن أبي أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحي، عن ثوبان، رفعه إلى النبي ﷺ، قال: «أيما امرأة

---

(١) سورة التغابن ـ الآية ١٤...

(٢) تتمة الآية ـ ١٤، من سورة التغابن...

(٣) روى الحاكم في المستدرك عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «النظر سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها في خوف الله، أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه». كنز العمال ـ ٥/١٣٠٧٣ و١٣٠٧٥/...

سألت زوجها الطلاق من غير بأس، فحرام عليها لا تشم رائحة الجنة»[1] . . .

وأخبرني قنحويه مرفوعاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «بينما رجل يصلي إذ مرت به امرأة فنظر إليها، فأتبعها بصره، فذهبت عيناه»[2] . . .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: مرَّ رجل على عهد رسول الله ﷺ في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر لأعجبانه، فبينما الرجل يمشي إلى جانب الحائط وهو ينظر إليها، اذ استقبله الحائط، فشقَّ أنفه. فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ﷺ، فأتاه، فقصَّ عليه القصة، فقال النبي ﷺ: «هذه عقوبة ذنبك»[3]. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[4] . . .

٨/أ

وروت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، / أنه قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا غزلت أن تظهر إلا وجهها ويديها»[5] . . .

وقال أبو عبادة: كتب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «أما بعد، فقد بلغني أن نساء يَدْخُلنَ الحمّامات مع نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك» . . .

ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلاً، وقال: «أيما امرأة تدخل الحمّام من غير علّة، ولا سقم، تريد البياض لوجهها، يُسوِّد الله وجهها يوم القيامة، يوم تبيَّض الوجوه» . . .

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه ـ ١/٦٦٢، وحسنه الترمذي . . .

(٢) لم أعثر عليه، ولكن للحديث معنى، انظر الهامش رقم /٣/ والحديث الوارد فيه . .

(٣) رواه أصحاب التفاسير، ابن كثير تفسير سورة النور ـ الآية ٣٠، وغيرهما . . .

(٤) سورة النور ـ الآية ٣٠ . . .

(٥) لم أعثر عليه، إلا أن هذا الحديث يستفاد منه . . .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم يكن كفر من مضىٰ إلا من قبل النساء. . .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل حليلته الحمّام»[1]. قال: كي لا تتجرأ وتنزع ثيابها في غير بيت زوجها لما في ذلك من الكشف والهتك. . .

وقال: أخبرنا أبو الفرج مرفوعاً، قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت: أنتن تدخلن الحمامات. .؟. . قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيتها، إلا هتكت ستراً بينها وبين الله عز وجل»[2]. . .

أخبرنا أبو البركات، عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، عن أبيها، قالت: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أذن لامرأته في أربع خصال، حرم الله عليه الجنة وأدخله النار، فتستأذنه أن تذهب إلى الأعراس فيأذن لها، أو تستأذنه إلى الحمام، أو تستأذنه في أن تخرج في زقاق بثيابها إلى الطرقات، أو إلى القبور فيأذن لها»[3]. . .

٨/ب أخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال/ رسول الله ﷺ: «إنها ستفتح لكم أرض الأعاجم، وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات،

(١) قطعة من حديث، رواه الترمذي في سننه، ١٠/٢٤٢، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث طاووس عن جابر إلا من هذا الوجه. . .

(٢) روى أبو داود في سننه، في كتاب الحمام، برقم /٤٠١٠/، عن أبي المليح قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها، فقالت: ممّن أنتنَّ. .؟. . قلن: من أهل الشام. قالت: لعلكن من الكورة ـ المدينة والصُّقْعَ ـ التي تدخل نساؤها الحمامات. .؟. . قلن: نعم. . قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى». . .

(٣) لم أعثر عليه، وفي الحديث نظر: فقد منع رسول الله ﷺ خروج المرأة إلى الطرقات إلا في حدود معلومة في الشرع من لبس وعدم تعطر وغير ذلك، وكذلك في الأمور الأخرى. . .

فلا يدخلها الرجال إلا بالإزار، وامنعوها النساء، إلا مريضة أو نفساء»[1]. . .

وعن أبي عذرة، كان أدرك النبي ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ نهىٰ الرجال والنساء عن دخول الحمّامات، ثم رخَّص للرجال المَيَازِرِ[2]. . .

أخبرنا منصور، عن السائب، أن نساء دخلن على أم سلمة زوجة النبي ﷺ فسألتهن: فقلن: من أهل حمص. . . قالت: من أصحاب الحمامات. . ؟. . قلن لها: نعم. . . قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خرق الله تعالى عنها ستراً»[3]. . .

وأنشد بعضهم شعراً:

من كان ذا عرس يضيء بعرسه ... فلا يرسلنها يبتغي ليلة القدر
ولا ترسل الحمام عرسك إنني ... أخاف من الحمام قاصمة الظهر
ولنا في المعنى إياك أن تترك ... حليلتك أن تدخل في حمام أو عرس
أخشى عليك الحادثات التي ... تضرب منها العشر في الخمس
وتكثر في لا حول ولا قوة ... وليتني لا أصبح ولا أمسي
دهيت في أهلي وخالفت ... من قد كان ناصح بالأمس

/ كما يحرم [علىٰ][4] الرجال أن ينظروا إلى عورة الرجال، وكذلك يحرم على المرأة أن تنظر [إلى][5] عورة امرأة، وجميع بدنها عورة غير الوجه ٩/أ

(١) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الحمام، برقم /٤٠١١/، وقال: انفرد أهل مصر بإسناده. . .

(٢) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الحمام، برقم /٤٠٠٩/، وقال: قال أبو زرعة: لا أعلم روى حماد بن سلمة عن عبد الله بن شداد عن أبي عذرة عن عائشة رضي الله عنها غير هذا الحديث، ورواه الترمذي، وقال: غريب من حديث حماد، وإسناده ليس بالقائم. . .

(٣) رواه أحمد في المسند، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي أمامة رضي الله عنه. . .

(٤) ما بين الحاصرتين [. . .] ساقطة في الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .

(٥) ما بين الحاصرتين [. . .] ساقطة في الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .

والكفين، ويجوز لها كشفه في الصلاة، وإنما رخص النبي ﷺ في هذا القدر من بدن المرأة أن تبديهما، لأنه ليس بعورة، وسائر بدنها عورة، فيلزمها ستره، والتي أُمرت بتغطيتهما لم يبح لها كشفهما في الصلاة، ولا [أمام][1] الأجنبيين، ما عدا الوجه، والكفين، والقدمين، ولا يحل لامرأة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة، إلا أن تكون أمة لها، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[2]...

وعن أبي سعيد مولىٰ بني أسد، قال: تزوجت امرأة، فدعوت أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم: أبو ذر، وحذيفة، وابن مسعود رضي الله عنهم، فتقدم حذيفة، فقال أبو ذر، ليس لك ذلك. فقدموني، فأممتهم، فعلموني إذا دخل عليك أهلك، فصلِّ ركعتين، وخذ بناصيتها، واسأل الله عز وجل خيرها، وتعوذ بالله من شرها، ثم شأنك بها[3]...

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تركت علىٰ أمتي بعدي أضر علىٰ الرجال من النساء»[4]...

---

(١) ما بين الحاصرتين [...] ساقطة في الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٢) سورة النساء ـ الآية ٣٦، وروى أبو داود في سننه، باب ما جاء في التعري، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «لا ينظر الرجل إلى عرية الرجل، ولا المرأة إلى عرية المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد» برقم /٤٠١٨/...

(٣) روى أبو داود في سننه، باب في جامع النكاح، برقم /٢٦٦٠/، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم، أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً، فليأخذ سنامه وليقل مثل ذلك» قال: وزاد أبو داود قال أبو سعيد: «ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة».

(٤) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، بلفظ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»...

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أخوف ما أخاف على أمتي النساء والخمر»[1]..

9/ب / وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، قال: ما آيس الشيطان بنبي قط، إلا من جهة النساء.. ثم قال: «وهو ابن تسع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعيش بالأخرى»: وما من شيء أخوف عندي من النساء...

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قام فينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ قام لقيامي فيكم، ثم قال ﷺ: «لا يخلو رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان»[2]...

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يحدث، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لن تستقيم لك امرأة على الخلق الواحد، إنما هي كالضلع إن تقيمها تكسرها، وإن تتركها تستقيم وفيها عوج»[3]...

وأنشد أبو مرثد الرحبي في الضلع الأعوج:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفاً واقتداراً على الهوىٰ ... أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

---

(1) رواه الديلمي عن علي بن أبي طالب، ورفعه، بلا سند.. وانظر كشف الخفاء ج ٢، ص ١٨٣ رقم /٢١٩٧/..

(2) جزء من حديث طويل، رواه أحمد في المسند ـ ٢٦/١، عن جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب. و١٨/١ عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب. ورواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم /٢١٦٦/...

(3) روى البخاري في صحيحه برقم /٦٠١٨/، ومسلم برقم /٤٧/، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»...

وقال علي بن حسنة الرحبي:

تعرفن رمي الصيد لم لا رميتنا من النبل لا بالطائشات الخواطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم فيا عجباً للقاتلات الضعائف

وقوله ﷺ: «ما للشيطان في نفسه سلاح أبلغ من النساء»[1]...

وقوله ﷺ: «لا أفلح قوم ملك أمرهم امرأة»[2]...

وقوله ﷺ: «يا عطاف، أنتن قوم صواحب داود، وصواحب أيوب، وصواحب يوسف، وصواحب كرسف». قالوا: يا رسول الله، ومن كرسف..؟.. قال ﷺ: «رجل عَبدَ الله على ساحل من سواحل البحر ثلاثين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل، لا يفتر عن صيام ولا قيام، كفر بالله العظيم من سبب امرأة عشقها، وترك ما عليه من العبادة لله عز وجل، وقد أراكم الله بما سلف منه[3]...

وبالإسناد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يعرض لهم: صانع الحمام، والحجامة، والمرأة الخلساء»[4]..

وعن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال ﷺ: «ثلاثة يدعون فلا يستجاب لهم: رجل كانت/ تحته امرأة سيئة الخلق ولم يطلقها، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه، ورجل أعطى سفيهاً ماله»[5]... ١٠/أ

---

(١) لم أعثر عليه، وانظر حديث: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، متفق عليه، وهو أقرب إلى المعنى.

(٢) قال في كشف الخفاء ـ ٢/١٥٠، برقم /٢٠٨٠/، رواه البخاري في الفتن والمغازي عن أبي بكرة، وجاء أيضاً بلفظ: ألا هلك الرجال حين أطاعوا النساء...

(٣) ورد في كتاب التوابين ـ للمقدسي، بلفظ قريب...

(٤) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي موسى الأشعري، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ـ برقم /٣٥٥٤/ ج ١، ص ٤٨٥...

(٥) لم أعثر عليه لا بهذا اللفظ ولا بقريب منه... والحديث فيه نظر.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾[1]. . أي: الجهال أموالكم. . .

وقوله ﷺ: «أوثق سلاح إبليس النساء»[2].

وقوله ﷺ: «ما خلفت على أمتي شيئاً أضر من النساء»[3]. . .

وقوله ﷺ: «النساء حبائل الشيطان»[4]. . .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي امرأة جميلة وأنها لا تمنع يد لامس. قال: «طلقها». قال: لا أصبر عليها. . قال: «فأمسكها إذاً»[5]. . .

وقوله ﷺ: «ليلة أسري بي إلى السماء، فأطلعت على أهل الجنة، فوجدت أقل ساكنيها النساء، وأطلعت على أهل النار، فوجدت أكثر ساكنيها النساء»[6]. . .

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال، ويكثر النساء، ويكون القيم على أربعين امرأة رجل واحد، حتى ينكر الرجل امرأته، وهي تقول: أنت زوجي»[7]. . .

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٥. . .

(٢) سبق تخريجه. . .

(٣) سبق تخريجه. . .

(٤) ليس بحديث، بل هو من أقوال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: مجمع الأمثال للميداني ـ /٤٢٣٣/. . .

(٥) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: النهي عن التزويج من لم يلد من النساء، برقم /٢٠٤٩/، عن ابن عباس: وجاء بدل طلقها ـ غربها، وبدل فأمسكها إذاً ـ فاستمتع بها. . .

(٦) رواه البخاري بلفظ قريب، في كتاب الصلاة، باب: إذا صلى وقدّامه تنورٌ ونارٌ وشيء ممّا يعبد، وفي أبواب عدة، ١/٤٤٠، ومسلم برقم /٩٠٧/ في كتاب الكسوف. . .

(٧) روى مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: إن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، فلا يجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء». . .

وقوله ﷺ: «استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن»[1]. . .

وقوله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء». . قالوا: وكيف يا رسول الله. . ؟. .

قال: «إذا لبسن رياط الشام، وحلل العراق، وعصب اليمن، وملن كما تميل مشيمة البخت، فإذا فعلن. . كلفن المعسر ما ليس عنده». . .

وقوله ﷺ: «ناقصات عقل ودين»[2]. . .

وقوله ﷺ: «أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها، لعنتها الملائكة إلى أن ترجع»[3]. . .

وقالت عائشة رضي الله عنها: لو لم أكن منهن لقلت ما فيهن. . .

وقوله ﷺ: «أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشه، فأبت، باتت الملائكة تلعنها إلى أن تصبح»[4]. . .

وقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة أن تسافر ثلاثة أيام بغير محرم»[5]. . .

١٠/ب وقد ابتلاهن عز وجل بالحيض/ في كل شهر مرتين، والنفاس، والولادة، وشهادة امرأتين برجل، ولها نصف الميراث مع الرجل، ووفاء العدة

---

(١) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ـ ج ٥، ص ١٢٣، حديث رقم /٢٠١٩/، قال: رواه في التذكرة عن علي في آخر كلام له طويل بلفظ: استعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن. . .

(٢) رواه البخاري ـ ١/٣٤٥ و٣٤٦، من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. . .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: سويد بن عبد العزيز، وهو متروك، وقد وثقه دحيم وغيره، وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ـ ٤/٣١٣. . .

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، برقم /٥١٩٣/، ومسلم في كتاب النكاح، برقم /١٤٣٦/، ورواه أبو داود في سننه، في كتاب النكاح، برقم /٢١٤١/. . .

(٥) رواه أبو داود في سننه، في كتاب المناسك، باب: المرأة تحج بغير محرم، برقم /١٧٢٧/. . .

للمتوفى عنها أربعة أشهر وعشرة أيام، وللمطلقة ثلاثة قروء، ودية المرأة نصف دية الرجل، وناقصات عقل ودين، ويكفرن العشير، وأنها كلها عورة إلا الوجه والكفين. . .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دخلت أنا ورسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها، وذلك قبل أن نؤمر بالستر، فإذا نسوة من قريش والأنصار. فقالت رضي الله عنها: هؤلاء النسوة جئنك يسألنك عن أشياء يستحين من ذكرها. . فقال ﷺ: «إن الله لا يستحي من الحق». . قالت رضي الله عنها: إن المرأة ترى في المنام ما يرى الرجل، هل عليها الغسل. . ؟. . قال ﷺ: «عليها الغسل، إن لها ماء كماء الرجل، لكن الله عز وجل أسر ماءها وأظهر ماء الرجل، فإذا ظهر ماؤها على ماء الرجل، ذهب الشبه إليها، وإذا ظهر ماء الرجل على مائها، ذهب الشبه إليه، وإذا اختلط كان الشبه بينهما، وإذا ظهر منها ما يظهر على الرجل، فلتغتسل، ولا يكون ذلك إلا من شرارهن»(١). . .

وقوله ﷺ: «أيما امرأة خلت مع غير محرمها، إلا وكان الشيطان ثالثهما»(٢). . .

وقوله ﷺ: «من شروط الساعة، أن يستغني الرجال بالرجال، ويستغني النساء بالنساء»(٣). . .

ومن كلام الخلفاء والحكام:

قال: دخل عمرو بن العاص رضي الله عنه، على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفي حجره بنت له يلاعبها، فقال عمرو: ما هذه يا أمير

---

(١) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الطهارة، باب: في المرأة ترى ما يرى الرجل، برقم /٢٣٧/. . .

(٢) جزء من حديث طويل، رواه أحمد في المسند، ٢٦/١، عن جابر بن سمرة، عن عمر بن الخطاب، و١٨/١ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ورواه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، برقم /٢١٦٦/. . .

(٣) انظر: الترغيب والترهيب ـ للمنذري ٩٨/٣، وفيه: قال ﷺ: إذا استحلت أمتي خمساً فعليهم =

المؤمنين..؟.. [قال][1]: هذه ثمرة قلبي عائشة. قال: ارفعها عنك يا أمير المؤمنين، فإنهن يَلِدن الأعداء، ويقربن البعداء.. فقال معاوية: يداوين مرضانا، ويندبن موتانا.. فقال: والله/ يا أمير المؤمنين، خصلتا سوء ليوم سوء...

١١/أ

وقال علي رضي الله عنه: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أَفِن[2]، وعزمهن إلى وهن، أكفف أبصارهن بالحجاب، فإن الحجاب خير لهن من الارتياب، وليس خروجهن بأضر من دخولهن، لا يوثق به عليهن، إن استطعت أن لا يعرف غيرك فافعل، ولا تُملك المرأة أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة، وليست بفهمانة، ولا تغد بإكرامها نفسها، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها، وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة...

وقال علي رضي الله عنه: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن لتدبير العيال، إن تركن وما يردن أوردن المهالك، وإن كن المماليك، ينسين الخير، ويحفظن الشر، يتهافتن في البهتان، ويتمادين في الطغيان...

وقال إياس بن معاوية: ثلاثة لا رأي لهن: حاقن البول، وصاحب الحق الضيق، وصاحب المرأة السوء..

وعن علي رضي الله عنه: النساء كلهن شرٌّ، وشرٌّ ما فيهن قلّة الاستغناء عنهن...

وقال داود عليه السلام: المرأة السوء لبعلها، كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير، والمرأة الصالحة كالتاج المخوص بالذهب، كلما رآه قرت عيناه..

= الدمار:... وفي الحديث: واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء...

(١) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٢) أَفِنَ: ضعف الرأي ونقص في العقل...

وشكت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه غشيان زوجها، أنه جنب عندي في الشهر مرة.. فقال عمر رضي الله عنه: إن في ذلك شقاً للعاشق، وجمالاً للسابق...

وقال بعض الحكماء: من أطاع عرسه، فقد أضاع نفسه...

وقال/ الشاعر: ١١/ب

وما هي إلا نظرة تبتسم بها   فَنِدَ يَدرُّ حلاها وتسقط للجنب[١]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، [قال][٢]: إن عمر المرأة الصالحة ليست من الدنيا، إنما هي من الآخرة، لأنها تقر عينيك بها، ولو كنت تطبخ وتغسل لشغلك ذلك...

وشاور رجل، رجلاً آخر في تزويج امرأة. فقال: إن كنت تريدها خالصة من دون المؤمنين فلا تطمع...

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الدنيا خطيرة، وإن الله مستعملكم فيها، فناظروا كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء، كانت المرأة تتخذ النعلين من خشب تحادي بهما المرأة الطويلة»[٣]...

وقال إبراهيم بن أدهم: من أحب أفخاذ النساء لم يفلح...

ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رجل يحمل طفلاً على عنقه، فقال: ما هذا منك..؟.. فقال: ولدي يا أمير المؤمنين.. [قال][٤]: أما إن عاش فتنك، وإن مات أحزنك...

---

(١) فَنِدَ: الضعف في العقل. يَدرُّ: تشبيهاً لإدرار اللبن. حلاها: زينتها...

(٢) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٣) انظر كشف الخفاء ـ ١/ ٣٩، برقم /٧٦/، قال: رواه الديلمي عن معاذ وفيه زيادة، وعند مسلم عن أبي سعيد...

(٤) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

وعنه أيضاً، قال: أكثروا من هؤلاء، فإن تقربهن عن المسألة. . .

وقيل للإسكندر: لو استكثرت من النساء، لكثر ولدك، ويدوم ذكرك. . ؟!. . فقال: دوام الذكر بتحسين السِّير، وليس بحسن من غلب الرجال أن تعلمه النساء. . .

وقيل لفيلسوف: أي النساء أحسن. . ؟. . فقال: مكابدة العقل أيسر من الاحتيال لمصلحتهن. . .

وذكر الجماع عند أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال: هو نور وجهك، ومخ ساقك، فأقلل فيه ولا تكثر. . .

وقال معاوية: ما رأيت نهماً في النساء إلا عرفت ذلك من وجهه. . .

وسُئل بعضهم: ما عندك في النساء. . ؟. . فقال: أطيل الظمأ وأَرِدُ ولا أشرب. .

وقيل للمدائني: ما عندك في النساء. . ؟. . فقال: إن مُنعت غضبت، وإن تُركت عجزت. . .

١٢/أ وقال سليمان: / ما عندك في الأمر بالحجاب. . ؟. . ـ يريد النساء ـ قال: يمتد ولا يشتد، ويَرِدُ ولا يشرب. . .

وقيل لآخر: ما عندك للنساء. . ؟. . قال: ما يقطع حجتها، ويشفي غلتها. . .

وقال كسرى وقد ذُكر عنده النساء: كنت أراني إذا كبرت فلا يجيبني، فإذا أنا لا أجيبهن. .

وأنشد الرياشي لأعرابي:

تمنيت لو عاد شرخ الشباب ... ومن ذا عليه يعطى المنى
وكنت مسكيناً لدى الغانيات ... فلا شيء عندي لها ممكنا
فأما الحسان فيأتينني ... وأما القماح فأبى أنا

وقال المدائني: كانوا إذا هنوا بجارية، قالوا: أَمِنَكُم الله منها العار، وكفاكم منها المؤونة، والمضنون من النساء كفواً، أكرم من قبر. . .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: نِعْمَ الولد، البنات الممرضات، المؤنسات، النائحات، الباليات. . .

وقال: دخل بعض الحكماء على عبد الملك بن مروان، وبين يديه ابنة له وهو يقبلها، [فقال][1]، يا أمير المؤمنين. . إن ماتت أحزنت، وإن أدركت أفقرت، تلبسك العار، وتقدم إليك أشر الأصهار، تتمتع في خيرك، وتميل إلى غيرك، تحفظ بك إن أحسنت إليها، وترفع غيرك على رأسها ويديها، توقد نيران الحرب، ولا تمل من إيقاع الضرب. . فقال: لولاهن ما ظهرت الأنبياء، ولا استنارت الجوزاء. . .

وقال شقيق البلخي يوماً لأصحابه: ما أعلم بمدينة بلخ امرأة صالحة قبل فيها من الصوالح كثيرات. قالوا: أيتهن أردت فاختار. .؟. . فاختار واحدة. . قالوا: أذات بعل هي. .؟. . قال: نعم. . قالوا: فلانة/ عبدت الله ثلاثين سنة صائمة قائمة. . . قال: فدعا زوجها. . فقال: أُحب أن تبعث إلى أهلك برسالة. قال: أفعل ذلك يا أبا علي. قال: وجّه إليها من يخبرها أنك تقول: يا أهلي، قد كبرت سنك، وضعفتي عن الخدمة، ولا أتمتع بك بالجماع، فأذني لي أن أتزوج بشابة تخدمني وأتمتع بها. . فلما أتاها الرسول بالرسالة، وجدها في الصلاة، فلما انصرفت، أخبرها الرسول بالرسالة، فلما سمعت بذلك وثبت قائمة وقالت: إن دخل عليّ هذا القرنان نتفت لحيته، وفعلت به كذا وكذا. . فلما رجع الرسول إلى شقيق، أخبره بما سمع. . فقال شقيق: إن صلاحاً أن امرأة تضع بما لا يحلُّ بزوجها ما سمعتم. . فأقروا له. . .

١٢/ب

---

(١) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .

وروي عن أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة، وكان له فرسٌ، فقال لقواده: بماذا يصلح هذا الجواد..؟.. قالوا: يغزى عليه في سبيل الله تعالى.. قال: لا.. قالوا: فيطلب عليه العدو.. قال: لا.. قالوا: فماذا يصلح أيد الله أمير المؤمنين..؟.. قال: يركبه الرجل، فيهرب من الجار السوء، والمرأة السوء...

وقيل لرجل: مات عدوك.. فقال: وددت لو قلتم: تزوج...

وقيل لرجل كانت امرأته نشازاً: ما أحد يصلح بينكما..؟.. قال: لا، مات الذي كان يصلح بيننا..!!...

وقيل لأعرابي: ما خلفت لأهلك..؟.. قال: الحافظين.. قيل: وما هما..؟.. [قال](1): أعريهن فلا يبرحن، راجعين فلا يمرحن...

وقال الجمال لامرأته: أي شيء يطيب في هذا اليوم يا سيدتي..؟.. قالت: الطلاق يا سيدي...

وقال بعض الحكماء: لا تحقرن منياً يخرج منك مثلك.. ـ يعني الجماع ـ، فأطول الناس أعماراً الخصيان، ولم يُرَ فيما يعايش الناس أعمر من البغال، / ولا أقصر عمراً من العصافير... ١٣/أ

وقال: اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات.. قال: لا تحملن قلبك ما لا يطيق.. ولا تعملن عملاً ما ليس لك فيه راحة.. ولا تثق بامرأة.. ولا تغتر بمال وإن كثر...

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وابنة له تموج على صدره.. فقال: أمطها عنك يا أمير المؤمنين، فوالله إنهن ليقربن الأعداء، ويورثن الغرباء.. فقال معاوية: يا ابن الزبير، فوالله، ما مَرَّضَ المرضى، ولا ندب الموتى، ولا بر الأحياء، كهن.. قال ابن الزبير:

---

(1) ساقطة من الأصل، وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

والله، لقد دخلت عليك وما على الأرض أبغض إليَّ منهن، وإن لا أخرج من عندك، وما على الأرض أحب إليَّ منهن. . .

وأوصى رجل ابنه، فقال: يا بني، اعص هواك والنساء، واصنع ما شئت. . .

ولقي عيسى ابن مريم عليه السلام، إبليس ـ لعنه الله ـ وهو يسوق أربعة حمير عليها رحال. . فسأله، ما تحمل. . ؟. . فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين. . أما أحدهما: فالجور. . قال: من يشتريه. . ؟. . قال: السلاطين. . قال: فما الثاني. . ؟. . قال: الحسد. . قال: ومن يشتريه. . ؟. . قال: العلماء. . قال: فما الثالث. . ؟. . قال: الخيانة. . قال: ومن يشتريها. . ؟. . قال: التجار. . قال: فما الرابع. . ؟. . قال: الكيد. . قال: ومن يشتريه. . ؟. . قال: النساء. . .

وقيل لمالك بن دينار: لو تزوجت. . ؟. . فقال: لو استطعت لطلقت. . .

وقال ابن المقفع لرجل ولدت له جارية: بارك الله لك في الآية المستفادة، وجعلها لك بركة ومنفعة، وجعلها لك ديناً، وأُجزي لك بها خيراً، فلا تكرهها، فإنهن: الأمهات، والأخوات، والعمات، والخالات، ومنهن الباقيات الصالحات. . .

ومر أعرابي بقوم يدفنون امرأة، فقال: نِعْمَ الصهر صاهرتم[1]، تأمنون منها العار، وتكفون منها/ المؤونة، وما المضنون به من النساء أكرم من قبر. . .   ١٣/ب

وسُئل ابن سيرين رحمه الله عن النساء. . ؟. . فقال: هُنَّ مفاتيح الفتن، ومخازن الحزن، إن أَحْسَنْتَ إليك منت عليك، تُفشي سرك، وتُهمل أمرك، وتميل إلى غيرك. . .

---

(١) يقصد بالصهر القبر. . .

ومن كلام العرب: لا تأمنن قارئاً على صحيفة، ولا شاباً على امرأة، ولا امرأة على سر. . .

وقالت الحكماء: لا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثر. . .

وقال جالينوس: إياك ومصاحبة النساء، فإن منهن ما يذهب بصرك، ويزيل عقلك، ويدني هرمك. . .

وقيل: النساء. . ريحان بالليل، وشوك بالنهار. . .

وقيل: النساء كالفاكهة. . فالفاكهة لا تطيب إلا بالغسل، والمرأة لا تطيب إلا بالضرب. . .

وأرسل معاوية إلى الأحنف، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد. . ؟. . قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وهم طليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك. . فقال: والله يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غضباً على يزيد، فَسَلَلْتَهُ من قلبي، فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد مائتي ألف درهم، ومئتي ثوب، شاطره إياها محمد بن إسحاق الإسماعيلي، وقال: إن تسمني، وإلا فصنت احتماله وسخطه، ومن يأبى المذلة يعذر، فها أنا أسترضيه، لا من جناية جنيت، ولكن من تجنيه فأغفر[1]. . .

وقالت حكماء الهند: المرأة غل، فانظر ماذا تضع في عنقك. . .

١٤/أ وخطب بعض الظرفاء خطبة/ نكاح، فقال: أن الحمد لله الذي جعل في الطرق اختلافاً للأرزاق، وقد قال الله تعالى: ﴿وإن يَتَفرَّقا يُغنِ اللَّهُ كُلاً من سَعَتِهِ﴾[2]. . أوصيكم عباد الله بالسلوى، والملالة، والتجني، والجهالة، وقد قال الشاعر:

---

(١) يوجد تكرار واضح، ولا ندري أمن المؤلف، أم سهو من الناسخ. . والله أعلم. . .

(٢) سورة النساء ـ الآية ١٣٠. . .

اذهبي قد قضيت منك قضاتي وإذا ثنيتي إن بينتي فبيني

فعاهدوا نساءكم بالسب، وعودوهنَّ بالضرب، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهنَّ﴾[1] .. ثم إن فلاناً في خمول، ونسيان، ونقصان أدب، فإن غدوا فيه، فرق الله بينهما، وجعل الله تعالى لهما حينهما...

وقد قال زيد بن علي لابنه: يا بني، إن الله لم يرضك، فأوصلك بي ورضيني لك، واعلم.. أن خير الآباء من لم تدعه المودة إلى التفريط، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق...

وقال الطائي:

إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

والنساء الأشرار من يُضرب بها المثل...

- ـ أشأم من البسوس[2]..
- ـ أحمق من ودغة[3]...
- ـ أزنى من ظلمة[4]...
- ـ أصلع من أم قرفة[5]...

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٣٤...

(٢) انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني برقم /٢٥٢٨/، والفاخر في الأمثال ـ للمفضل بن سلمة ٩٣/١، والمستقصى في الأمثال ـ للزمخشري ١٧٦/١ و١٧٧، وأما البسوس فهي: سَبّة بنت منقذ التميمية...

(٣) انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني برقم /١١٧٨/، والفاخر في الأمثال ـ للمفضل بن سلمة ١٣٤/٢ و٤٩٥، وأما ودغة، فهي: مارية بنت مفيخ، وتُلقب بدُغَة وليس ودعة وهذا تصحيف في بعض المراجع...

(٤) انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني برقم /٢٩٥١/، والمستقصى في الأمثال ـ للزمخشري ٢٨٧/١، جمهرة الأمثال ـ للعسكري ١٣١/٢، وكانت ظلمة توصي قائلة: إذا متّ فأحْرِقُوني، وأتْرِبوا كُتُبَ الأحباب بالرماد، فإنهم يجتمعون لا مَحَالَةَ...

(٥) انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني برقم /٢٦٠٧/، والمستقصى في الأمثال ـ للزمخشري ٢٤٥/١، وجمهرة الأمثال ـ للعكسري ٦٦/٢، وهي: فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، =

● ـ أدجى من زرقاء اليمامة[1] . . .

ـ **والبسوس**: جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، ولها كانت الناقة، والذي قتل من أجلها كليب بن وائل، وبها ثارت حرب بكر وتغلب، والتي يقال لها: حرب البسوس. . .

ـ **وأم قرفة**: امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان يتعلق في بيتها خمسون سيفاً، كل سيف منها بمحرم لها. . .

١٤/ب ـ **ودغة**: امرأة من عجل بنت تخيم، / تزوجت من بني العنبر بن عمر بن تميم[2]. . .

ـ **وزرقاء اليمامة**: امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تنذر قومها بالجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له، حتى احتال عليها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه، فقطعوا شجراً، وأمسكوها أمامهم بأيديهم. ونظرت الزرقاء، فقالت: إني رأيت شجراً قد أقبلت إليكم. . فقالوا: خرفتي وذهب عقلك ودق بصرك. . فكذبوها. . فصبحتهم الخيل فأغارت عليهم، وقتلوا الزرقاء،

= روي: أنه كان يُعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين محرماً لها كلهم فارس شجاع. . .

(١) انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني برقم /٥٧٤/، وجمهرة الأمثال ـ للعسكري ١/٢٤١، وفي الباب: أحكم من زرقاء اليمامة. . وذلك لما اشتهرت بحكمتها. . وأيضاً: أبصر من زرقاء اليمامة. . .

(٢) روي أنه من حمقها، أنها زُوِّجتْ صغيرة من بني العنبر بن تميم، فحملتْ، فلما ضَرَبها المخاض ظنّت أنها تُريد الخلاء، فَبَرَزتْ إلى بعض الغيطان، فولدتْ، فاستهلَّ الولدُ، فانصرفت تُقَدِّرُ أنها أحْدَثت، فقالت لضَرّتها: يا هَنَاه، هل يفْغَرُ الجَعْرُ فاه. . ففطنت. . فقالت: نعم، ويدعو أباه. . فَمَضتْ الضرّةُ وأخذت الولد. . . وأيضاً من حمقها، أنها نظرت إلى يافوخ وَلَدِها وهو يضطرب، وكان قليل النوم كثير البكاء. فقالت لضرّتها: أعطيني سكيناً. . فناولتها وهي لا تعلم ما تُريد. فمضتْ وشقّت يافوخ ولدها، فأخرجت دماغه. فلحقَتْها الضرّة، فقالت: ما تصنعين. . ؟. . فقالت: أخرجتُ هذه المِدّة ـ القيح ـ من رأسه ليأخذه النوم، فقد نام الآن.

وشقـوا عينيها، فـوجدوا عـروق عينيها قـد غرقت بـالأثمد من كثـرة مـا كـانت تكتحل به. . .

ـ وظلمة امرأة من هذيل، زنت أربعين عاماً، وقادت أربعين عامـاً، فلما عجـزت عن الزنـا والقـواد، اتخـذت تيسـاً وعنـزاً، فكـانت تُلقي التيس على العنـز، . . فقيـل لهـا: لِمَ تفعلين ذلـك. .؟. . قـالت: حتى أسمـع أنفـاس الجماع. . .

وقد ورد فيهن ما لا يحصى من الأخبـار، والاقتصار يغني عن الإكثـار، وبالله التوفيق، وبه الاستعانة، وقد جعلت القصيدة على وضع الأبيـات، فكل بيت منها نذكر تحته ما يعضدنا على صحة ما ذكرنـا فيه من الكتـاب العزيـز، وما نُقل من التواريخ وغيرها. . .

* * *

قصة آدم

٢٠ ـ فِيهِنَّ جُرِّعَ آدَمُ مِنَ المَآكِلِ وَالمَشَارِب
٢١ ـ أَنْزَلْنَهُ بِخِداعِهِنَّ وَمَكْرِهِنَّ عَنِ المَرَاتِب
٢٢ ـ وَتَرَكْنَهُ لا يَسْتَفِيقُ مِنَ المَصَائِبِ وَالنَّوائِب
٢٣ ـ وَغَدَا لذا الدُّنيا حَزِيناً بَاكِياً مِنهُنَّ تَائِب

قال المفسرون وأصحاب التاريخ:

لما سكن آدم وحواء الجنة، أباح الله سبحانه وتعالى لهم نعيم الجنة كلها، إلا شجرة واحدة، وذلك قوله تعالى: / ﴿وَقُلْنَا يا آدَمُ آسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ولا تَقْرَبا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[1].. ١٥/أ

أي: اتخذوها مأوى ومنزلاً.. معناه: استقر مكانك ولا تتحرك.. والرغد: أن يأكل منها ما شاء، إذا شاء، حيث شاء.. والشجرة في اللغة: ما لها ساق.. والنجم: ما ليس له ساق.. قوله تعالى: ﴿والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[2].. قال ابن عباس رضي الله عنه، ووهب: إنها سنبلة.. وقال ابن مسعود، والسدي: هي الكرم.. وقال ابن جريج: إنها التين.. وقيل:

(١) سورة البقرة ـ الآية ٣٥...
(٢) سورة الرحمن ـ الآية ٦، وقال حسنين مخلوف في كلمات القرآن: النَّجْمُ: هو النَّبات الَّذي يَنْجُمُ ولا سَاقَ لَهُ...

إن بعض أهـل حضرمـوت وجدوا في أرض كـورا[1]، وفيه سنبلة، فـوزنـوهـا فكانت منا بالمكي، وحبها كالبيض. . فأزلهما الشيطان. أي: نحاهما. فأكلا مـا نهاهمـا ربهمـا عن أكله، وحسن لهمـا معصيـة الله تبـارك وتعـالى. . وإن إبليس لعنه الله، أراد أن يدخـل الجنة ليـوسوس لآدم، فمنعـه الخَزَنـة، فأتى الحية، وكانت من أحسن الدواب خلقاً، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة، وكانت لإبليس ـ لعنه الله ـ صديقة، فسألها أن يدخل الجنـة من فيِّها، فأدخلته في فمها، ومرت له على الخـزنة وهم لا يعلمـون، وأدخلته الجنة، ورأى ما فيها من النعم والكرامة، وكان إبليس لما دخل الجنة، فوقف على باب الجنة يتعبد هناك ثلاثمائة سنة، وعـرفوه بهـا، ولم يخرج إليـه خلق منها، وجاء حتى وقف بين يـدي آدم وحواء عليهمـا السلام، وهمـا لا يعلمان أنه إبليس، فناح عليهما نياحة أحزنتهمـا. . وبكى، وهـو أول من ناح. . فقـالا له: ما يبكيك. . ؟ . . فقال: أبكي عليكما، تموتان وتفارقان ما أنتمـا عليه من النعمة والكرامة. فوقـع كلامـه في قلوبهما. . فقـال: ﴿يَا آدَمُ هَـلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَـرةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَىٰ﴾[2]. . / قـال: نعم. . قـال: كُـلْ من هــذه الشجرة. . قال: نهاني عنها ربي. . قال إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَـا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِـدِينَ﴾[3]. . فأبى أن يقبـل منه ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَاصِحِينَ﴾[4]. . فاغترا بذلك. . وما كانا يظنان في أن أحداً يحلف بالله تعالى كذباً، فبادرت حواء إلى الأكل من الشجرة، ثم ناولت آدماً حتى أكل. . .

١٥/ب

وروي في الحديث، قال: سمعت سعيـد بن المسيب يحلف بالله، مـا

---

(١) الكورة: الحفرة. . .

(٢) سورة طه ـ الآية ١٢٠ . . .

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ٢٠ . . .

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ٢١ . . .

يستثني أن آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء أسقته الخمر حتى سكر، فنادته إليها، فأكل[1] . . .

فلذلك قال رسول الله ﷺ: «الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب»[2] . . .

وأنه لما أصاب آدم الذنب، بدت سوءته، وتهافت عنه ما كان عليه من لباس الجنة، فأخذت شجرة العناب بناصيته. . ونـاداه ربه: أفِراراً مني يا آدم. . فقال: لا، ولكن حياءً منك. . .

ولما بدت عورته، وبدت سوءته، طاف بأشجار الجنة، حتى رحمته شجرة التين، فأعطته ورقة، فطفقا. . يعني: آدم وحواء، يخصفان عليهما من ورقة الجنة. . .

وان الحكمة في إخراج آدم من الجنة، أنه كان من صلبه من لا يستحق الولاية، ولا يصلح لحضرة القدس، فإذا أخرجهم من صلبه، عاد إليها. . فقال الله تعالى: ما حملك على ما صنعت. .؟. . فاعتل آدم. . فقال: يا رب، زينته لي حواء. . قال: إني قد أعقبتها لا تحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كرهاً، ودميتها في كل شهر مرة، فَرنّت[3] حواء على ذلك. . فقيل لها: عليك الرُنَّى[4] وعلى بناتك. . .

وقال: أَلَمْ أنهكما. . قال: يا رب، أطعمتني حواء. . فقال لحواء: لِمَ أطعمته. .؟. . قالت: أمرتني الحية. . فقال للحية: لِمَ أمرتيها. .؟. .

---

(١) لا يمكن لسعيد بن المسيب أن يقول ذلك، وذلك لأن من المعروف أن خمر الجنة لا غول فيه، كما بيّن الله تعالى في كتابه الكريم، أي: أن الغول هو الذي يذهب بالعقل، وخمر الجنة لا غول فيه. . .

(٢) انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ١/٣٨٢، رقم الحديث /١٢٢٥/ قال: رواه القضاعي بهذا اللفظ عن ابن عمرو بسند حسن. . .

(٣) فرنّت: صوتت، رفعت صوتها بالبكاء. . .

(٤) الرُنَّى: الخلق جميعهم. . .

قالت: أمرني إبليس.. فقال للحية: تقطع قوائمك، وتمشين جراً على بطنك، ويشرخ رأسك كل من لقيك...

قال حوشب: بلغني أن آدماً/ مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله عز وجل... ١٦/أ

وقال ابن عباس رضي الله عنه: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مئتي سنة، لم يأكلا، ولم يشربا أربعين سنة...

وأهبط آدم في الهند في وادي سرنديب[١]، ونزلت حواء بجدة، وأزلفا في المزدلفة[٢]، واجتمعا وتعارفا بعرفة يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي يوم التروية، لأن جبريل عليه السلام رأى قبة أبونا عليه السلام إبراهيم أول المناسبك[٣]...

وأُهبط إبليس بالبصرة، وأُهبطت الحية بأصفهان، ولم يفارق آدم حواء مائة سنة، فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات، فتاب عليه، إنه التواب الرحيم، وهي قوله: سبحانك، لا إلّه إلا أنت وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم...

قال الشاعر:

غرتك نفسك ضالة فأبحتها ... سبل الرجاء وهن غير قواصد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درك الجنان وفوز نيل العابد

ونسيت أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

---

(١) سرنديب: تدعى اليوم سيلان، وهي جزيرة تقع جنوب شرق الهند...

(٢) المزدلفة: موضع بين عرفات ومنى، يبيت فيها الحجيج بعد الإفاضة بعرفات، وعليهم أن يصلوا صلوات المغرب والعشاء، من /٩/ ذي الحجة، وصلاة الصبح من /١٠/ ذي الحجة، ولا يصح أن يفوتها الحاج...

(٣) المناسك: مواضع العبادات، ومناسك الحج، عباداته...

ذكر البكائين

بكى آدم وحواء عليهما السلام على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، حتى صار في خديهما شباك، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة. . .

وبكى شعيب عليه السلام شوقاً إلى الله تعالى ثلاثمائة سنة، حتى دمت بصره، فأوحى الله تعالى إليه: يا شعيب، أشوقاً إلى جنتي فقد أبحتكها، أو خوفاً من ناري فقد أمنتكها. . فقال: وعزتك وجلالك، بل عقد حبك على قلبي عقدة لا يحلها إلا النظر إليك. . فأوحى الله تعالى إليه بعد أن ردَّ بصره: لا آخذ منك/ من يكلمني وأكلمه، فكان موسى عليه السلام. . . ١٦/ب

وبكى يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام ثمانين سنة، كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[1]. . الآية. . .

وبكى يوسف عليه السلام على أبيه في السجن اثني عشر سنة، حتى ناداه أهل السجن: إمّا تبكي الليل، أو النهار. . فصالحهما على أحدهما. . .

وبكى يحيى عليه السلام، حتى قطعت الدموع لحم خديه. . .

وبكى علي بن الحسين على أبيه أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى. . فقال له أصحابه: يا ابن بنت رسول الله، إنّا نخاف عليك أن

(١) سورة يوسف ـ الآية ٨٥. . .

تكون من الجاهلين. . فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله تعالى، فإني لم أذكر مصرع ابن فاطمة رضي الله عنهما إلا خنقتني العبرة. . .

وبكى داود عليه السلام على خطيئته أربعين سنة، حتى نبت العشب من دموعه[1]. . .

* * *

ذكر من خلق مختونا

آدم ـ وشيت ـ وإدريس ـ ونوح ـ وسام ـ ولوط ـ ويوسف ـ وشعيب ـ وموسى ـ وسليمان ـ وعيسى ـ ويحيى ـ ومحمد، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. . .

(١) روى الديلمي: عن سمرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت خطيئة داود النظر». انظر: كنز العمال ـ حديث رقم /١٣٠٨٢/. . .

ذكر تاريخ الأنبياء عليهم السلام

من هبوط آدم عليه السلام، إلى هجرة محمد ﷺ، ستة آلاف ومائة وعشرين سنة، منها:

من هبوط آدم عليه السلام إلى الطوفان ألفين ومائتي سنة، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم عليه السلام ثمانين سنة خلت من عمر موسى وهود وقت خروجه إلى بني إسرائيل، ومن مضى خمسمائة وخمسين سنة، ومن خروجهم إلى سنة أربع من ملك سليمان، وذلك ابتداء ببيت المقدس ستمائة وثلاثين سنة، ومن بناء المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمائة وسبعة عشر سنة، ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح عليه السلام ثلاثمائة وتسعة وتسعين سنة، ومن مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى هجرة النبي رسول الله ﷺ خمسمائة وأربعة وستين سنة..

قصة قابيل وهابيل

١٧/أ

٢٤ ـ / وَدَمُ لِهَابِيلَ أُرِيْقَ لأَجْلِهُنَّ بِغَيرِ وَاجِب
٢٥ ـ وسَعَىٰ بِهِ حتَّىٰ وَهَنْ مِنْ حَمْلِهِ مِنْهُ المَنَاكِب

قال أهل العلم:

إن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام، توأمين في بطن، غلاماً وجارية، شيث، فإنها ولدته منفرداً، وكان جميع ما ولدته حواء تسعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثىٰ، في عشرين بطناً، أولهم قابيل وتوأمته اقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث، ثم بارك الله سبحانه وتعالى في نسل آدم عليه السلام...

قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يمت آدم عليه السلام، حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً، ورأى آدم عليه السلام فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد...

قال بعضهم: غشي آدم عليه السلام حواء بعد مهبطهما إلى الأرض مائة سنة، فولدت قابيل وتوأمته اقليما في بطن، ثم هابيل وتوأمته في بطن...

قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل الأول: إن آدماً كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت بقابيل وتوأمته، ولم يجر عليها

وحماً ولا نفاساً، ولا طلقاً حين ولدتهما، ولم تَرَ معهما دماً لطهارة الجنة، فلما أُهبطا إلى الأرض واطمأنا، غشاها، فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت الوحم، والوَصِبَ[1]، والطلق، والدم[2]. . .

وكان آدم عليه السلام إذا شبَّ أولاده، تزوج غلام هذا البطن بالأخرى، ليست التي ولدت معه، فإنها لا تحل له، وذلك لأنه لم يكن نساء إلا أخواتهم وأمهم حواء، فلما ولدت قابيل وتوأمته اقليما في بطن، وهابيل وأخته لبود في بطن، وكان بينهما سنتان في قول الكلبي[3]. . .

وأمر الله تعالى آدم عليه السلام، أن قابيل ينكح لبودا أخت هابيل، وهابيل ينكح أخت قابيل اقليما، وكانت من أحسن الناس وجهاً، فذكر ذلك آدم عليه السلام لولده هابيل، فرضي هابيل، وسخط قابيل، وقال: هي أختي، ولدت معي في بطن واحد، وهي أحسن من/ أخت هابيل، فأنا أحقُّ بها، ونحن من أولاد الجنة، وهما ولادة الأرض، فأنا أحق بأختي، فقال له أبوه: إنها لا تحل لك، فأبى أن يقبل ذلك منه، وقال: إن الله لم يأمر بذلك، وإنما هو من رأيه، فقال لهما: قرّبا قرباناً، فأيكما يُقبل قربانه فهو أحق بها. وكانت القرابين إذا كانت مقبولة، نزلت من السماء نار بيضاء تأكلها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلتها الطيور والسباع، فجاءوا ليقربا، وكان قابيل صاحب زرع، فقرب سنبلاً من ردىء زرعه، وضمر في نفسه لا أبالي إن تقبل مني أو لا يتزوج بأختي أبداً، وكان هابيل صاحب ماشية، فقرب جملاً سميناً ومن خير غنمه لبناً وزبدة، وضمر في نفسه الرضى لله سبحانه وتعالى. . .

١٧/ب

---

(١) وَصِبَ: وجد وجعاً، وقد يطلق على التعب والفتور في البدن . .

(٢) قال الطبري في تاريخه ١/ ١٤٠، أن قابيل قد رفض تزويج أخته من هابيل، فقال: نحن ولادة الجنة، وهما ولادة الأرض. . .

(٣) الكلبي: هو. . محمد بن السائب الكلبي، اشتهر بالتفسير، وإلى جانب ذلك كان له معرفة بالأنساب والأخبار، ومن أجل كونه اخبارياً كثرت رواياته الإسرائيلية في التفسير والحديث، بل لعل أهم أسباب إكثاره منها كونه يهودي النزعة، فقد كان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، وكان يقول عن نفسه: إني سبئي. . .

قالوا: فوضعا قرابينهما على الجبل، ثم دعا آدم عليه السلام، فنزلت نارٌ من السماء، فأكلت الجمل والزبدة واللبن، ولم تأكل من قربان قابيل شيئاً لأنه كان غير زاكي القلب، فذلك قوله سبحانه وتعالى: **﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾**[1] . . .

فنزلوا عن الجبل، وتفرقوا، وقد غضب قابيل لمّا ردَّ الله تعالى قربانه، وظهر منه الحسد والبغي، ويقال: إن الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، وأول ذنب عُصي به في الأرض، وقال: فأما في السماء فحسد إبليس لآدم عليه السلام، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل. . .

وقال بعض أهل التفسير في قوله عز وجل: **﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ والإنسِ نَجْعَلهُمَا تَحتَ أَقْدَامِنَا﴾**[2] . . . فالذي من الجن إبليس، والذي من الإنس قابيل، وذلك أن إبليس أول من سنَّ الكفر، وقابيل أول من سنَّ القتل، وإنما أصل ذلك كله الحسد، وكان يضمر ذلك في نفسه، إلى أن أتى آدم عليه السلام مكة ليزور البيت، فلما أراد أن يأتي مكة حرسها الله تعالى، / قال: اللهم احفظ في السماء ولدي بالأمانة. . فأبت. . وقال للأرض، فأبت. . وقال للجبال، فأبت. . فقال لقابيل ـ قال: نعم، ترجع ترى أهلك كما يسرك. . .

١٨/أ

فرجع آدم عليه السلام، وقد قتل قابيل أخاه هابيل، فذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[3] . . حين حمل أمانة أبيه، ثم خانه. . .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٢٧ . . .

(٢) سورة فصلت ـ الآية ٢٩ . . .

(٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٧٢ . . .

قال: فلما غاب آدم عليه السلام، أتى قابيل إلى هابيل وهو في غنمه، قال له: لأقتلنك.. قال: ولِمَ..؟.. قال: لأن الله قَبِلَ قُرْبانك وردَّ عليَّ قُرْبَاني، وتنكح أختي الحسنة، وأنكح أختك القبيحة الدميمة، فتتخذ الناس بأنك خير مني، ويفتخر ولدك على ولدي.. فقال له هابيل: وما ذنبي.. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1]...

قال الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]...

وقال السدي: فلما قصد قابيل هابيل، راح هابيل إلى رؤوس الجبال، ثم أتاه يوماً من الأيام، وهو نائم فوق صخرة، فشدخ بحجر رأسه، فمات...

وقال ابن جريج: لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل، فتمثل له إبليس لعنه الله، وأخذ طيراً، فوضع رأسه على حجر، ثم شدخ رأسه بحجر آخر...

وكان لهابيل يومئذ عشرون سنة[3]، فلما قتله نزل بالعراق، ولم يدر ما يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم عليه السلام، فقصدته السباع، فحمله في جراب على ظهره سنة تروح، وعكفت عليه الطيور، / والسباع، تنظر متى يرميه فتأكله، فبعث الله تعالى غرابين، فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره ورجليه، ثم ألقاه في الحفرة، وأوراه التراب، وقابيل ينظر إليه، فلما رأى ذلك، قال: ﴿يَا وَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[4].. على حمله، لا على قتله...

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٢٨...

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٣٠...

(٣) روي: أن قابيل كان عمره خمساً وعشرين سنة، وهابيل كان عمره عشرين سنة...

(٤) سورة المائدة ـ الآية ٣١...

أخبـرنا أبـو عبد الله بن محمـد، قال: حـدثنا المـطلب بن عبد الله بن حنـظلة المخزومي، قـال: لما قتـل ابن آدم أخاه، رجفت الأرض بمـا عليهـا سبعة أيام، ثم شـربت الأرض دمه كمـا تشرب المـاء، فناداه الله تعـالى: أين أخـوك..؟.. قال: مـا أدري، ما كنت عليـه رقيباً. فقـال الله عز وجـل: إن صـوت دم أخيك لينـاديني من الأرض.. قال: فلم قتلت أخـاك..؟.. قال: فأين دمه إن كنت قتلتـه..؟!.. فحرم الله سبحـانه وتعـالى يومئـذ أن تشرب الأرض دماً من بعده أبداً...

وسُئل رسول الله ﷺ عن يوم الثلاثاء..؟.. فقال: «يـوم دم». فقالـوا: فكيف ذلك يا رسول الله..؟.. فقال ﷺ: «فيه حاضت حواء، وفيه قتـل ابن آدم أخاه»[1]...

قال عبد الله بن عمـر رضي الله عنه: إنـا لنجد ابن آدم القـاتل يقـاسم أهل النار العذاب، قسمة صحيفته، عليه شطر عذابهم...

وعن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: «لا تُقتلُ نفسٌ مؤمنةٌ إلا كان على ابن آدم كِفْلٌ منها من دمه لأنه أول من استنَّ القتلَ»[2]...

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قتل قـابيل أخـاه هابيـل، وآدم عليـه السلام بمكـة، فاشتبكت الشجـر، وتغيرت، وحمضت الفـواكه، وانتن المـاء، واغبـرت الأرض، فقـال آدم عليـه الســلام: قـد حــدث في الأرض

(١) انـظر كشف الخفاء ـ للعجلوني ٢/٣٩٧، بـرقم /٣٢٥٥/ وفيه: الثـلاثاء يـوم بأس وحـديد، وأيضاً: يوم الثلاثاء يوم دم وفيه ساعة في اجتجم فيها لم يرقـأ.. الخ، وروى مسلم عن أبي هريرة قال: في خلق الأشياء، من الحديث: خلق المكروه يوم الثلاثاء...

(٢) روى البخاري في كتاب الأنبيـاء، باب: خلق آدم وذريتـه برقم /٣٣٣٥/، ومسلم في كتـاب القسامة، باب: إثم من سن القتل، بـرقم /١٦٧٧/، عن عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما من نفس تُقتل ظلمـاً إلا كان على ابن آدم الأول كفـلٌ من دمها، لأنـه أول من استن القتل»...

حادث. فأتى الهند، فإذا قابيل قد قتل هابيل، فأنشد يقول، وهو أول من قال الشعر:

١٩/أ

/ تَغيّـرت البـلادُ وَمَن عَلَيْهَـا ... فَـوجـهُ الأَرْضِ مُغبـرٌّ قَبيـحُ
تَـغيَّـر كـلُّ ذِي طَعمٍ ولَـونٍ ... وقـلَّ بَشَـاشَـةُ الـوَجـهِ الصَّبيحُ
وَقَـابيـلُ أَذَاقَ المـوتَ هَـابيـلَ ... فَـوأسفـاً لَقـدْ فُقِـدَ المَليـحُ [١]

وقال سالم الجعدي: لما قتل قابيل هابيل، مكث آدم عليه السلام مائة سنة حزيناً لا يضحك، ثم أُوتي إليه. فقيل له: حباك الله ونباك - أي، أضحكك -. ولما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثمانون سنة، وذلك بعد أن قُتل هابيل بخمسين سنة، ولدت له حواء شيثاً، وتفسيره - هبة الله - يعني: أنه خلق من هابيل، وعلمه ساعات النهار والليل، وولي عهده، واتخذ ولد قابيل آلات اللهو، مثل: الطبول، والمزامير، والعيدان، والطنابير، وشرب الخمر، وعبادة النار، والفواحش، حتى أغرقهم الله تعالى بالطوفان أيام نوح عليه السلام...

● ● ●

(١) ورد البيتان الأولان في قصص القرآن - جاء المولى، ص ٥٠، وفي تاريخ الطبري ١/١٤٥، وروي: أن العلماء قد رووا هذين البيتين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن قائلهما هو آدم عليه السلام، وذلك لما قتل قابيل أخاه هابيل، ولقد زاد البعض على الأبيات الثلاثة، بيتان آخران، هما...

وما لي لا أجود بسكب دمعي ... وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غماً ... فهل أنا في حياتي مستريح

قصة هاروت وماروت

٢٦ ـ وَكَـذَا لِـهَـارُوت وَمَـارُوتَ الـعَـذَابَ بِـهِـنَّ واصِـب[1]

قال المفسرون[2]:

إن الملائكة لما رأت ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة، وذنوبه الكثيرة، وذلك كان في زمن إدريس عليه السلام، فعيروهم في ذلـك، ودعوا عليهم، فقالوا: هؤلاء الذين خلفتهم في الأرض واخترتهم يعصونك. .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمانَ وما كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَـاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُـونَ النَّاسَ السِّحْـرَ وَمَا أُنْـزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِـلَ هَارُوتَ وَمَـارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُـرْ فَيَتعلَّمُونَ مِنْهُمَـا مَا يُفَـرِّقُونَ بِـهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِـهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ﴾. . سورة البقرة ـ الآية ١٠٢ . . .

(٢) ذُكرت هذه الرواية في تفسير الآلوسي المسمى: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، وهذا التفسير يُعد من أشد الكتب نقداً للإسرائيليات، فكان الآلوسي يذكر الأخبار من دون تصديق أو شغف بها، بل للتنبيه عليها، ونجده في تفسير الآية ١٠٢ من سورة البقرة، يذكر ما روي من أن الملائكة تعجبت من بني آدم. . . إلخ، وذلك كما وردت القصة هنـا، وقد أنكر الآلوسي ذلـك، ثم قال: هـذا ومن قـال بصحة هـذه القصة في نفس الأمر وحملها على ظاهرها فقد ركب شططاً، وقـال غلطاً، وفتح بـاباً من السحر يضحك الموتى، ويبكي الأحياء، وينكس راية الإسلام، ويرفع رؤوس الكفرة الطغام، كما لا يخفى ذلك على المنصفين من العلماء المحققين. . .

فقال الله سبحانه وتعالى: لـو أنزلتكم الأرض، وركبت فيكم مـا ركبت فيهم، لفعلتم مثل ما فعلوا.. فقالوا: سبحانك ربنـا ما ينبغي لنـا أن نعصيك. فقـال الله سبحانه وتعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أُهبطهما إلى الأرض...

قال: فاختاروا هاروت ومـاروت، وكانـا من أصلحهم وأعبدهم. قـال: فركب الله سبحانه وتعالى فيهم الشهـوة التي ركبها في بني آدم عليـه السلام، وأُهبـطوا إلى الأرض، وأمـرهم أن يحكمـوا بين النـاس بـالحق، ونهـاهم عن الشرك والعمل بغير الحق، والزنا، وشرب الخمر...

١٩/ب فجعـلا يحكمان بين النـاس، حتى جـاءتهم امـرأة من أحسن النـاس/ وأجملهم، تُخـاصم زوجها.. قـال: فكانـا يقضيان بين النـاس يومهمـا، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، وصعدا إلى السماء...

قال قتادة: فما مرَّ عليهما شهر حتى افتـتنا. قالوا: وذلك أنـه اختصمت إليهم الزُهرة ذات يوم، وكانت من أجمل الناس...

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنـه، عنها: كـانت من أهل فـارس، وكانت ملكة في بلدها، فلما رأياها أخذت بقلوبهما. فقال أحدهمـا للآخـر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي.؟. قـال: نعم.. قال: فهـل لـك أن تقضي على زوجها.. فقـال له صـاحبه: أمـا علمت مـا عنـد الله من العقـوبة والعـذاب.. فقـال لـه صـاحبـه: أمـا علمت مـا عنـد الله من العفـو والرحمة.. فسـألاها نفسهـا.. فقالت: لا، إلا أن تقضيـا لي علي زوجي.. فقضيـا لها. ثم سـألاها نفسهـا.. فقـالت لهمـا: لا، إلا أن تقتلوه، فـأفـرغ لكمـا.. فقال أحـدهمـا لـلآخـر: أمـا تعلم مـا عنـد الله تعـالى من العقـوبـة والعـذاب.. فقـال لـه صـاحبـه: [أمـا تعلم][1] مـا عنـد الله من الـرحمـة والمغفرة.. فقتلاه، ثم سألاها نفسها.. فقالت: لا، إن لي صنماً أعبده، إن

---

(١) ساقطة من الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

أنتما صليتما معي عنده.. فعلت.. فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول.. وقال له صاحبه مثل قوله الأول.. فصليا معها عنده، فمسخت عند ذلك شهاباً...

وقيل: إنهما ألحوا عليها لما وقع في قلوبهما منها، إلا أن تعبدا ما أعبد، وتصليا لهذا الصنم، وتقتلا النفس، وتشربا الخمر.. فقالا: لا سبيل إلى تلك الأشياء، فإن الله نهانا عنها، فانصرفت. ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدح خمرة، وعرضا أنفسهما من الميل إليها، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها على نفسها، فعرضت/ عليهم ما قالت بالأمس. ٢٠/أ فقالا: الصلاة لغير الله [أمر][1] عظيم، وقتل النفس [أمر][2] عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا، فانتشيا، ووقعا بالمرأة، فزنيا، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه...

قال الربيع بن أنس: وسجدوا للصنم، فمسخهما الله كوكباً...

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنما قالت: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا: بسم الله الأعظم الأكبر. فقالت: فما أنتما مدركاني حتى تعلمانيه..؟.. قال أحدهما لصاحبه: إني أخاف الله تعالى.. فقال الآخر: فأين رحمة الله تعالى.. فعلماها ذلك.. فتكلمت، فصعدت إلى السماء، فمسخهما الله تعالى كوكباً...

قال الأستاذ: فعلى قول هؤلاء [هي][3] الزُهرة بعينها، وقيدوها.. قال: وهي الكوكبة الحمراء، واسمها بالفارسية «نَاهِيكَ»، وبالنبطية «بِيذُخْتَ» ويدل على صحته هذا القول..: قال: كان النبي ﷺ إذا رأى سُهيلاً قال:

---

(١) ساقطة من الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٢) ساقطة من الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٣) ساقطة من الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

«لعن الله سُهيلاً، لأنه كان عشاراً، ولعن الله الزهرة لأنها فتنت ملكين»[1]. . .

وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة، فقال لي: انظر الكوكبة - يعني الزُهرة - فإذا طلعت فأيقظني. فلما طلعت أيقظته. . فجعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً. فقلت: يرحمك الله، تسبُّ نجماً ساطعاً سامعاً مطيعاً. . فقال: إن هذه كانت بغياً، فلقي الملكان منها ما لقيا. . .

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: وإنما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة حسناء تسمى الزُهرة من جمالها، فلما بغت مسخها الله شهاباً، فلما رأى رسول الله ﷺ الزُهرة، ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين، فلعنهما. وكذلك سهيل العشار، / وكان رجلاً، فلما رأى رسول الله ﷺ النجم، ذكره، فلعنه. . .

٢٠/ب

قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما فارقا الذنب، همَّا بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعهما أجنحتهما، فلما علما ما حل بهما، قصدا إدريس

---

(١) انظر: كشف الخفاء - للعجلوني ج ٢، ص ٣٢٩، حديث رقم /٢٨٧١/ قال: هاروت وماروت وقصتهما مع الزهرة، رواه أحمد وابن حبان وابن السني وآخرون عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، وفي سنده موسى ابن جبير، قال فيه ابن القطان لا يعرف حاله، وقال ابن حبان: يخطيء ويخالف. . وفيه القصة والحديث. . .

فائدة:

إن السحر عُدَّ من الموبقات، وحدُّ الساحر القتل، لأنه كَفَرَ بالله أو ضَارعَ الكفر، وروي عن بجالة بن عبد الله، قال: أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة، أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. . كما أن السحر هو في عرف الشرع: كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع. والسحر اصطلاحاً: مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة. . وعند العلماء على قسمين: طائفة قالت: إن السحر تخييل لا حقيقة له. . وأخرى قالت: السحر به حقيقة. . وقال بعض الفقهاء: السحر كلام يعظم به غير الله، وينسب إليه المقادير والكائنات، وقيل: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به الساحر أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له. . وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر». رواه أحمد في المسند ٣٩٩/٤، وقال: صحيح ووافقه الذهبي في التلخيص. . .

عليه السلام، فأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى، وقالا: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاشفع لنا إلى ربك.. ففعل إدريس عليه السلام، فخيرهم الله تعالى بين عذاب الدنيا، وبين عذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا، إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابل يُعذبان...

واختلف العلماء في كيفية عذابهما:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: هما معلقان بنحورهما إلى يوم القيامة...

وقال قتادة: كُبلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما...

وقال مجاهد: ملئت جبٌّ ناراً فجعلا فيها...

وقال عمير بن سعيد: هما معلقان منكسان في السلاسل، يُضربان بسياط الحديد...

وروي أن رجلاً أراد أن يتعلم السحر، فقصد هاروت وماروت، فوجدهما معلقين بأرجلهما، مزرقة أعينهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع، وهما يُعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك، هاله مكانهما.. فقال: لا إله إلا الله، وقد نهى عن ذلك الله، فلما سمعا كلامه، قالا له: من أنت..؟.. قال: رجل من الناس.. قالا: ومن أي أمة أنت..؟.. قال: من أمة محمد ﷺ.. قالا: وقد بُعث محمد ﷺ. قال: نعم.. قال: فحمدا الله تعالى، وأظهرا الاستبشار. قال: ومما استبشاركما..؟.. قالا: لأنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا...

* * *

قصة نوح عليه السلام

٢٧ ـ وَكَـذَا أَبـونـا نُـوحُ أَصْبـحَ   مِـنْ عَصَـائبِـهِـنَّ شَـائِـب
٢٨ ـ مِنـهُـنَّ أَلْقَـىٰ نَفْسَـهُ فِـي   السُّفُـنِ فَـوقَ اللُّـجِ رَاكِـب

٢١/أ / وأما نوح عليه السلام، وهو أول نبي بعد إدريس عليه السلام، وكـان نجـاراً، بعثه الله تعـالى إلى قومـه وهو ابن خمسـين سنـة، فنجـاه الله تعـالى والذين معه[1]. . .

قال ابن إسحاق: يعني بنيه الثلاثة: سام، وحـام، ويافث، وأزواجهم، وستة أُناس ممَّن كان قد آمن به، وحملهم في الفلك، وهي: السفينة.

وقال الكلبي: كانوا ثمانين إنساناً، أربعون رجلاً، وأربعون امرأة. . .

وعن وهب بن منبه، قال: لما أُمر نـوح عليه السـلام أن يحمل من كـل زوجين اثنين، قال: كيف أصنع بالأسد والبقرة. .؟. . وكيف أصنع بـالعقاب والـذئب. .؟. . وكيف أصنـع بـالحمـام والهـر. .؟. . قـال: من ألقى بينهم العداوة. .؟. . قال: أنت يا رب. . قال: فـإني أؤلف بينهم حتى لا يضاروا، فحمـل السباع والـدواب في الطبقـة الأولى، وألقى الله تعـالى الأسـد وأشغله

(١) انظر قصص الأنبياء ـ لابن كثيـر ص ٧٩، وقصص الأنبياء ـ محمـد جاد المـولى ١٣، وانظر: تفسير النهر الماء لأبي حيان التوحيدي ٢/٦٦. . .

بنفسه عن الدواب، وكذلك الفيل، وأما الكلب فمحموماً وإن طال عمره، إلا إنما حمي عن أسد الورد. . . .

ثم بعث الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام ليعلم نوحاً صنعة الفلك، فكان نوح عليه السلام يقطع الخشب، ويضرب الحديد، وجعل قومه يمرون عليه وهو في عمله ذاك، ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح، صرت نجاراً بعد النبوة. . ويقولون: ألا ترون إلى هذا المجنون، يريد أن يتخذ بيتاً يسير به على الماء، ويضحكون منه. . .

وذلك قوله عز وجل: ﴿**وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[1]. . .

وروت عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ، قال: «لو رحم الله أحداً من قوم نوح، لرحم أم الصبي، وذلك أنها خشيت عليه، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت به إلى / الجبل حتى بلغت قمته، فلما بلغ الماء إلى ترقوتها رفعته بيدها، حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله أحداً لرحم أم الصبي»[2]. . .

٢١/ب

قيل: لما أحب الله أن يجعل جميع خلقه من بعد الطوفان من صلب نوح، عقم جميع من يجامع في السفينة من الآدميين، إلا بنيه الثلاثة: سام، وحام، ويافث. . فجميع من في الأرض أعقاب هؤلاء من ولد نوح عليه السلام. . .

فلما تم لنوح عليه السلام ألف وأربعمائة وخمسين سنة، حضرته الوفاة، فأوصى إلى ابنه سام، وجعله خليفته على ولده، ثم توفي. . .

---

(١) سورة هود ـ الآية ٣٨ و٣٩. . .

(٢) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، نقلاً عن الثعلبي في أخبار الطوفان، فذكر القصة كلها، ص ٦٩. . .

قال: وكان عمره عندما بعثه الله تعالى رسولاً إلى قومه مائتين وخمسين سنة، ولبث في قومه رسولاً كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[1] . . ثم عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة. . .

وكان اسم امرأته: واعلة. . وقال مقاتل: والعة[2] . . وكانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وتطلع الناس على سرِّه، فإذا آمن به أحد، أخبرت الجبابرة من قومها، فكانوا يقتلونه، فكانت تعطل أموره، وكانت أكفر أهل زمانها، وتقول: لا تصدقوه فإنه مجنون. . .

وكانت السفينة طولها ألف ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع[3]، والذراع إلى المنكب، وكانت ثلاث طبقات: طبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير. . .

فلما كثرت أرواث الدواب والوحش، سلخ الفيل خنزيراً أو خنزيرة لتأكل الروث، وخرقت الفأرة السفينة، فعطس الأسد سنوراً أو سنورة فأكل الفأر، وبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر نشاف الماء فيه/ ، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، ثم بعث الحمامة، فجاءت بورقة زيتون في منقارها، وطين في رجلها، فعلم أن الماء قد نشف، وطوقها بالخضرة التي في عنقها، ودعا لها بالأنس والأمان، فلذلك تألف البيوت[4]. . .

٢٢/أ

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ١٤. . .

(٢) قال السيوطي في المفحمات ص ١١١، أن اسم امرأة نوح: والهة. . .

(٣) ذكر ابن كثير أن ارتفاع السفينة ثلاثين ذراعاً، وهي ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع، ووافقه ابن الأثير، وقال: وطولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين ذراعاً، انظر: قصص الأنبياء ـ لابن كثير ص ٧٨، والكامل لابن الأثير ١/٦٩. . .

(٤) انظر تفسير ابن جرير، ج ١٢، ص ٢٢، ولم يعقبها بنقد، واكتفى بذكر سنده عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه، وانظر أيضاً الإسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، ص ١٢٤ و١٢٥. . .

وكانت السفينة من خشب الساج[1]، وأول ما حمل من الدواب: الدودة، وآخر ما حمل: الحمار ونفس الحمار، فقال نوح عليه السلام: ادخل يا شيطان معه، وهي كلمة زلت على لسانه...

وقال أهل التوراة: كان بين الفلك وبين الطوفان أربعون يوماً، وارتفع الماء فوق الجبال خمسة عشر يوماً، ثم مكث الماء على وجه الأرض ستة أشهر وعشر ليال، ونبت الساج أربعين عام، وبقي يعمل في السفينة أربعمائة سنة، واختلف في التنور[2]...

قيل: إن التنور على وجه الأرض أبخس منه...

وقال الإمام علي رضي الله عنه: هو تنور الصبح قبل الشرق...

وقيل: التنور الذي يخبز فيه، وهو بمسجد الكوفة ينبع الماء منه...

وقيل: كان بالهند...

وحمل معه من كل زوجين اثنين، ذكر وأنثى، وغرقت امرأته، وأصاب حام امرأته، في السفينة، فدعا عليه نوح عليه السلام أن يغير نطفته، فجاء بالسودان[3]...

وكان إذا أراد أن تجري يقول: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها...

وإذا أراد أن ترسي يقول: بِسْمِ اللَّهِ مُرْسَاهَا[4]...

---

(١) الساج: شجر من فصيلة «رِعْي الحَمَام» مهده الأصلي: آسيا الجنوبية، وأندونيسيا، وهو جميل المنظر لكثافته والتفافاته، وينتج منه أحد أجود أنواع الأخشاب الصلبة الشهيرة...

(٢) إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿حتَّى إِذَا جاءَ أَمْرُنا وفَارَ التَّنُورُ﴾.. سورة هود ـ الآية ٤٠، وفار التنور، أي: انبعث بقوة، جاش بشدة، والتنور وجه الأرض كما تسميه العرب ـ تنوراً، قال ذلك ابن عباس، وكذلك التنور مستوقد النار، أي: تنور الخبز المعروف، قيل هو: بالكوفة، وقيل: بالهند، وقيل: غير ذلك.. انظر: تاريخ الطبري ١/١٨٦، وتفسير النهر الماء في البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي ـ ٢/٦٦ و٦٧...

(٣) قال ابن كثير: أن نوحاً عليه السلام دعا على ابنه أن تشوه خلقة نطفته، فولد ولداً أسود، وهو كنعان بن حام جد السودان، انظر: قصص الأنبياء ـ ابن كثير ص ٨٧...

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْراهَا ومُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.. سورة هود ـ الآية ٤١...

وطافت السفينة حول البيت الحرام أربعين يوماً. . .

قال عكرمة: [وسارت][1] السفينة لعشر خلون من رجب، واستوت على الجودي لعشر خلون من المحرم، ورفع الله تعالى البيت المعمور الذي كان يحجبه آدم عليه السلام صيانة له من الغرق، وهو البيت المعمور، وخبأ جبريل عليه السلام الحجر الأسود في جبل أبي قبيس[2]، وحج آدم[3] عليه السلام أربعين حجة على قدميه. . .

* * *

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .

(٢) جبل أبي قبيس: مشرف على مكة المكرمة من شرقيها، قيل: سمي باسم رجل من مذحج، كان يكنى أبا قبيس لأنه هو أول من بنى فيها قبة. . .

(٣) المقصود نوح وليس آدم، وذلك تصحيف من الناسخ. . .

قصة إبراهيم الخليل عليه السلام

٣٠ ـ وَكَـذَا الخَلِيـلُ فَلَـمْ يَـزَل مِـنْ كَيْـدِهِـنَّ لَـهُ مُـغَـاضِـب
٣١ ـ / مِنـهُـنَّ أَلْقَـىٰ ابْنَـهُ بَيْـنَ الجَنَـادِلِ وَالمَـآرِب ٢٢/ب

واختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام. . .

فقال البعض: كان بأرض الأهواز. . .

وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها: توقات[١]. . .

وقال عامة السلف من أهل العلم: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان بن كوش، وكان بين الطوفان، وبين مولد إبراهيم عليه السلام، ألف ومائتا وثلاثة وستون سنة، وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثين سنة. . .

---

(١) توقات: اسم أطلق على بلاد بابل على القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، وذلك لتمييزها عن بلاد آشور، وبابل مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، تقع أنقاضها على الفرات، قرب الحلة على مسافة / ٨٠ كم/ شرقي بغداد، وأما توقات فهي مدينة شمال تركيا على نهر قزل أرمق. . .

وفي الحديث: «إن ملوك الدنيا أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين.. وأما الكافران: فنمروذ، ونبوخذنصر»[1]...

وكان النمروذ أول من وضع التاج على رأسه وتجرأ في الأرض ودعا الناس إلى عبادته، وكان له كاهن ومنجمون، فقالوا له: يولد في بلدك هذه السنة غلام يغيِّر دين أهل الأرض، ويكون هلاكك وهلاك ملكك على يديه.. ويقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء...

وقال السدي: رأى النمروذ في منامه كأن كوكباً طلع، فذهب بضوء الشمس والقمر، حتى لم يبق بهما ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، ودعا السحرة والكهنة، فسألهم عن ذلك..؟.. فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة، يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه.. قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجلاً رقيباً أميناً، وإذا حاضت المرأة خلا بينه وبينها إذا أراد الرجل المواقعة، فإذا طهرت عزل الرجل عنها، فرجع آزر ووجد امرأته قد طهرت من الحيض، فوقع عليها، فحملت بإبراهيم عليه السلام...

قال محمد بن إسحاق: بعث النمروذ بن كنعان إلى كل امرأة حُبلى في المدينة، فحبسها عنده، / إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام، فإنها لم تعلم الحبل، وذلك لأنها كانت جارية حديثة السن، لم تعرف الحبل، ولم يتبين لها ما في بطنها... ٢٣/أ

وقال الكاهن للنمروذ: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حُمل به الليلة.. فأمر النمروذ بذبح الغلمان...

وقال السدي: لما عظم بطن أم إبراهيم، خشي آزر أن يُذبح ولده، فانطلق بها إلى أرض بين البصرة والكوفة يقال لها: أرفة، فنزلها في سرب من

(١) ورد ذكر الحديث في كتاب: تفسير النهر الماء من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص ٢، ص ٣٦٦.. انظر الهامش رقم /٢/ من هذا الكتاب في قصة ذو القرنين...

الأرض، وجعل عندها ما يصلحها، وجعل يتعهدها ويكتم ذلك عن أصحابه. . .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[1]. . أي: وفقناه للحق، وأنقذناه من عبادة عشيرته، وهديناه إلى الرشاد، وهو صغير السن، وكنا به عالمين. . أي: عَلِمْنَاهُ أنه ذو يقين وإيمان بالله تعالى وتوحيده. . .

وقال كعب الأحبار، وقتادة، والزهري: ما انتفع أحد من أهل الأرض بنار، ولا أحرقت النار يومئذ شيئاً سوى وثاق إبراهيم عليه السلام، ولم يبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ[2]، ولذلك أمر النبي ﷺ بقتله، وسماه فويسقاً، وأقام إبراهيم عليه السلام في النار سبعة أيام[3]. . وقال إبراهيم عليه السلام: ما كانت أياماً أطيب من أيامي التي كنت فيها قط. . .

وقالوا: احرقوه. . قيل: إن الذي قال ذلك رجل من الأكراد، كان من أكراد فارس، اسمه هيزر، فخسف الله تعالى به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، والكرد هم أعراب فارس، ثم بنوا له بيتاً للحريق، وجمعوا

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٥١. . .

(٢) روى أبو داود في سننه برقم /٥٢٦٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا، حسنة أدنى من الأولى، ومن ضربها الثالثة فقتلها فله كذا وكذا، حسنة أدنى من الثانية». وورد في مسند ابن أبي شيبة أبو بكر، عن نافع، عن سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها، فرأت في بيتها رمحاً موضوعاً، فقالت: يا أم المؤمنين، ما تصنعين بهذا. .؟. . قالت: نقتل به الأوزاغ، فإن نبي الله ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار، لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار، غير الوزغ، فإنه كان ينفخ عليه، فأمر رسول الله ﷺ بقتلها. . .

(٣) قيل: إن إبراهيم عليه السلام مكث في السجن مدة شهر كامل، وذلك أثناء جمع الحطب، ومكث في النار سبعة أيام وهو يقول: ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار. . .

لـه الحـطب، حتى أنـه كـان المـريض يقـول: إن عـوفيت وشفيت، لأجمعن لإبراهيم حطباً، فأضرموها حتى أنها صارت تخطف الطير بخروجها. . .

فلما رفعوه على البنيـان، استغاثت الأرض والجبـال، وقالت: يـا ربنا، إن سيدنا إبراهيم يُحرق. . فقال الله تعالى: أنا أعلم به/ فأغيثوه بـدعائكم. . ثم رفع إبراهيم عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهم، أنت الواحد في السمـاء، وأنـا واحـد في الأرض، لا أحـد بعـدك غيـرك، حسبي الله ونعم الوكيل[1]. . .

٢٣/ب

فقـال الله سبحـانـه وتعـالى: ﴿يَـا نَـارُ كُـونِي بَـرْداً وَسَـلاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2]. . وكان جبريل عليـه السلام الـذي صـاح بهـا، ولو لم يتبعهـا سلاماً لمات من بردها. . .

وقيـل: لم يبق يوم الحـريق نار في الـدنيا إلا أُطفئـت، لأنهـا ظنت أن النداء عموم للنار كلها. . فلما رأوه، رأى رجلاً معه آخر يواسي إبراهيم عليـه السلام في حجره، يمسح وجهه من العرق، يقال: إنه ملك الظل. . وأدخلوه على النمروذ، ولم يُحرق منه إلا أكتافه. . .

قال إبراهيم عليه السلام: ما نعمت إلا يوم رُميت في النار. . .

وقيل: إن أباه لما رُفع الطبق عنه، فنظره يرشح عرقاً. قال: نعم الـرب ربك يا إبراهيم. . ولما خرج من النار، قال له النمروذ: يا إبـراهيم، من كان الرجل الذي رأيناه معك في مثل صورتك قاعداً إلى جانبك. .؟. . قال: ذاك ملك الظل، أرسله الله تعالى إليَّ يؤنسني فيها. . .

---

(١) عن أبي بن كعب: أن إبراهيم عليه السلام قال حين أوثقـوه ليلقوه في النـار: لا إله إلا أنت، سبحـانك لـك الحمد، ولـك الملك، لا شريـك لك. ثم رمـوا بـه في المنجنيق إلى النـار، فاستقبله جبريل عليه السلام، فقال: يا إبراهيم، ألك حاجة. .؟. . فقال: أما إليك فـلا، قال جبـريل عليـه السلام: فـاسأل ربـك. . فقال إبـراهيم عليه السـلام: حسبي من سؤالي علمـه بحالي. . .

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية ٦٩. . .

واختار الله تعالى لإبراهيم عليه السلام رجالاً من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار حين قال: ﴿بَرْداً وَسَلاماً﴾.. فآمن به لوط، وكان ابن أخيه، وهو لوط بن هازان، وآمنت به سارة، وهي ابنة عمه، وهي: سارة بنت هازان الأكبر، عم إبراهيم عليه السلام...

قال السدي: كانت سارة بنت هازان قد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها إبراهيم عليه السلام على أن لا يضرها...

وقال أُبي بن كعب: وكانت سارة من أحسن النساء، وكانت لا تعصي إبراهيم عليه السلام شيئاً...

وفي بعض الأخبار: أن النمروذ لما سمع بحسنها، أراد أخذها.. فقال إبراهيم عليه السلام: هي أختي[1].. فلما رآها هوى إليها/ ليتناولها، فيبست يده إلى صدره، فلما رأى ذلك.. عظم أمرها، وقال لها: اسألي إلٓهك أن يطلق يدي، فوالله لا أؤذيك.. فقالت سارة: اللهم، إن كان صادقاً فأطلق له يديه.. فأطلقها الله سبحانه وتعالى، فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس يده، فلما رأى ذلك ردّها إلى إبراهيم عليه السلام، ووهبها له، ووهب لها هاجر، وهي جارية نبطية[2]...

٢٤/أ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله، قوله: «إني سقيم». وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا». وقال: بينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه..؟.. قال: «هي أختي». فأتى سارة، قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني.. فأرسل إليها، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده، فأُخذ.. فقال: ادعي الله لي ولا أضرك.. فدعت الله.. فأُطلق.. ثم تناولها الثانية، فأُخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله ولا أضرك.. فدعت، فأُطلق.. فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان. فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده منهياً، قالت: ردَّ الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره، واخدم هاجر. انظر: البخاري في الفضائل ٥/١١٢، ومسلم في الفضائل ٤/١٨٤٠...

(٢) ذكر جودة السحار في كتابه محمد رسول الله والذين معه، أن هاجر هي زوجة فرعون مصر المخلوع...

وفي بعض الأخبار: أن الله سبحانه وتعالى رفع الحجاب عن إبراهيم عليه السلام وسارة، حتى كان ينظر إليها، فيطيب قلب إبراهيم عليه السلام.. فقالت: إني أراها امرأة مرضية، فخذها لعل الله سبحانه وتعالى يرزقك منها ولداً.. وكانت سارة قد مُنعت الولد حتى يئست، فوقع إبراهيم عليه السلام على هاجر، فولدت له إسماعيل عليه السلام...

وقال السدي، وابن يسار، وغيرهما من أصحاب الأخبار: فحملت سارة بإسحاق عليه السلام، قال: وكانت هاجر قد حملت بإسماعيل عليه السلام، فوضعا معاً، وشبَّ الغلامان، فبينما هما يتناضلان[1] ذات يوم، وقد كان إبراهيم عليه السلام يسبق بينهما، فسبق إسماعيل، فأخذه، وأجلسه في حجره، وأجلس إسحاق إلى جانبه، وسارة تنظر إليه، فغضبت، وقالت: عمدت إلى ابني فأجلسته إلى جانبك، وإلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك، وقد جعلت أن لا تغيرني ولا تسوّني، فآخذ ما يأخذ النساء من الغيرة، فحلفت لتقطعن بضعة منها، ولتغير خلقها، ثم أتى إليها عقلها، فبقيت متحيرة في ذلك، فقال إبراهيم عليه السلام: أحفظيها واثقبي أذنيها، ففعلت ذلك، فصارت سنة في النساء...

ثم إن إسماعيل وإسحاق اقتتلا يوماً كما يفعل الصبيان، فغضبت سارة على هاجر، وقالت لها: لا تساكنيني في بلد واحد، وأمرت إبراهيم أن يأتي بهاجر وابنها إلى مكة، فذهب بها، / حتى قَدِمَ مكة، حيث دك عصاه، وهي في موضع البيت يومئذ، ربوة حمراء مدرجة، فقال إبراهيم عليه السلام: هاهنا أُمرت أن أضعها، فعمد إلى موضع الحجر فأنزلها فيه.. وكانت سارة قد أمرت إبراهيم عليه السلام أن يعزل هاجر، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها إلى مكة، ثم أمر إبراهيم عليه السلام هاجر أم إسماعيل أن تتخذ عريشاً، ثم قال: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن**

٢٤/ب

(١) يتناضلان: يتباريان في السبق.

﴿ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]. . ثم انصرف. فاتبعته هاجر، فقالت: إلى من تكلنا. . ؟. . فجعل لا يرد عليها. . فقالت له: الله أمرك بهذا. . ؟. . قال: نعم. . قالت: إذاً إن الله تعالى لا يضيعنا. . ثم انصرف راجعاً إلى الشام. . .

وكان مع هاجر شَنَّة[2] فيها ماء، فنفذ الماء، فعطشت وعطش الولد، فعمدت إلى الصفا[3] فصعدت وتسمعت، هل تسمع صوتاً، أو ترى أنيساً، فلم تسمع شيئاً، ولم تر أحداً، ثم إنها سمعت أصوات السباع في الوادي، فذهبت نحو إسماعيل وأقبلت إليه بسرعة، ثم سمعت صوتاً نحو المروة[4]، ثم صعدت المروة فسمعت صوتاً، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه: قد أسمعني صوتك، فأغثني فقد هلكت وهلك من معي، فإذا هم بجبريل عليه السلام، فقال لها: من أنت. . ؟. . فقالت: سرية إبراهيم، تركني أنا وابني هاهنا. قال: إلى مَنْ وَكَلَكُمَا. . ؟. . قالت: وكلنا إلى الله تعالى كافينا. . ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما، حتى انتهى إلى موضع زمزم، فضرب بقدمه فعادت عيناً، فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل، فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة تسقي فيها وتدخره. فقال لها جبريل عليه السلام: قد انهارت. . فجعلت أم إسماعيل تجعلها حديثاً. . .

قال رسول الله ﷺ: «لو أنها تخوض، لكانت زمزم، زمزم عين معين»[5]. . .

---

(١) سورة إبراهيم - الآية ٣٧. . .

(٢) شَنَّة: القربة يوضع فيها الماء. . .

(٣) الصَّفا: موضع في مكة في أصل جبل أبي قبيس. . .

(٤) المَرْوَةُ: هي الحجارة البيض البراقة، تقدح منها النار، وبها سميت المروة بمكة، وهي المكان الذي في طرف المسعى. . .

(٥) قطعة من حديث، عن ابن عباس، وعين معين، أي: ظاهراً جرياً على وجه الأرض، وهذا القدر صرح ابن عباس برفعه إلى النبي ﷺ، وفيه إسفار بن جميع الحديث مرفوع. . .

قال لها جبريل عليه السلام: لا تخافين الظمأ على أهل هذه البلدة، فإنها عين يشرب منها ضيوف الله تعالى.. / وقال لها: أما إن أبا هذا الغلام سيجيء فيبني لله تعالى بيتاً هذا موضعه...

٢٥/أ

ومرّت رفقة من جرهم[١] تريد الشام، فرأوا الطير، فقالوا: إنه حائم على ماء، فإذا هم بالماء، فقالوا لها: إن شئت كنا معك وآنسناك، والماء ماؤك. فأذنت لهم، فنزلوا معها، فكانوا أول سكان مكة...

وشبَّ إسماعيل، وماتت هاجر، فتزوج إسماعيل من جرهم امرأة، وأخذ لسانهم، فتعرف بهم، فهؤلاء أولاد العرب المتعربة...

ثم إن إبراهيم عليه السلام استأذن [سارة][٢] أن يزور هاجر وابنها، فأذنت له، وقد اشترطت عليه أن لا ينزل إبراهيم عليه السلام مكة، وقد ماتت هاجر...

ويقال: إنه قَدِمَها راكباً البُراق، فلما قَدِمَها ذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك..؟.. قالت: ليس هو هاهنا ذهب يتصيد.. وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع، وكان مخصوصاً بالقنص والفروسية والرمي والصراع.. فقال إبراهيم عليه السلام: هل عندك ضيافة..؟.. هل عندك طعام أو شراب..؟.. قالت: ما عندي شيء قط، ما عندي أحد.. فقال لها إبراهيم عليه السلام: إذا جاء زوجك فأقريه السلام، وقولي له: فليغير عتبة باب داره...

فذهب إبراهيم عليه السلام، ودخل إسماعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد..؟.. قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا،

---

(١) جرهم: هي قبيلة عربية قديمة، قيل: إنها جاءت من اليمن، ومنها العاربة والبائدة، والعاربة كانت تقيم في مكة...
(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

كالمستخفة بشأنه.. قال: فما قال لك..؟.. قالت: قال لي: أقري زوجك السلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه.. فطلقها، وتزوج بأخرى، ولبث إبراهيم عليه السلام ثم استأذن هاجر أن يزور إسماعيل، فأذنت له، وشرطت عليه أن لا ينزل مكة...

فجاء إبراهيم عليه السلام، حتى انتهى إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك..؟.. قالت: ذهب يتصيد، وهو يجيء إن شاء الله تعالى الآن، فانزل يرحمك الله تعالى.. فقال لها: هل عندك ضيافة..؟../ ٢٥/ب قالت: نعم.. فجاءته باللبن واللحم. فدعا لها بالبركة ولو جاءت بخبز بُرًّا أو شعيراً أو تمراً، [لأكل وشرب][1] ثم شكر.. ثم قالت له: يا ابن أخي، هلم حتى أغسل رأسك وشعثك.. فلم ينزل، فجاءته بالمقام، فوضعته عن شقه الأيمن، ورفعت قدميه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلته.. فقال لها: إذا جاء زوجك فأقريه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة دارك... فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاء أحد..؟.. قالت: نعم، جاء شيخ حسن الوجه، طيب الريح، كبير السن، فقال لي: كذا وكذا.. وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام.. فقال: ذاك والدي إبراهيم عليه السلام...

وأقام إبراهيم عليه السلام في السراب الذي ولد فيه خمسة عشر سنة، ذكره البغوي في تفسيره...

وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره: لبث إبراهيم عليه السلام في السراب إلى أن أدرك مدرك الصبيان، ورمي في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وأقام في النار سبعة أيام، واختتن بقدومه وله مائة وعشرون سنة، وبُشرَّ بإسحاق وله مائة وعشرون سنة، وكان لسارة يومئذ تسعون سنة، وتوفي إبراهيم عليه السلام وهو ابن مائة وثمان وتسعين سنة، وماتت سارة وهي بنت مائة

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام، وكانت هاجر قد ماتت قبل سارة بمكة، ودفنت بالحجر، فلما ماتت سارة، تزوج إبراهيم عليه السلام بامرأة من الكنعانيين يقال لها: قطور بنت يفطن، فولدت له ستة أنفار: نمسان، وزمران، ومديان، وسبق، وسرح، وبني آدم.. وتزوج أيضاً امرأة أخرى من العرب اسمها: حجور بنت هيب، فولدت/ له خمس بنين: كيسان، وشوزخ، واهيثم، ولوكان، ويافس.. ٢٦/أ فكانوا بني إبراهيم عليه السلام جميعهم بإسحاق وإسماعيل ثلاثة عشر، وأنزل الله تعالى إسماعيل أرض الحجاز، وإسحاق أرض الشام، وفرق سائر ولده في البلاد...

قال أهل التاريخ والسير: لما أراد الله سبحانه وتعالى، قبض روح إبراهيم عليه السلام، أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ كيّس...

قال السدي بإسناده: كان إبراهيم عليه السلام كثير الطعام، يطعم الناس ويضيفهم، فبينما هو يطعم الناس ويضيفهم، فإذا هو بشيخ كيّس يمشي إليه في الحبوة، فبعث إليه بحماره، فركبه حتى إذا أتاه، أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فيه، فيدخلها عينه، ومرة في أذنه، ثم يدخلها فاه، فإذا أدخلها فاه خرجت من دبره، وقد كان إبراهيم عليه السلام قد سأل ربه تعالى أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت.. فقال له إبراهيم عليه السلام حين رأى ما له: ما بالك يا شيخ تصنع هكذا..؟.. قال: يا إبراهيم، الكبر.. قال: ابن كم أنت..؟.. قال: كيت وكيت.. فوجد عمره قد زاد على عمر إبراهيم عليه السلام سنتين.. فقال إبراهيم عليه السلام: فإذا بلغت صرت مثلك، إنما بيني وبينك سنتان...

قال إبراهيم عليه السلام: اللهم اتبعني إليك.. عند ذلك قام الشيخ فقبض روحه، وكان الشيخ ملك الموت، وكان عمر إبراهيم عليه السلام

مائتي سنة. . وقيل: مائة وخمسة وتسعين سنة، فدفن عند قبر هاجر. . .

وروي في بعض الحديث: أن إبراهيم عليه السلام كان من أغير الناس، فلما حضرته الوفاة، دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره. فقال له: من أدخلك داري. . ؟ . . قال: الذي أسكنك منذ كذا وكذا سنة. . قال: ومن أنت. . ؟ . . قال: أنا ملك الموت، جئت لقبض روحك. . فقال إبراهيم عليه السلام: أئذن لي حتى أودع ابني إسحاق. . فأرسل إلى إسحاق، فلما أتاه، أخبره، فتعلق إسحاق بأبيه إبراهيم عليه السلام، / وجعل يبكي عليه ويبكي. . فخرج ملك الموت عليهما، وقال: يا رب، ذبيحك تعلق بخليلك. . فقال الله سبحانه وتعالى: قل له إني أمهلتك. . فقال له. . وانحل إسحاق عن أبيه، ودخل إبراهيم عليه السلام بيته لينام فيه، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم. . .

٢٦/ب

* * *

قصة صالح عليه السلام

٢٩ ـ وعَقَـرْنَ نَـاقَـةَ صَـالِـحٍ وَقَتَلْـنَ حَمْـزَةَ فـي الكَتَـائِـب

قـال الله سبحانـه وتعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُـودَ أَخَاهُمْ صَـالِحاً﴾[١]. . وهـو: ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح[٢]، وأراد هاهنا القبيلة. . .

قـال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمـود لقلة مائهـا. . والثمـد: المـاء القليل. . وكانت مساكن ثمود، والحجـر بين الشام والحجـاز، وكانت قصتهم على مـا ذكـر محمـد بن إسحـاق، عن يسـار، والسـدي، والكلبي، ووهب، وغيرهم من أهل الكتب، دخل كلاً بعضهم في بعض: إن عاداً[٣] لما هلكت

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٧٣. . .

(٢) ورد في كتاب سبائك الذهب في معرفة قبـائل العـرب، محمد البغـدادي ص ٣٨، قال: فبنـو ثمود من العرب العاربة البائدة، اشتهرت باسم أبيها، وبذلـك ورد القرآن حيثمـا ورد ذكرهـا، وكانت مساكنهم بالحجر، وكـانوا ينحتـون بيوتهم في الجبـال مراعـاة لطول أعمـارهم إذ كانت تطول، وقد بعث الله تعالى إليهم صالحاً عليه السلام رسولاً، فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعـالى بصيحة في السماء كما ورد ذلك في القـرآن الكريم، وتفصيـل ذلك في التـواريخ والتفـاسير، وقـد ثبت في الصحيـح أن رسـول الله ﷺ مـرَّ بـالحجـر في غـزوة تبـوك، فنهى عن دخـول مساكنهم، وأمر بإراقة ما استسقي من آبارهم، وأن يستسقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. . وقال في العبر: إن من بقاياهم أهل الرس الذين بعث الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبيـاً، وهم قبيلة حضوراً، والله أعلم. . .

(٣) عاد، وبنوه قبيلة من العرب العاربة البائدة، غلب عليهم اسم أبيهم، وبه ورد القـرآن الكريم، =

وانقضى أمرها، عمّرت ثمود بعدهم، فاستخلفوا في الأرض، فنزلوا فيها، وكثروا حتى جعل أحدهم يبني المسكن في المَدَر[1]، فينهدم، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً، وخالفوا أمر الله سبحانه وتعالى، وعبدوا غيره، واعتدوا وأفسدوا في الأرض، فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم صالحاً نبيًّا، وهو: صالح بن عبيد بن آسف بن ماشبح بن عاد بن ثمود، وكانوا قوماً عرباً، وكان صالح من أوسطهم نسباً، وأفضلهم موضعاً، فبعثه الله سبحانه وتعالى شاباً، فدعاهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يتبعه إلا قليل مستضعفون، فلما ألح بالدعاء والتبليغ، وأكثر لهم من التحرير والتخويف، فسألوه أن يريهم آية، تكون تصديقاً لما يقول.. فقال: أي آية تريدون..؟.. قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا هذا ـ وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة ـ فتدعو إلٓهك، وندعو آلهتنا، فإن استجاب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا تبعتنا.. فقال لهم صالح عليه السلام: نعم.. فخرجوا بأوثانهم، وسألوا أن لا يستجاب لصالح في شيء ممّا يدعو، ثم قال جندع وهو يومئذ سيد ثمود: / يا صالح، أخرج لنا من هذه الصخرة ـ هي صخرة منفردة من الجبال في ناحية الحجر، يقال لها: الكائنة ـ ناقةً من الإبل غرّاء سوداء، ذات عُرفٍ وناصيةٍ، وشعر ووبر، عُشَراء[2] متوّجةً، فإن فعلت، صدقناك وآمنا بك، فأخذ عليهم الميثاق، لتصدقونني ولتؤمنن بي.. قالوا: نعم.. فصلى صالح عليه السلام ركعتين، ودعا ربه تعالى، فتمخضت الصخرة تمخض الأنثى في توجعها في الولادة، ثم تحركت، فانصدعت عن ناقة عُشَراء جوفاء ذات شعر ووبر كما قالوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله سبحانه وتعالى من عظمتها، وهم ينظرون، ثم تنحت لسقيها مثلها، في العظم، فآمن به جندع بن عمرو، ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح عليه السلام ويبايعوه،

٢٧/أ

= ويقال لهم: عاد الأولى، وكانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعُمان من البحرين وحضرموت، وقيل: إن عاد أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده...

(١) المَدَر: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل.

(٢) عُشَراء: الناقة التي مضى على حملها ثمانية أشهر أو عشرة...

فنهاهم رواب بن عمرو بن لبيد، والحباب صاحب أوثانهم وديار صغيرة، وكان من أشرافهم شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم، فنهاه. . .

فلما خرجت الناقة، قال لهم: لها شرب، ولكن شرب يوم معلوم، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود، ترعى الشجر، وتشرب الماء، وكانت تَرِدُ الماء غباً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر، يقال له: بئر الناقة، فيرتفع الماء إليها، فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيه، ولا تدع قطرة فيه، ثم ترفع رأسها، فتنتفخ، حتى ينتفخ أبزازها، فيحلبون ما فيها من لبن، فيشربون ويدخرون، ويملأون أوانيهم كلها من اللبن، ثم تصدرُ من غير الفج الذي وردت منه، لا تقدر على أن تصدر من تَرِدُ لضيق عليها. . .

قال أبو موسى الأشعري: فبات أرض ثمود قد رعت الصدر الناقة، فوجد له ستين ذراعاً، فإذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء، وقد أخرج الله سبحانه وتعالى لهم من البئر ماء، وادخروا ما شاؤوا ليوم الناقة، فهم في ذلك في سعة ودعة. . .

٢٧/ب وكانت الناقة تصيّف إذا/ كان الحرُّ ظهر الوادي، فتهرب منها أغنامهم وإبلهم وبقرهم، فتهبط إلى بطن الوادي في حرته وجدبه، وذلك أن المواشي تنفر منها إذ رأتها، فإذا كان الشتاء، فتسبق الناقة إلى بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البرد والحر، فأخذ ذلك بمواشيهم البلاء والإحصار. . .

وكانت مراعيها الحبُّ من كل ذلك، ترعى في وادي الحجر، فَكَبُر ذلك عليهم، حتى حملهم على عقر الناقة، فاحتالوا في عقرها. . .

وكانت هناك امرأتان من ثمود، واحدة يقال لها: عنيزة بنت غنم بن مخلد، وتكنى بأم غنم، وكانت عجوز مسنّة، ولها بنات حسان، ومال كثير

من الإبل والبقر والغنم. . وامرأة أخرى يقال [لها][1]: صدوق بنت المحيا بن زاهر، وكانت جميلة غنية، ذات مواشي كثيرة، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، فكانتا تتحيلان لعقر الناقة، مع كفرهما بصالح عليه السلام، لما أضر بهما في مواشيهما. . .

ثم إن صدوق وعنيزة احتالتا على عقر الناقة للشيء الذي كُتب عليهما، فدعت صدوق رجلاً من ثمود يقال له: الحباب، لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها إن هو فعل ذلك، فأبى عليها. . فدعت ابن عم لها يقال له: مصدع، وجعلت له نفسها إن فعل ذلك، وكانت من أوفر الناس جمالاً، وأحسنهم حالاً، فأجابها إلى ذلك. . ودعت عنيزة، قدار بن سالف، وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً، ويزعمون أنه كان يربيه رجلْ يقال له: ضيان، فقالت: أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً في قومه، وكان أشد الناس، وقد ذكره رسول الله ﷺ، فقال: «انبعث أشقاها، رجل عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»[2]. . .

فانطلق قدار بن سالف وجلس مع الناس يصيبون الشراب، فأرادوا ما يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقة، / فاشتد ذلك عليهم، وقالوا: ما نحن نصنع باللبن، لو كان نأخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه أغنامنا وحروثنا، لكان خيراً لنا، فهل لكم أن تعقروها، فقالوا: نعم. . . ٢٨

وكان سبب عقر الناقة، أن امرأة يقال لها: ملكة ثمود، فقالت لامرأة أخرى يقال لها: قيال، كانت معشوقة مصدع بن مهرج، وكان قدار ومصدع يجتمعان معاً كل ليلة يشربون الخمر، فقالت لها ملكة: إن أتاكم الليلة قدار

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .
(٢) حديث متفق عليه، عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذي عقرها. . وذكر الحديث، ثم ذكر النساء، فوعظ فيهن. . .

ومصدع، فلا تطيعاهما، وقولا لهما: إن الملكة حزينة لأجل صالح وناقته، ونحن لا نطيعكم حتى تعقروا الناقة، فإن عقرتموها أطعناكم، فلما أتياها، قالت لهما هذه المقالة، فقالوا: نحن نكون ولا عقرها...

فانطلق قدار ومصدع وأصحابه السبعة، فرصدوا الناقة، حتى صدرت عن الماء، وقد كَمِنَ قدار لها في ظل شجرة على طريقها، وكَمِنَ لها مصدع في ظل شجرة أخرى، فمرت الناقة على مصدع، فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها، وخرجت أم غنم وغيرها، وأمرت ابنتها، وكانت من أحسن الناس، فأسفرت لقدار، ثم حضته على عقر الناقة، فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها، فخرجت ورغت رغاء، وتحدر سقيها، ثم قام قدار وطعنها في رقبتها، فنحرها في رقبتها، وخرج أهل البلدة، واقتسموا لحمها وطبخوها، فلما راب سقيها ذلك، انطلق حتى أتى جبلاً منيفاً يقال له: منوف، وقيل اسمه قارة.. وروي ذلك عن رسول الله ﷺ سنداً[1]...

٢٨/ب وأتى صالح عليه السلام، فقيل له: أدرك/ الناقة فقد عُقرت، فأقبل وقد خرجوا يعتذرون إليه، ويقولون: يا نبي الله، إنما عقرها فلان، ولا ذنب لنا...

فقال لهم: هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب.. فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله عز وجل إلى الجبل، فتطاول في السماء، حتى ما يناله الطير، وجاء صالح عليه السلام، فلما رأى الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم دعا ثلاثاً، وانفجرت له الصخرة فدخلها[2]...

فقال صالح عليه السلام: انتهكتم حرمة الله تعالى، فأبشروا بعذابه ونقمته.. فقالوا له مستهزئين: ومتى يكون ذلك يا صالح..؟.. وما آية

---

(١) انظر الهامش في الحديث السابق...

(٢) المقصود: أن الفيصل هو الذي دخل الصخرة...

ذلك . . ؟ . . وكانوا عقروها، وكان ذلك يوم الأربعاء . . فقال صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب: وابتلاؤكم تصبحون غداة الخميس ووجوهكم مصفرة، ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب يوم الأحد ووجوهكم محمرة مصفرة كأنها طليت بالخلوف[1]، صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، وأيقنوا بالعذاب، وعرفوا أن صالحاً عليه السلام قد صدقهم، فطلبوه ليقتلوه، فخرج صالح عليه السلام هارباً حتى أتى إلى بطن ثمود يقال لهم: بني غنم، فنزل على سيدهم، وكان رجل منهم يقال [له][2]: نفيل، ويكنى: أبا هذب . . فغيبه، فلم يقدروا عليه، فغدا إليه أصحاب صالح عليه السلام، فقالوا: يا نبي الله، إنهم ليعذبوننا بالنداء عليك، فندلهم عليك . . قال: نعم، قل لهم: مبدع بن هرم، فكلموه في ذلك . . فقال: نعم عندي صالح عليه السلام، وليس لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه . . فتركوه وشغلهم عنه . . .

فأنزل الله عز وجل من عذابه، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثاني، فإذا وجوههم محمرة كأنما خضبت/ بالدم، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرقوا إنه العذاب، فلما أمسوا، صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب . . فلما أصبحوا في اليوم الثالث، فإذا وجوههم قد طليت بالغار، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب، فلما كانت ليلة الأحد، خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم، وخرج معه من أسلم، حتى جاؤوا الشام، فنزلوا رملة فلسطين، فلما أصبح القوم، تحنطوا وتكفنوا، وكان حنوطهم الصبر المر، وكانت أكفانهم الأنطاع[3]، ثم ألقوا أنفسهم للأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة، وإلى

٢٩/أ

(١) الخلوف: رائحة الفم المتغيرة، أو الفاسدة . . .
(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإثبات المعنى . . .
(٣) الأنطاع: جلد من بساط، يفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس أو العذاب . . .

الأرض مرة، ثم لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلما اشتد يوم الأحد ضحاه، أتتهم صيحة من السماء، فيها صوت كالصاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، ولم يبق منهم لا صغير ولا كبير إلا هلك(1) . . .

وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾(2) . . فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يعيشوا فيها . . .

قال أهل العلم: توفي صالح عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكان ذلك أنه انتقل بعدما هلك قومه من الشام إلى مكة، فكان في قومه عشرين سنة . . .

* * *

---

(1) انظر قصة صالح عليه السلام في كل من: قصص القرآن ـ ابن كثير ١١٢ وما بعد، وقصص القرآن ـ محمد جاد المولى ص ٢٧ وما بعد، والكامل في التاريخ ١/٩١ وما بعد، وقصص الأنبياء للنجار ص ٢٨٣، وانظر كل من الآيات في كل من السور الكريمة: هو ـ ٦١/٦٨، الأعراف ـ ٧٣/٧٩، الشعراء ـ ١٤١/١٥٩، النحل ـ ٤٥/٥٣، القمر ـ ٢٣/٣١، الشمس ـ ١١/١٥ . . .

(2) سورة هود ـ الآية ٦٧ . . .

ذكر الموجب لقتل حمزة رضي الله عنه

٢٩ - وَعَقَـرْنَ نَـاقَـةَ صَـالِـحٍ وَقَتَلْـنَ حَمـزَةَ فـي الكَتَائِـب[١]

قال: وذلك أن حمزة خرج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة بدر، وذلك في يوم الاثنين، وقبل يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية، لثلاث خلون من رمضان، وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وثلاثون رجلاً، وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة[٢]، وجعل على الساقة[٣] قيس بن أبي صعصعة، وكان عدد أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر، بعدد أصحاب طالوت، وأما/ المشركون فكانوا ألفاً، وقيل: تسعمائة وخمسون.. وأن أصحاب رسول الله ﷺ ظفروا برجل من المشركين، فأتوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: كم عدد أصحابك..؟.. فقال: يا محمد - ﷺ -، وهل تحصى النجوم.. فقال: قل لي وإلا ضربت عنقك.. فقال: وهل يحصي الرمال والجنادل إلا الله

٢٩/ب

---

(١) البيت مكرر في قصة صالح عليه السلام...

(٢) قال ابن كثير في السيرة النبوية ٢/٣٨٨: «قال ابن هشام: كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ.. وقال الأموي: كانت مع الحباب بن المنذر»، ونقول: وليس من المستبعد أن يكون الاثنان سعد والحباب قد حملا معاً راية الأنصار، وذلك بتكاليف من رسول الله ﷺ بالتناوب، لأن سعد بن معاذ أوسي، والحباب بن المنذر خزرجي.. والله أعلم...

(٣) الساقة: موضع السقي، الإناء الذي يُسقى به، أي: استعمله على السقاية...

تعالى.. قال: مِنْ عندَ مَنْ ضحوا..؟.. قال: عند الأمير فلان.. قال: وكم عقر لهم من الإبل..؟.. قال: عشراً.. قال: وعند مَنْ أمسوا..؟.. قال: عند الأمير فلان.. قال: وكم عقر لهم من الإبل..؟..[قال: عشراً][1].. فقال النبي ﷺ: إذاً هم ألفاً، لكل مائة بعير[2]... ولم يكن فيهم فارس سوى المقداد بن الأسود، وهو أول فارس ركب في سبيل الله تعالى، والنبي ﷺ قدم أصحابه للقتال، فقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»[3]...

فبرز عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وهم من سادات قريش، وطلبوا المبارزة، فتقدم إليهم ثلاثة من الأنصار، هم: عوف ومعوذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رواحة.. فقالوا: من أنتم..؟.. قالوا: رهط من الأنصار.. قالوا: فما لنا بكم من حاجة.. ثم نادوا: يا محمد، أخرج إلينا أكفاء.. فبرز إليهم: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث.. فقالوا: من أنتم..؟.. فقالوا، فانتسبوا إليهم.. فقالوا: أنتم لنا أكفاء.. فقال حمزة: الكهل للكهل، والحدث للحدث، والشاب للشاب...

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٢) قال ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول ﷺ: «ثم رحل رسول الله ﷺ ونزل قريباً من بدر، وركب ﷺ مع رجل من أصحابه مستخبراً ثم انصرف، فلما أمسى بعث علياً وسعداً والزبير إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فسألهما أصحابه لمن أنتما..؟.. فقالا: نحن سقاة لقريش. فكره ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، وودّوا أن لو كانا لعير أبي سفيان وأنه قريب منهم ليفوزوا به، لأنه أخف مؤونة من قتال النفير من قريش لشدة بأسهم واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما، فإذا آذاهما الضرب، قالا: نحن لأبي سفيان، فإذا سكتوا عنهما قالا: نحن لقريش. فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: «والذي نفسي بيده إنكم لتضربونهما إذا صدقا، وتتركونهما إذا كذبا». ثم قال لهما: أخبراني أين قريش..؟.. قالا: وراء هذا الكثيب.. قال: كم القوم..؟.. قالا: لا علم لنا.. فقال: كم ينحرون كل يوم..؟.. فقالا: يوماً عشراً، ويوماً تسعاً.. فقال ﷺ: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٢٧، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾... سورة الأنفال ـ الآية ٩.. وكذلك قال ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول ﷺ ص ١٣٥...

فوقف حمزة مقابل شيبة، والإمام علي مقابل عتبة، وعبيدة مقابل الوليد بن عتبة، ثم إن حمزة ضرب شيبة على عنقه فرمى برأسه لعنه الله، وأما علي فإنه ضرب عتبة بن ربيعة على عاتقه الأيسر، فأخرج سيفه من تحت عاتقه الأيمن، / وأما الوليد بن عتبة فقد ضرب عبيدة بن الحارث فأصاب رجله، فرمي بها، فحُمل إلى الصفراء[1]، فمات بها، فصلى عليه رسول الله ﷺ ودفنه فيها.. وقُتل يوم بدر عبد الله بن عمر بن حزام، وعمرو بن الجموح، ودفنا في قبر واحد[2]، وأخرجا بعد خمسين سنة، في آخر ولاية معاوية بن أبي سفيان، فإذا هما رطاب لم ييبسا، ويد عبد الله على وجهه، ويدي عمرو بن الجموح على رأسه، إذا رُفعت أيديهما سالت جراحاتهما، فإذا تُركت أيديهما رجعت إلى جراحهما.. وأول قتيل قُتل يومئذ مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رجل من الأنصار، قتله ابن أبي معيط قبل الغداة، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله...

٣٠/أ

وأما أولئك الثلاثة[3]: أخو هند بنت عتبة، وزوجها، وابنها، فعظمت عليها الفرقة، واشتد بها البلاء، وانكسر المشركون يومئذ، وقُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون..

ووقف رسول الله ﷺ على القتلى، وقال: يا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وشيبة بن ربيعة، ويا وليد بن عتبة، ويا أبا جهل بن هشام.. وجعل يسميهم واحداً بعد واحد، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً.. قالوا: يا رسول الله، أتخاطب الموتى..؟.. فقال:

---

(١) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كثيرة، يجري ماؤها إلى ينبع، وهي في طريق الحاج الذي سلكه رسول الله ﷺ غير مرة جنوبي بدر...

(٢) ورد في كتاب جوامع السيرة النبوية لابن حزم ص ١٣٨، أنهما قتلا يوم أحد، ودفنا في قبر واحد، وليس كما ذكر هنا في وقعة بدر...

(٣) قيل: هما الوليد بن عتبة أخ لهند، وعتبة بن ربيعة والدها، وحنظلة بن أبي سفيان ابنها.. وذلك هو السبب..

«والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون»[1]. . .

وأُسر عمه العباس، وعقيل، ومسلم بن عقيل، والعاص زوج ابنة رسول الله ﷺ، وأول من انهزم من المشركين جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وقلبه له اثنان في جوفه. . وكان يقول: أنا لي قلبان أعقل بهما، واحد منهما أفضل من عقل محمد. . فلما كانت بدر، وانهزم المشركون، تلقاه أبو سفيان وهو معلق أحد نعليه، والأخرى في رجله. . قال: ما شعرت إلا أنهما في رجل، وعرفوا أنه يريد لو كان له/ قلبان لما نسي نعله في يده، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[2]. . .

٣٠/ب

فلما دخلت السنة الثالثة، والذي أهاج غزوة أُحد لمّا أصيبت يوم بدر قريش من أصحاب القليب، فرجع منهم إلى مكة ابن أبي جهل، وصفوان بن أمية، ورجال من قريش ممَّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كان له في تلك العير من قريش، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قتل خياركم، فأعينونا بالمال، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير. . .

فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ومعه هند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأم حكيم بنت الحارث، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد. . .

قال: فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أن رأيهم أن يقيموا بالمدينة، وقد تركت قريش منازلها من أحد يوم الأربعاء، وأقاموا ذلك اليوم، ويوم

---

(١) قال ابن عبد البر في كتابه ـ الدرر ص ١١٥: فقيل له: يا رسول الله، تنادي أقواماً أمواتاً قد جيفوا. .؟. . فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون». وفي هذا المعنى قوله ﷺ في الميت إذا دفن وانصرف الناس عنه: «إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا عنه مدبرين». . .

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٤، وانظر: أسباب النزول ـ للواحدي ص ٢٩٢، ٢٩٣. . .

الخميس، ويوم الجمعة، وصلى رسول الله ﷺ، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت من منتصف شهر شوال، ولبس لامته[1]، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، ثم خرج عليهم وقد قدموا الناس، وقالوا: استكرمنا رسول الله ﷺ، لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته، ويضعها حتى يخرج يقاتل، فخرج رسول الله ﷺ إلى أُحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما خرج رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلاثمائة، فتبعهم أبو جابر يدعوهم. فقالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم. فقالوا: لا ينبغي لنبي لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل، ولما رجع عبد الله بن أبي سلول، فقال: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله تعالى عنكم، وبقي رسول الله ﷺ/ في سبعمائة، وكان المشركون ثلاثة آلاف، والخيل مائتي فرس، والظعائن خمس عشرة امرأة، وكان في المشركين سبعمائة ذراع، وكان في المسلمين مائة ذراع، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان، فرس لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بردة، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وبعث رسول الله ﷺ الزبير، وقال: استقبل خالد، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه، ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام، فقال: يا أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجله بسيفي إلى الجنة، ويعجلني بسيفه إلى النار. . فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: والذي نفسي بيده، لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار، أو يعجلني الله بسيفك إلى الجنة. . فضربه الإمام علي رضي الله عنه فقطع رجله، فانكشفت عورته. . فقال: أنشدك الله والرحمة يا ابن العمة. . . فبرز رسولُ الله ﷺ، وأقامت هند بالنسوة اللواتي معها، وأخذن الدفوف يضربنها خلف الرجل ويحرضنهم. . .

٣١/أ

وكان حنظلة بن أبي عامر قد التقى هو وأبو سفيان، فقال: ضربه شداد فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم حنظلة لتغسله الملائكة». فقالوا لأهله: ما شأنه. . ؟. . فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتف، فقال

---

(١) لامته: الدرع أو جميع السلاح. . .

رسول الله ﷺ: «غسلته الملائكة»[1]. . .

قال أبو جعفر: فلما رأى المسلمون من خلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء، ثلاثة قُتلوا، وثلاثة جُرحوا، وثلاثة انهزموا، وأصيبت رباعية رسول الله ﷺ، وشُقت شفته، / وكُلِمَ في وجنتيه وفي جبهته وفي أصول شعره، وعلاه ابن قميئة على شقه الأيمن، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص. . . ٣١/ب

وقالت هند بنت عتبة: من قتل النبي، أو حمزة، أو علي، أعطيته عشرين أوقية من الذهب، ومائة ناقة، وكان وحشي مملوكاً حبشياً، فقالت له: إن قتلت حمزة فأنت حر. . وكان يقذف بالحربة، فاستتر تحت صخرة، وتقدم إلى حمزة، سباع بن عبد العزى، فلما وقف حمزة، وكانوا قد قالوا له: أما النبي فما لنا إليه وصول، وأما علي فلا طاعة لنا به في الحرب، وما لنا إلا حمزة، وطُلب سباع بحمزة، فبرز إليه حمزة. . قال: من أنت. . ؟. . فانتسب. . فقال: أنت من ألقى بي حتى تطلبني. . فحمل عليه، فولى منهزماً. . ولكن. . إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً. . فساقه إلى الصخرة التي عندها وحشي، فنغز فرسه، فوقع، فضربه وحشي بحربته فقتله. . .

وجاءت هند بنت عتبة، فشقت جوفه، وأخرجت معلاقه، وأكلت كبده، وشربت دمه، وجدعت أنفه وأذناه، وقطعت مذاكيره، وهشمته حتى لا يبقى يعرف. . والنبي ﷺ يقول: عمي. . عمي. . وانكسر المسلمون، وقُتل وجرح منهم سبعون رجلاً[2]. . .

قال ابن سعد: لما انصرف رسول الله ﷺ كئيباً حزيناً يوم أحد، والتي جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها وأبيها مقتولين وهي تبكي. . فقال رسول

---

(١) هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة الأنصاري، الأوسي، المعروف بمن غسلته الملائكة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ـ لابن حجر ٢/ ٢٨٨ و٢٨٩.

(٢) إن المؤلف هنا يبالغ إذ لم يرد في كتب التواريخ قطع المذاكير، والتهشيم، وشرب الدم، وقد ورد فقط شق الجوف، وإخراج الكبد، وقد لاكته فلم تستسغه فلفظته. . .

الله ﷺ: «أهكذا يفعل برسولك». فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ**﴾[1]. . وانهزم عثمان بن عفان، ورافع بن أبي المعلى، وجماعة، انهزموا يوم أُحد إلى جبل، فأقاموا فيه ثلاثة أيام، / ٣٢/أ ورجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال: لقد ذهبتم فيها عريضة. . .

وتشاجر عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، فرفع عثمان بن عفان صوته، فقال له عبد الرحمن: بأي شيء ترفع صوتك عليّ، شهدت بدراً ولم تشهد، وبايعت رسول الله ﷺ ولم تبايع، وفررت يوم أُحد ولم أفر. . فقال له: أما قولك شهدت بدراً ولم أشهد، فإن رسول الله ﷺ جعلني خليفة على ابنته، وأمر رسول الله ﷺ فرض من الجهاد، وأما قولك بايعت رسول الله ﷺ ولم أبايع، فإن رسول الله ﷺ أنفذني إلى أُناس من المشركين فأبطأت عليه، فضرب بشماله على يمينه، وقال: هذه لعثمان، وشمال رسول الله ﷺ خير من يميني، ولقد علمت ذلك، وأما قولك انهزم يوم أُحد ولم تنهزم، فلا تعيرني بذنب عفا الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾[2]. . .

ولما وقف النبي ﷺ على القتلى، ورأى ما كان من حمزة، قال: «والذي نفسي بيده، لولا أخاف أن تكون سنة لتركته في مخالب السباع وحواصل الطير، والله لئن ظفرني الله بهم لأقتلن سبعين سيداً من سادات قريش»[3]. . . فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**وإن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ**﴾[4]. . .

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٠، وانظر أسباب النزول ـ للواحدي ص ١٠٦، عن راشد بن سعد، وانظر الاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٧٢ و٣٧٤. . .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٥. . .

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٨ و٢٣٩، والحديث عن ابن عباس، وبلفظ آخر عن أبي هريرة. . .

(٤) سورة النحل ـ الآية ١٢٦. . .

وقال: «لا تخلُّوا صفية تنظر إليه»(١). . فأتت صفية بكفنه، فمنعوها عن ذلك. . فقالت: والله ليسرني هذا اليوم، وأنه ﷺ لما نظر إلى حمزة، ولم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، فقال ﷺ: «رحمة الله عليك، فإنك كنت فعالاً للخير، وصولاً للرحم، فلولا حزني بعدك، لسرني أن أدعك تحشر في أجواف شتى»(٢). . .

ولحق ابن قميئة وقال: التفت يا محمد. . فالتفت إليه النبي ﷺ. . فضربه بحجر فشج وجهه، وقال: خذها وأنا ابن قميئة. . وراح ابن قميئة إلى غنمه، فنطحه منها كبش، فمات. . / فهو يتجلجل في النار إلى يوم القيامة. . . ٣٢/ب

وجاءت فاطمة رضي الله عنها، ومعها حشوة لجراح رسول الله ﷺ، والدم لا ينقطع، فأتاه جبريل عليه السلام، لا تخلي ينزل من دمك على الأرض قطرة ما يعود ينبت فيها أخضر. فجعل يلتقيه في كفه ويدربه في الهواء، ويقول: كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا الفعال، وهو يدعوهم إلى الإسلام. . فأنزل الله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾(٣). . وأخذت فاطمة رضي الله عنها قطعة من حصير، فأحرقتها وجعلتها في الجرح، فانقطع الدم. . .

وأحضر النبي ﷺ القتلى أحد عشر، وحمزة معهم، ليصلي عليهم، فصلى على حمزة سبعين تكبيرة، ودفن في موضعه رضي الله عنه. . .

---

(١) انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٧٢. . .

(٢) انظر الحاكم في المستدرك ٣/١٩٩. . .

(٣) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أُحد، ودمي وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى ربهم». قال: فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أو يَتُوبَ عَلَيْهِم أو يُعَذِبهم فَإِنَّهُم ظَالِمُون**﴾. . وانظر: أسباب النزول ـ للواحدي ص ١٠٢ و١٠٣، والبخاري في التفسير ـ باب: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ برقم /٤٢٨٣/، ومسلم في الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، برقم /١٧٩١/. سورة آل عمران ـ الآية ١٢٨. . .

وقيل: إن هند بنت عتبة، لما قطعت مذاكيره، فأخذت قطعة من كبده، فمضغتها، ثم بصقتها، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «أما لو أكلتها لم تدخل النار أبداً، لأن حمزة أكرم على الله أن لا يدخل شيئاً من جسده النار»[1]...

فلما نظر ﷺ إلى عمه، لم ينظر إلى شيء كان أوجع منه لقلبه، فقال رسول الله ﷺ: «رحمة الله عليك، كنت وصولاً للرحم، فعالاً للخيرات، ولولا حزني من بعدك عليك، لسرني أن أدعك تحشر في أجواف شتى، أما والله لئن أظفرني بهم لأمثلن بسبعين منهم».. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم**﴾.. وتتمتها: ﴿**بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾[2].. فأمسك ﷺ عما أراد، وكَفَّرَ عن يمينه...

وعن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، قال: خرجت أنا وعبد الله بن عدي بن الخيار، فمررنا بحمص، فلما قدمناها، / قال لي عبد الله بن عدي: هل لك أن نأتي وحشي، فنسأله كيف كان قتل حمزة رضي الله عنه..؟.. فقال له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه، فقال لنا رجل: أما إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجل قد علمت عليه الخمرة[3]، فلن تجدانه صاحياً، تجدا رجلاً غريباً، وتجدا بعض ما تريدان.. فلما انتهينا إليه، وسلمنا عليه، رفع رأسه.. قلنا: حياك الله، جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة رضي الله عنه.. [فقال][4]: أما إني سأحدثكما كما حدثت النبي ﷺ حين سألني عن ذلك.. قال: كنت غلاماً لجبير، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر، فلما سارت

٣٣/أ

---

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص ٣٧٣...

(٢) سورة النحل ـ الآية ١٢٦...

(٣) قال الدكتور مصطفى ديب البغا في كتاب أسباب النزول ـ للواحدي، في تحقيقه ص ٢٤٠، معلقاً على لفظ: قد غلب عليه الخمر: وهذا غريب عنه رضي الله عنه، على أن الصحابة رضي الله عنهم ليسوا معصومين من الوقوع في المعصية، وذلك لا ينقص من فضل صحبتهم طالما أنهم ثبتوا على الإيمان، وغالب الظن فيهم أنهم إن وقعت منهم هفوة لا يصرون عليها، وأنهم يتوبون إلى الله تعالى توبة نصوحاً...

(٤) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

قـريش إلى أُحـد، قـال لي جبيـر: إن قتلت حمـزة عمَّ محمـد ـ ﷺ ـ بعمي طعيمة فأنت معتوق. . فخرجت وكنت حبشياً أقذف بـالحربـة قذف الحبشـة، قد ما أخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس، خرجت أنظر حمزة حتى رأيتـه في عرض الجيش مثل الجمل الأورق يهد للنـاس سيفه هـداً، ما يقـوم له شيء، فوالله إني لا أتهيأ له، وأستـتر بحجر، أو شجر ليـدنو مني، إذ تقـدم مني إليه سباع بن عبد العُـزّى، فلما رآه حمـزة رضي الله عنه قـال: ها يـا ابن مقطعـة البظور. قال: ثم ضربه فكأنما أخـطأ رأسه، وهـززت حربتي حتى إذا رضيت منها، دفعتها إليه في ثنيته، حتى خرجت من بين رجليه، فذهب لينوء نحوي، فقلب، وتـركته حتى مـات، ثم أتيته فـأخذت حـربتي، ثم رجعت إلى الناس فقعدت في العسكر، ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما فعلته لأعتق، فلما قَدِمتُ مكة عُتقت، فأقمت فيهـا حتى فشا الإسـلام فيها، ثم خـرجت إلى الطائف، فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ، وقيل لي: إنه ﷺ لا يهيج الرسل. قال: فخرجت معهم حتى قَـدِمتُ مكـة، ووفـدت على النبي ﷺ، فلمـا رآني قـال: / أنت وحشي. . ؟. . قلت: نعم. . قـال: أنت قتلت حمزة. . ؟. . قلت: قـد كـان ذلـك من الأمر مـا بلغـك. . قـال: فهـل تستـطيـع أن تُغيب وجهـك عني. . فخـرجت، فلما قُبض رسـول الله ﷺ، وخرج النـاس إلى مسيلمة الكـذاب، قلت: لأخـرجن إلى مسيلمة، لعليَّ أقتله فـأكافىء بـه حمـزة، فخـرجت مـع الناس وكان من الأمر ما كان[1]. . .

٣٣/ب

---

(١) انظر الحديث بكامله في أسباب النزول ـ للواحدي ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، وانظر: البدايـة والنهايـة لابن كثير ١٨/٤. . .

قصة ذو القرنين

٣٢ ـ وَبِـهِـنَّ ذو القَـرْنيـن أَضْحَـىٰ جِسْمُـهُ مِنْـهُـنَّ دَائِـب
٣٣ ـ أَلْقَيْنَـهُ فـي مَـهلـكٍ وَخَـدعْنَـهُ خَـدْعَ الثَـعَـالِـب

وأمـا الإسكندر[1]، فـإنه سمي بـذي القرنين لأنـه ملك قرني الشمس، وقيل: إنه كـان له قـرنان[2]، واختلفـوا في أنه نبي أولًا، فمنهم من قـال: إنه ليس بنبي، وحجته أنه ليس لـه أربعين سنة. . وأمـا من قال إنـه نبي، فحجته أن الله سبحانه وتعـالى لم يخاطب إلا الأنبيـاء، في قولـه تعالى: ﴿قُلْنَـا يَا ذَا

(١) إن البعض قد توهم في: الإسكندر بن فيلبس المقدوني، وفي الإسكندر الوارد ذكـره بلقب ذو القـرنين، وإن كان الاثنـان قد سُميـا بنفس الاسم: الإسكندر، فـلا يعني ذلك أنهمـا شخص واحد كما يظن البعض أمثال ابن سينا وغيره، فـالإسكندر بن فيلبس المقـدوني متأخـر عن ذو القـرنين، وهو لم يبن سـوراً، ولا وصل إلى بـلاد يأجـوج ومأجـوج، وهـو أيضـاً مؤرخ للروم معروف ومشهور، كان أرسطو وزيره، أما الإسكندر ذو القرنين فقصته معروفة مشهورة. . .

(٢) قـال أبو حيـان الأنـدلسي في كتـابـه: تفسيـر النهـر المـاء من البحـر المحيط ج ٢، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، في تفسير: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ﴾. . الآية، الضمير في ويسألونك عائد على قريش حين دستها اليهود على سؤاله ﷺ عن الروح، والرجل الطواف، وفتية ذهبوا إلى الدهر، ليقع امتحانه بذلك، وذو القرنين هـو الإسكندر، ذكـره ابن إسحاق، وعن علي رضي الله عنـه قال: كان عبداً صالحاً، ليس بملك ولا نبي، ضُرب على قـرنه الأيمن في طـاعة الله تعـالى، فمـات، فبعثه الله تعـالى، وضُرب على قـرنه الأيسـر، فمات، فبعثـه الله تعـالى، فسمي: ذا القـرنين. . وورد في الحديث: أن الذين ملكوا الأرض أربعـة، مؤمنان، وكـافران، المؤمنـان: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبخت نصر. . وكان بعد نمروذ قوله. . .

﴿الْقَرْنَيْنِ﴾[1] . . الآية . . وتوفي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: خمساً وثلاثين، وقيل: سبعاً وثلاثين . . وكان الخضر عليه السلام وزيره وابن خالته، وما كان على وجه الأرض أعلم من أبي الإسكندر في علم النجوم، ولا راقب أحد الفلك ما راقبه، ومدَّ الله تعالى له في الأجل . . .

فقال أبو الإسكندر ذات ليلة لزوجته: قد كلني السهر، فخليني أرقد ساعة، وانظري في السماء، إذا رأيت قد طلع في هذا المكان ـ وأشار إليه بيده إلى الموضع ـ أنبهيني حتى أطأكِ، تعلقين مني بولد يعيش إلى يوم القيامة . . وكانت أخت زوجته تسمع كلام أبي الإسكندر . . ونام، وجعلت أختها تراقب النجم، فلما طلع، قالت لزوجها: قم لتنالني، فإن زوج أختي قد ذكر كذا وكذا . . فقام فواقعها، فعلقت منه بالخضر عليه السلام . . ثم استيقظ أبو الإسكندر من نومه، فرأى النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه فيه، فقال لزوجته: / لِمَ لا أيقظتني . . ؟ . . قالت: والله استحييت أن أقول لك: قم واقعني . . فقال لها: أما تعلمين أني أرقب هذا النجم منذ أربعين سنة، ولقد ضيعت عمري فيه، ولكن الساعة يطلع نجم في أثره فأطأكِ فيه، فترزقين مني ولداً يملك قرني الشمس، فلما وطئها، علقت منه بالإسكندر، وولدا يوم الاثنين في ليلة واحدة . . . ‏٣٤/أ

ثم إن الإسكندر فتح الله تعالى عليه بتمكينه في الأرض، وفتح البلاد على يديه، وأنه توجه إلى الصين، فسمعت به ملكة الصين الأولى، فأحضرت كل من أبصر الصورة ـ صورة الإسكندر ـ، فأمرتهم أن يصوروه في جميع الصنائع، خيفة منه، حتى جمعت عندها جميع من تعلم الرسم، وصوروه على البُسط والأواني والرقوم الأدهان، وكل من كانت صنعته بتبيض هذا الشغل، فوضعت جميع ما صنعوه بين أيديها من أشغالهم، حتى تقارب عمل بعضهم من بعض، وهي تنظر إلى العمل . . .

---

(١) سورة الكهف ـ الآية ٨٦.

فلما قدم عليها الإسكندر، ونزل على بلدها.. فقال الملك للإسكندر: أدخل هذه البلدة متنكراً، وأبصر كيف تعمل فيها.. فلما دخلها، نظرت إليه من حصنها، فعرفته بتقريب الصور التي عُملت لأجله، فأحضرته ووضعته في مطمور[1]، لا يعرف الليل من النهار، وبقي فيها ثلاثة أيام، لا يأكل ولا يشرب، حتى كادت قوته أن تسقط، والعسكر محيط به، والخضر عليه السلام يسكنهم، فلما كان في اليوم الرابع مدّت له سماط[2] نحو عشرين ذراعاً، ووضعت فيه أواني الذهب والفضة والجواهر، فكانت أواني الذهب واللؤلؤ والزبرجد، وأواني الفضة والياقوت، وفي أواني البلور والذهب، وما فيهما من شيء يؤكل، إلا ملك لا يعلم به إلا الله سبحانه وتعالى، وفي آخر السماط صحن فيه طعام، وعنده/ رغيف خبز، وشربة ماء.. وأمر بإخراجه، وأجلسته على السماط، فنظر، فلم يجد شيئاً يأكله، ثم نظر في آخر السماط فإذا بإناء فيه طعام، فسعى إليه، وتسمى باسم الله تعالى، وأكل، فلما فرغ من أكله وشرب الماء، قال: الحمد لله...

٣٤/ب

فحينئذ خرجت إليه وجلست، وقالت: يا سلطان، بعد ثلاثة أيام لم يغن عنك هذا الملك شيئاً، وكانت قوتك بعد ثلاثة أيام ما يساوي قيمته درهم، وقد صرت بهذه الصفة بعد ثلاثة أيام، ما صدَّ عنك هذا الذهب والفضة والجواهر سلطان الجوع، وأغناك هذا كله ما قيمته درهم واحد، فما لك تتعرض إلى أحوال الناس وأنت بهذه المرتبة...

فقال لها الإسكندر: لك دينك، وعليك بلادك، ولا بأس عليك بعد اليوم...

ثم قدمت جميع ما كانت أحضرته قُدَّامه، ومن المواشي مثل ذلك، ونزل إلى عسكره، وراح عنها، وتقبل جميع ما أهدت إليه، ثم إنه سار حتى دخل سور الصين...

---

(١) المطمور: حفرة تحت الأرض، تُجعل كالسجن...

(٢) السماط: ما يبسط ليوضع عليه الطعام...

وروى قتادة عن أبي الخلف، قال: الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ[1]، اثنا عشر ألف فرسخ للحبشة، وثمانية آلاف فرسخ للروم، وثلاثة آلاف فرسخ لفارس، وألف للعرب. . .

ووصل الإسكندر إلى السد، وبناه، وعرض السد سبعون ذراعاً، وارتفاعه مائتي ذراع، وطوله تسعة عشر فرسخاً. . .

قال بعض العلماء: هو ذو القرنين، وقد ذكره تبع في قوله شعراً:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملك تدين له العباد وتحفد[2]
من قبله بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد

وكان من خراب بيت المقدس إلى ملك الإسكندر مائتي وتسعة وستين سنة، ومن هبوط آدم عليه السلام إلى ملك الإسكندر خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون سنة. . .

* * *

(١) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل: اثنا عشر ألف ذراع، وهي تقريباً ثمانية كيلومترات. . .
(٢) تحفد: تخدم. . .

قصة لوط عليه السلام

٣٤ - وَبِهِنَّ لُوط قَومُهُ أَضْحَت مَدَائِنُهم سَبَاسِب

وهو لوط بن هاران/ بن تارخ بن أخي إبراهيم عليه السلام، وإنما سمي لوط، لأن حبه لاط[١] بقلب إبراهيم عليه السلام، أي: تعلق ولصق، ومنه حديث أبو بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر رضي الله عنه: اللهم اغفر والولد الوط.. أي: ألصق...   ٣٥/أ

وكان إبراهيم عليه السلام يحبه حبًّا شديداً، وكان أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء، وذكر وهب بن منبه في المسند: أن شخص بأرض بابل مع عمه إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، مؤمناً، متبعاً له على دينه، مهاجراً معه إلى الشام، ومعهما سارة بنت هازان، وشخص معهم تارخ أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم عليه السلام في دينه، مقيماً على كفره، شخص وإبراهيم ولوط، وساروا إلى الشام، فنزل إبراهيم عليه السلام فلسطين، ونزل لوط عليه السلام الأردن، فأرسله الله سبحانه وتعالى إلى سدوم[٢] وما يليها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى، وركوب الفواحش، كما أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١) يقال: التاط بقلبي، أي: التصق به وأحبه...

(٢) سدوم: مدينة قديمة في فلسطين على شاطئ البحر الميت...

عن قوم لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً من دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[1] . . .

وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك، ويدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، ويتوعدهم على اضراره على ما كانوا عليه، وتركهم التوبة، وحذرهم من العذاب الأليم، فلا يزجرهم من ذلك وعيد، ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً، واستعجالاً لعذاب الله سبحانه وتعالى إنكاراً وتكذيباً، ويقولون له: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2] . . حتى سأل لوط عليه السلام ربّه تبارك وتعالى أن ينصره عليهم، فقال: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَىٰ القَوْمِ المُفْسِدِينَ﴾[3] . . فأجاب الله سبحانه وتعالى دعاءَه، وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، لإهلاكهم: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾[4] . . . يعني: الملائكة سيء بهم، حزن لمجيئهم، لأنهم إثرة في غلمان جرد، فلما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم، أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾ . . ضاق: ضره وعظم المكروه عليه، / وقال: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ، وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[5] . . .

٣٥/ب

قال المفسرون: لما أضافهم لوط، مضت امرأة عجوز السوء واسمها واهلة، فقالت: استضاف لوطٌ قوماً لم أرَ أحسن وجوهاً منهم، ولا أطيب ريحاً، ولا أنظف ثياباً منهم، . . ومن قبل مجيئهم إليه، كانوا يعملون السيئات، فأمرهم أن النساء هن أطهر لكم، سُمي النساء بناته من حيث هو

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٨٠ و٨١، وقال عمرو بن دينار: ما رُؤيَ ذكر على ذكر قبل قوم لوط. . .
(٢) سورة العنكبوت ـ الآية ٢٩. . .
(٣) سورة العنكبوت ـ الآية ٣٠. . .
(٤) سورة العنكبوت ـ الآية ٣٣. . .
(٥) سورة هود ـ الآية ٧٧ و ٧٨، وانظر: تفسير النهر الماء من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٢، ص ٨١ و ٨٢. .

وليهم. قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وأنك لتعلم ما نريد.. فلما رأت الملائكة ما يتم على لوط من قومه، قالوا: يا لوط ركنك شديد، وإنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم.. ففتح الباب، فضرب جبريل بجناحه وجوههم فأعماهم، فصاروا لا يعرفون الطريق، ولم يؤمن بلوط إلا إنسانٌ.. ويقال: إن قومه ما كانوا يفعلون هذا الفعل إلا مع الغرباء، لا مع بعضهم البعض...

وقال رسول الله ﷺ:

- ● ـ «لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط»[1]...
- ● ـ «لعن الله من أتى غير مواليه»[2]...
- ● ـ «ملعون من أتى امرأة في دبرها»[3]...

ولـنا في هذا المعنى:

وقوم من بقايا قوم لوط	يروا أن اللياط من الرشاد
فقلت وقد رأيتهم جميعاً	يسوق الفسق في طلب الفساد
ألا بعداً لكم يا قوم لوط	كما بعد ثمود من قوم عاد

وأما الفواحش التي كانت عليهم، فهي عشرة من القول والفعل، فهي: حذف الحصى، والسخرية، والصفير، ولعب الحمام، والرمي بقوس البندق، وحل الإزار، والمشي بلا سراويل، والعلك عند الناس، والتعمم طبقة، وكانوا ينكحون بعضهم أمام بعض.. قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[4]...

---

(١) رواه النسائي، وانظر: تحفة الأشراف ٥/١٥٩...

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٤/١٥٣...

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/٤٤٤ و٤٧٩، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، برقم /٢١٦٢/، عن أبي هريرة...

(٤) سورة العنكبوت ـ الآية ٢٩...

قال المفسرون: أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحت مدائن لوط، وهي أربع مدارات[1]، في شمل المدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى المدارات، / فاقتلعها، حتى سمع أهل السماء نهيق الحمار، وصياح الديك، ولم تسقط لهم جرة، ولم ينكب لهم آنية، وكان الطير يخرج في الهواء لا يدري أين يذهب، فلما قلبها عليهم مكانها، وجعل عاليها سافلها، وامرأته معهم[2]. . .

٣٦/أ

وقيل: إن قرية لوط أتوها نصف النهار، فلما بلغوا، انهزم سدوم. . ولقوا بنتا لوط تستسقي الماء لأهلها، وكان له بنتان، اسم الكبرى ـ ريثا ـ، واسم الصغرى ـ عريثا ـ. . فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل. .؟. . قالت: نعم، قفوا مكانكم ولا تدخلوا حتى آتيكم. . فرقت عليهم من قومها وأتت أباها، فقالت: يا أبتاه، أدرك فتياناً على الباب، ما رأيت وجوهاً قط أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوك. . وكان قومه قد نهوه أن يُضيف الرجال. . فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ**﴾[3]. . فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قال: ما رأيت أحسن من قوم في بيت لوط، فامرأته كانت سبباً لهلاكهم. . والله أعلم[4].

قال: كتب عبد الملك بن مروان، إلى ابن حبيب قاضي حمص، يسأله: كم عقوبة اللوطي. .؟. . فكتب إليه أن عليه رمي الحجارة، كما رُجم قوم لوط، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن**

---

(١) المدارات: الطرقات. . .

(٢) المقصود: امرأة لوط عليه السلام. .

(٣) سورة الحجر ـ الآية ٣٠. . .

(٤) انظر كل من الآيات في كل من السور الكريمة: الأعراف ـ ٨٠/٨٤، النحل ٥٤/٥٨، هود ـ ٦٧/٨٣، العنكبوت ـ ٢٦/٣٥، الشعراء ـ ١٦٠/١٧٥، الحجر ـ ٥٧، الصافات ـ ١٣٣/١٣٨، الأنعام ـ ٨٦، الأنبياء ـ ٧٤/٧٥، الحج ـ ٤٣/٤٤، قَ ـ ١٣/١٤، القمر ـ ٣٣/٣٩. . .

سِجِّيلٍ منضُودٍ﴾[1]. . فقبل عبد الملك ذلك منه، واستحسنه. . .

قال: وكان رجل منهم يتحدث في قريته التي كان فيها، فيأتيه حجر فيقتله. . .

قال: وسمعت امرأة لوط الهدة، فالتفتت وقالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ﴾[2]. . .

قالت: خالفت، فمسخت حجراً، تسمى هيلسفع، وقال غيره: اسمها واعلة. . .

وكانت قرى قوم لوط خمس مدائن: / صدوم، وعامورا، ودادوما، وميراهيم، وسدوم، وهي القرية العظمى، وكانت في هذه القرية أربعة آلاف ألف، وأما القرية الخامسة فإنها نجت من العذاب لأن أهلها قد آمنوا بلوط. . . ٣٦/ب

ولما نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ، مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[3]. .

وقال رسول الله ﷺ: «لقد أحسن في وصفك ربك فقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ﴾. . فما بلغ من قوتك، وما بلغ من أمانتك. . ؟. . قال: أما قوتي، فأرسلت إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن، في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل، فرفعتها إلى السماء، ثم جعلت أعلاها

(١) سورة هود ـ الآية ٨٢. . وقال الإمام الذهبي: اللواط أفحش من الزنا وأقبح، انظر كتاب الكبائر، في الكبيرة السابعة عشرة، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط». وإسناده حسن، وقال ابن الطلاع في أحكامه: لم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه رجم في اللواط، ولا أنه ﷺ حكم فيه، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به». وذهب الشافعي رحمه الله أن حد اللوطي وحدّ الزنا سواء. .

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ٨٣. . .

(٣) سورة التكوير ـ الآية ٢٠ و٢١. . .

أسفلها ـ قال: وما بلغ من طاعتك..؟.. قال: إن رضوان خازن الجنان، ومالك خازن النار، متى كلفتهما فتحا أبواب الجنة، وفتحا أبواب النار.. قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾..؟.. قال: إن الله عز وجل أنزل من السماء مائة كتاب، وأربع كتب على أنبيائه، لم يأتمن عليهم غيري...

وفي حديث آخر، قال: أخبرني عن أمانتك..؟.. قال: ما أقول إلا ما قد قيل لي، لا أزيد حرفاً، ولا أنقص حرفاً...

وروى أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء..؟.. قال: مائة وعشرون ألفاً.. قلت: فكم الرسل..؟.. قال: ثلاثمائة وثلاثة عشرٌ، أولهم آدم، وآخرهم نبيك.. قلت: يا رسول الله، كم كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى..؟.. قال: مائة كتاب، وأربع كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى نوح ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرة صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشرة صحائف، ثم أنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان...

* * *

قصة جذيمة والزباء

٣٥ ـ وَكَذَلِكَ حُصنٌ بِالعِراقِ   بِهِنَّ أمسىٰ وَهُوَ ذَاهِب
٣٦ ـ خَرّبنَهُ وتَركْنَهُ لِلبُومِ   والعُقبانِ سَائِب

قال ابن الكلبي: إن جذيمة من العرب الأولى، وكان في أيام الطوائف، وكان الحائل يسمى: جذيمة الأبرش، لأنه أصابه حرق نار، / فبقي أثره نقط سود وحمر. . . ٣٧/أ

وقال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة، وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى الأنبار، وكان يكنى بأبي مالك، وكان الملك قد قتل جذيمة أباه، وكان أول من ملك الجزيرة، وقتل جذيمة أبا الزباء، وغلب على ملكه، وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها، وكان يغير على ملوك الطوائف، حتى غلب على كثير ممّا في أيديهم، وهو أول من أوقد الشمع، ونصب المناجيق للحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق، وكانت الزباء عاقلة أديبة، وسميت الزباء، قيل: إنه كان لها شعر يجللها، وما كان يقدر عليها رجل، فكان جنود الزباء: العماليق[1]، والعادية

(١) العماليق: قبيلة من العرب العاربة، وهي أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول، وقد تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل المشرق، وأهل عمان، والبحرين، والحجاز، وكان منهم ملوك العراق، والجزيرة، وجبابرة الشام، وفراعنة مصر. والله أعلم. . جدهم الأول: عمليق، وقيل: عملاق. انظر: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ للسويدي ص ٣٧. . .

الأولى[٢]، وسليخ ويزيد ابني حلوان بن عمران، فكان معهم من قبائل قضاعة[١]، وكانت الزباء لها أخت يقال لها: زبيبة، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطىء الفرات الغربي، وكانت تتوعد أختها، وترتع ببطن التجار، وتسير إلى تدمر، فلما استجمع لها أمرها، طلبت بثأر أبيها، فنهتها أختها عن ذلك. فبعثت إليه تخطبه على نفسها ليتصل ملكه بملكها، فدعته نفسه إلى ذلك، فشاور وزراءَه على ذلك، وكل شار عليه أن يفعل، إلا قصير بن سعد اللخمي، فإنه قال له: أيها الملك، لا تفعل فإنها خديعة ومكر، فعصاه، وأجابها إلى ما سألت. فقال قصير عند ذلك: لا يطاع لقصير رأي.. فذهبت مثلاً.. ولم يكن قصيراً، بل كان هذا اسمه، ثم كتبت إليه أن سر إلي.. فجمع أصحابه في بيته، في قرية على الفرات، وشاور وزراءه، فشاروا عليه بمثل المشورة الأولى.. فقال قصير: أيها الملك، أما إذا أغضبتني، فإذا رأيت جندها قبل أن يقبلوا إليك، ترحلوا وحيوك، ثم ركبوا وتقدموا، فقد كذب ظني، وإذا رأيتهم حيوك/ وطافوا بك، فإني معرض لك العصا ـ وهي فرس كانت لجذيمة لا تُدرك ـ فاركبها وانجُ بنفسك...

٣٧/ب

فلما أقبل جيشها حيوه، ثم طافوا به، فقرب إليه القصير العصا، ففشل عنه، وأبى ركوبها، فركبها قصير فنجا، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب، فقال: ما ضلَّ من جرت به العصا. وصارت مثلاً.. وجرت إلى غروب الشمس، ثم تعبت، وكانت قد قطعت أرضاً بعيدة، فبنى عليها برجاً يقال له: برج العصا. وقالت العرب: خير ما جاءت به العصا.. تضربه مثلاً العرب...

العادية الأولى: تسمى باسم أبيها عاد، والذي ورد اسمه في القرآن الكريم، وبنوه قبيلة من العرب العاربة البائدة، وقد غلب عليهم اسم أبيهم، وكانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعُمان، من البحرين وحضرموت، انظر: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ للسويدي ص ٤١...

(١) قضاعة: قبيلة من حمير من القحطانية، وهذا هو المشهور فيهم...

ودخل جذيمة على الزباء وبين يديها ألف وصيفة، وقد أطالت شعر عانتها، فلما دخل تكشفت له، وقالت: أمتاع عروس ترى يا جذيمة..؟.. فقال جذيمة: بل متاع أمة بدراً.. فقالت: أما إنه ليس من عدم المواشي.. ثم أمرت به، فجلس على نطع،فأمرت براهشِه[1] فقطعت..وقد كان قد قيل لها: احتفظي بدمه، فإنه إن أصاب الأرض قطرة من دمه على الأرض طُلب.. فقالوا: لا تضيعوا به المُلك.. فقال جذيمة: دعوا دماً ضيعه أهله.. ومات...

وروي من طريق آخر: أنه بعث إليها فخطبها.. فكتبت إليه: إني فاعلة، ومثلك يُرغب فيه، فإذا شئت فاحضر إليَّ.. فجمع عند ذلك جذيمة وزراءه، واستشارهم كالذي تقدم...

وروي أن جذيمة دخل القصر، وليس فيه إلا الجواري، وهي على سريرها، فقالت للإماء: خذوا بيد سيدكم.. ففعلن.. ثم دعت بنطع، فأجلسته عليه، فعرف عندئذ الشر، فكشفت عن عورتها، فإذا هي قد عقدت/ أُستها من ورائها، فقالت: أسوار عروس ترى..؟.. فقال جذيمة: بل سوار أمة انظر.. ثم تمام الحديث ما قدمنا.. فهذا ما كان من جذيمة والله أعلم... ٣٨/أ

وقيل: سقته الخمر حتى ذهب عقله، ثم أمرت برواهشه فقطعته، وكانت الزباء اسمها نائلة، وكانت زرقاء، وكانت الزباء يقال لها: اليمامة الزرقاء، وكذلك البسوس أيضاً زرقاء، وصاحبة دير الزبيب بنت اليمان أيضاً زرقاء، وأيضاً الزرقاء بنت عدي بن غالب من الوافدات على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[2]...

---

(١) براهشِه: عروق في ظاهر الكف، أو في يدي الدابة، تعقر عند الاصطكاك، والراهشان هما عرقان في باطن الذراعين...

(٢) خبر الزرقاء مع معاوية من طريق العباس بن بكار، في بلاغات النساء ص ٥٠، والعقد الفريد =

وهنَّ أربع، واختلف في نسب الزباء، فقيل: كانت رومية، وكانت تتكلم العربية، ومدائنها على الفرات من الجانب الشرقي والغربي...

* * *

= ـ ٣٢٩/١، ومن طريق آخر ـ في تاريخ دمشق ص ١٠٩، تراجم النساء.. وفي صبح الأعشى ٢٥٢/١، وفي جمهرة خطب العرب ص ٣٧٣، وهي الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية، من أهل الكوفة، شهدت مع قومها صفين، وكان لها لسان وعقل...

قصة يوسف عليه السلام

٣٧ ـ قَـدْ أودَعُـوا السِّجن العَـزيـزِ بكيدِهُـنَّ وَكَـانَ غَـالـب
٣٨ ـ وقـددنَ منْـهُ قَميصَـهُ فَـرَأى بَـرَاهِيـنَ الـعَجَـائـب
٣٩ ـ وكـذَّبـنَ فِيمَـا قُلـنَ فِيـه وَكُـنَّ فِيـهِ مِـنَ الكَـوَاذِب
٤٠ ـ وَطَلَبْـنَ مِنْـهُ رضـاؤهـنَ فَخَـابَ مِـنهُـنَّ المَطَـالِـب

قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1]...

---

(١) ورد في تفسير النهر الماء من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٢، ص ١٠٣، في تفسير الآية: قال: ومن حديث جابر بن عبد الله أن يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف. فسكت عنه، ونزل جبريل عليه السلام، فأخبره بأسمائها، فدعا رسول الله ﷺ، ذلك الرجل اليهودي، فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك..؟.. قال: نعم.. فقال ﷺ: جريان، والطارق، والذيال، وذو الكتفين، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، وذو الفرع، والضياء، والنور.. فقال اليهودي: أي والله إنها لأسماؤها.. وقال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ أخر الشمس والقمر..؟.. قلت: أخرهما لعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخبر جبريل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليهما لذلك. ويجوز أن تكون الواو بمعنى: مع أي أرأيت الكواكب مع الشمس والقمر... انتهى... سورة يوسف ـ الآية ٤...

وكانت القصة على ما ذكره أصحاب الأخبار: إن يعقوب عليه السلام، لم يكن يأمن أحداً على يوسف عليه السلام، وكان بنوه إلى جانبه، فبينما يوسف عليه السلام نائماً عند أبيه ليلة من الليالي، إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، وكانت ليلة الجمعة، فانتبه من نومه فزعاً مرعوباً، فالتزمه يعقوب عليه السلام، فضمه إلى صدره، وقال: يا حبيبي ما لك..؟.. ما الذي أصابك..؟.. فقال: يا أبت، رأيت رؤيا أفزعتني.. قال: يا بني خيراً/ رأيت، فما الذي رأيت..؟.. قال يوسف عليه السلام: رأيت كأن أبواب السماء فُتحت، وقد أشرق منها النور، واستنارت النجوم، وأشرقت الجبال، وزجرت البحار، وعلت أمواجها، وسبحت الحيتان بأنواع اللغات، ورأيت كأني لبست رداء أشرقت الدنيا من حسنه وجماله ونوره، ورأيت كل مفاتيح خزائن الأرض بين يدي، فبينما أنا كذلك، إذ رأيت أحد عشر كوكباً انقضت من السماء، ومعها الشمس والقمر، فخروا لي ساجدين.. فقال يعقوب عليه السلام: **﴿يَا بُنَي لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإنسَانِ عَدوٌّ مُبِينٌ﴾**[1].. ثم عبر رؤياه، فقال: **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾**[2]...

٣٨/ب

قال: وسمعت امرأة يعقوب عليه السلام ما قاله يوسف عليه السلام لأبيه، فقال لها يعقوب عليه السلام: اكتمي ما قاله يوسف، ولا تخبري أولادي بذلك.. قالت: نعم.. فلما أقبل أولاد[3] يعقوب عليه السلام من مراعيهم، أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب عليه السلام بكتمانها، فانتفخت أوداجهم، واقشعرت جلودهم غضباً على يوسف عليه السلام، وقالوا لها: ما

(١) سورة يوسف ـ الآية ٥...

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٦...

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/١٩٥، هم: رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون... وهؤلاء من ليسا، ويوسف، وبنيامين من راحيل، ودان، ونفتالي، من بلهة جارية راحيل، وقيل: من زلفة جارية ليسا، وقد ولدوا جميعاً في فدان آرام، إلا بنيامين فإنه ولد في أرض كنعان...

عنى بالشمس غيرك، ولا بالقمر غير أبينا، ولا بالكواكب غيرنا.. ثم قالوا: إن ابن راحيل يريد أن يملك علينا، ويقول: أنا سيدكم، وأنتم عبيدي.. فحسدوه على ذلك، وران الشيطان في نفوسهم...

وكذلك قيل في الحكمة: لا تأمنن قارئاً على صحيفة، ولا شاباً على امرأة، ولا امرأة على سرٍّ...

قال: وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، يأمره بأمر، وأمره أن يستره، وكان على رأس عبد الملك في ذلك الوقت وصيفة تقرأ، / وهو لا يعلم ذلك، فاطلعت على ما كتب، فأذاعته، فلما يشك أحد أن الحجاج صاحبه، فكتب يقطعه عذراً، فكتب وحلف أنه لم يخرج منه ذلك السر إلى أحد، ويسأله أن ينعم النظر، ويتذكر لعله أن يكون قد أفضى به إلى غيره، أو احتال محتال على الكتاب ففضه، أو اطلع فيه مطلع وهو يكتبه، فتذكر عبد الملك، فذكر الجارية التي كانت عند رأسه في وقت كتابته، فدعا بها، فسألها وأرهبها، فاعترفت بالقضية، فتمهل عبد الملك، وقال: ألم تَر أن وشاة الرجال لا يدعون أديماً صحيحاً، ولا تُفْشِ سرك إلا إليك، فإن لكل نصيح نصيحاً...

٣٩/أ

ثم رجعنا إلى القصة:

قال أهل التاريخ: لما فارق يوسف عليه السلام أباه، كان ابن اثنتي عشرة سنة، وراودته زليخا وهو ابن عشرين سنة، وأودع في السجن وهو ابن سبع وعشرين سنة، وأقام في السجن انثتي عشرة سنة، منها خمس سنين قبل تعبير الرؤيا، وسبعٌ بعدها عقوبة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**اذْكُرني عِندَ ربِّكَ**﴾[1].. فنزل جبريل عليه السلام، فقال له: الفرج تطلبه من غيرنا لمعاقبتك بها بضعاً.. وشكا يوسف عليه السلام طول مكثه في السجن،

(١) سورة يوسف ـ الآية ٤٢...

فنزل إليه جبريل عليه السلام، وقال: أنت طلبت السجن.. فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1].. ولو قلت: العافية، لعوفيت.. وقام على الأهرام سنة...

وقال رسول الله ﷺ: «لو لم يقل يوسف، اجعلني على خزائن الأرض، لملك من يومه»[2]..

وقد أقام في الملك اثنتين وسبعين سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وأقام أبوه عنده في مصر بعد اجتماعه به ثلاثاً وعشرين سنة، ومات يوسف وله مائة وعشرون سنة، / ومات يعقوب عليه السلام وهو ابن مائة وخمس وسبعون سنة، ومات إسحاق عليه السلام وله ستون سنة...

٣٩/ب

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَفْسِهِ﴾[3].. أي: قصدته وطلبته، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾.. معناه: إني قد هيأت الزينة لك[4].. أي: عجب من زليخا حين جاءت بيوسف، أغلقت على نفسها باب المدح والذم، وفتحت على نفسها باب المحبة، فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.. معناه: أي أنه رباني في بيته، وأكرمني، هذا العزيز فلا أخونه في بيته وماله.. ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾...

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[5].. ورد في الخبر

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٣٣...

(٢) عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه أخره لذلك سنة، فأقام في بيته سنة مع الملك».
انظر: تفسير البغوي ـ تفسير الآية ٥٥ من سورة يوسف.

(٣) سورة يوسف ـ الآية ٢٣، وتمامها: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابِ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمونَ﴾...

(٤) قيل: هيت، اسم فعل بمعنى أسرع، ولك، للتبين، أي لك أقول، أمرته بأن يسرع إليها، وقال الكسائي والفراء: إنها لغة حورانية وقعت لأهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها: تعال...

(٥) سورة يوسف ـ الآية ٢٤، وتمامها: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾...

أنها لما ذكرت محاسنه هَمَّ بها. . وقال بعضهم: هَمَّتْ به بالحرام، وهَمَّ بها بالحلال. . .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلا أَنَّ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلِصِينَ﴾. . اختلفوا في البرهان ما هو. . ؟. . فقال بعضهم: إن طيراً وقع على كتفه، وقال: رفعت ومحيت من ديوان النبوة. . وقيل: إنه رأى يعقوب عليه السلام وهو عاض على إصبعه، وهو يقول: يا يوسف لا تفعل فعل السفهاء. . قال: فعند ذلك هرب منها، وقصد الباب عند رؤيته يعقوب عليه السلام، وقد تصور له على صورة يعقوب عليه السلام، جبريل عليه السلام. . .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَفْسِهِ﴾. . يعني: امرأة العزيز التي كان يوسف عليه السلام في بيتها، طلبت منه أن يواقعها، والمراودة، المطالبة بأمر العمل به، لقد طالبته بما تريد النساء من الرجال. . ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابِ﴾ معناه: قال المفسرون: غلقت سبعة أبواب، ثم دعته إلى نفسها. . ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾. . معناه في جميع قول [أهل][1] اللغة والتفسير: هلمَّ. . قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾. . أعوذ بالله أن أفعل هذا، والمعنى، أعتصم بالله سبحانه وتعالى من هذا، إنه ربي الذي اشتراني، / وهو سيدي[2] أحسن مثواي، أي: أنعم عليَّ بإكرامي، فلا أخونه، إن فعلت ذلك كنت ظالماً، ولا يفلح الظالمون، ولا يسعد العصاة الزانون. . .

٤٠/أ

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .

(٢) هو ليس بسيد ليوسف عليه السلام، والسيد في لغتهم هو الزوج، فالمرأة تقول لبعلها: سيدي، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً﴾. . . سورة يوسف ـ الآية ٢٥، ويكون السيد لها فقط، وهو ليس سيداً ليوسف عليه السلام على الحقيقة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس[1] الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف عليه السلام، فقال لامرأته: أكرمي مثواه.. والمرأة التي أتت موسى عليه السلام، فقالت لأبيها: يا أبت استأجره.. وأبو بكر رضي الله عنه حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه...

قال: وجعلت تراوده:

فقالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك..؟!..

قال: هو أول ما ينثر من جسدي...

قالت: يا يوسف، ما أحسن وجهك..؟!..

قال: هو للتراب مأكلاً...

قالت: يا يوسف، ما أحسن صورتك..؟..

قال: ربي صورني في الرحم...

قالت: يا يوسف، ما أحسن عينيك..؟!..

قال: هي أول ما تسيل على الأرض من جسدي...

قالت: يا يوسف، صورة وجهك أنحلت جسمي..؟!..

قال: الشيطان يعينك على ذلك...

قالت: فراش الحرير قد بسطته، قم فاقض حاجتي...

قال: إذاً.. يذهب نصيبي من الجنة...

قالت: ادخل الستر معي...

قال: أيسترني من ربي..؟..

فلم تزل تطمعه مرة، وتدعوه للذة، وهو شاب...

قالت: يا يوسف، قد التهبت الجنة ناراً قم فأطفئها...

قال: إن أطفأتها ففيها أحترق...

قالت: يا يوسف، الجنة قد عطشت قم فاسقها...

قال: من كان المفتاح في يده فهو أحق أن يسقيها مني...

---

(١) أفرَسَ: من الفراسة، ثبت النظر وإدراك الباطن من النظر بالظاهر...

قالت: ضع يدك على صدري تشفيني بذلك. . .

قال: سيدي أحق مني بذلك. . .

فقامت امرأة العزيز إلى الصنم، فأظلت دونه بثوب. . .

فقال: ما هذا. . ؟. .

قالت: أستحي أن يرانا. . .

فقال: أتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يعقل، ولا تستحي ممن خلق السموات والأرض، وخلق الأشياء وعلمها. . .

قالوا: فلما رأى يوسف عليه السلام البرهان، قام مبادراً إلى الباب هارباً ممَّا أرادته منه، واتبعته المرأة، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ**﴾[1]. . يعني: تبادر يوسف عليه السلام والمرأة إلى الباب. . أما يوسف عليه السلام فراراً من ركوب الفاحشة، وأما المرأة فطلباً ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عليها، فأدركته، فتعلقت بقميصه من خلفه، فجذبته إليها مانعة له فقدَّته، أي: خرقت وشقت قميصه من دُبُرٍ، من خلف، لأن يوسف عليه السلام كان الهارب، والمرأة هي الطالبة، فلما خرجا لقيا سيدها لدى الباب، أي: وجدها زوجها فوطيفار[2] جالساً مع ابن عم راعيل[3]، فلما رأته هابته، فقالت سابقة القول: ﴿**مَا جَزَاءَ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4]. . يعني: الضرب بالسياط. . وهذا المثل السائر: خذ اللص قبل أن يأخذك. . فقال يوسف عليه السلام: بل هي التي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها، فأدركتني وشقت قميصي. . .

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٢٥. . .

(٢) فوطيفار: هو عزيز مصر، ومعناه: عطية إله الشمس، وهو قائد حرس فرعون. . .

(٣) راعيل: روي أن راعيل هو اسم زوجة فوطيفار.

(٤) تمام الآية ـ ٢٥، من سورة يوسف، قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. . .

قال نوف الشامي: ما كان يوسف عليه السلام يريد أن يذكره.. فلما قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً.. غضب يوسف عليه السلام، وقال: هي راودتني عن نفسي.. وشهد شاهد من أهلها...

قال الشعبي: كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين جاؤوا بقميصه إلى أبيه، فقالوا: أكله الذئب.. لشق قميصه.. وحيث سعى نحو الباب فأدركته، فشقت قميصه من خلفه، فعرف الملك أنه لو كان هو الذي راودها، لكان الشق من بين يديه، وحيث ألقي القميص على وجه أبيه فارتد بصيراً.. واختلف العلماء في هذين الشاهدين...

قال سعيد بن جبير، والضحاك، كان في المهد صبياً، أنطقه الله سبحانه وتعالى، يدل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «تكلم أربعة وهم صغار، ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، / وصاحب جريج الراهب، وعيسى ابن مريم»[1]... ٤١/أ

وقيل: إن شاهد يوسف كان عمره ستة أشهر، فلما رأى قميصه قُدّ من دُبُر، وعرف خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه السلام، قال: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2].. ثم أقبل على يوسف عليه السلام، وقال: يا يوسف، أعرض عن هذا ولا تذكره لأحد.. ثم قال لامرأته: استغفري لذنبك إنك كنت من الخطائين، أي: من المذنبين...

قال: فشاع أمر يوسف عليه السلام وراعيل في مصر، وتحدث الناس بذلك نسوة في المدينة، وهن: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب.. أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، يعني: عبدها الكنعاني قد شغفها حباً، حلَّ حبه شفاف قلبها

---

(١) حديث متفق عليه، بلفظ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسىٰ ابن مريم، وصاحب جريج، وصبي كان يرضع من أمه، عن أبي هريرة... وليس فيه شاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون...

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٢٨.

وهـو حجابـه وعلاقـه: ﴿إِنَّا لَنَـرَاهَا فِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].. أي: خطأ بيِّنٌ، حيث تـراود عبـدهـا عن نفسـه، فلمـا سمعت بمكـرهن راعيـل، وبقـولهن وحديثهن، وذلك إنما قلن ذلك مكراً بها، لتـريهن يوسف عليـه السلام، لمـا كان بلغهن من حسنه وجماله، اتخذت مائدة، ودعت أربعين امرأة من النسـوة اللواتي عيرنها، فلذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكئاً﴾[2].. متكـأ، أي: مجلساً للطعـام، ومائـدة عليها أصنـاف الطعـام.. قال: اعتـدت لهن، أترجـاً، وبطيخـاً، وموزاً، ورمـانـاً، ووردا.. ﴿وَأَتَتْ كُـلَّ وَاحِـدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾.. وقـالت ليـوسف: ﴿اخْـرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.. وكـانت قـد أجلستـه في مجلس غيـر المجلس الـذي هنَّ فيـه جلوس، فخرج يوسف عليه السلام عليهن: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ/ أَكْبَرْنَهُ﴾.. وهالهن ٤١/ب أمره وبهتن، ﴿وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.. بالسكاكين التي معهن، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج...

وعن وهب: بلغني أن تسعـاً من الأربعين متـن في ذلـك الـمجـلس، ووجدوا يوسف عليه السلام: ﴿حَاشَا لِلَّهِ﴾.. معـاذ الله.. ﴿مَا هَـذَا بَشَر إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[3].. فقالت راعيل عنـد ذلك للنسـوة: ﴿فَذَلِكُـنَّ الَّـذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[4].. أي: من جهة حبه وشغفي، ثم أبدت لهن ما بان من عذرها لهن، فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.. أي: امتنع واستعصى، فقالت النسوة ليوسف عليه السلام: أطع مولاتك.. فقالت راعيل: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَـلْ مَا آمُـرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَن مِنَ الصَّـاغِرِينَ﴾[5].. فـاختار يـوسف عليـه

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٣٠، وتمامها: ﴿وَقَالَتْ نِسْـوَةٌ في الْمَدِينَـةِ امْرَأَةُ الْعَـزِيزِ تُـرَاوِدُ فَتَاهَـا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَرَاها في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾...

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٣١...

(٣) تتمة الآية ـ ٣١، من سورة يوسف...

(٤) سورة يوسف ـ الآية ٣٢...

(٥) سورة يوسف ـ تتمة الآية ٣٢...

السلام حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته على المخالفة، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ﴾[1].. الدالة على براءة يوسف عليه السلام، وهي: قد القميص من دبر، وخمش الوجه، وقطعن النسوة أيديهن.. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[2]..

قال السدي: وذلك حين قالت لزوجها: إن هذا العبراني قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم، ويخبرهم بأني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر، وإما أن تحبسه، فحبسه بعد علمه ببراءته، وذلك دفعاً للتهمة عن امرأته، / وذُكر أن الله سبحانه وتعالى قد جعل له الحبس تطهيراً...

٤٢/أ

وقال ابن عباس رضي الله عنه: عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات:

١ ـ حين هم بها فسجن[3]...

٢ ـ حيث قال: اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين[4]...

٣ ـ وحين قال لإخوته: إنكم لسارقون. فقالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل[5]...

---

(١) سورة يوسف ـ الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥...

(٢) تتمة الآية ٣٥، من سورة يوسف...

(٣) إشارة إلى الآية ـ ٢٤، من سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾...

(٤) إشارة الى الآية ـ ٤٢، من سورة يوسف: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾...

(٥) إشارة إلى الآية ـ ٧٠ من سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. والآية ـ ٧٧، من سورة يوسف: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾...

قال: سمعت محاضر بن الورع يقول: أول من شعر يعقوب عليه السلام، لما جاؤوا فأخبروه عن يوسف عليه السلام، فقال:

صبر جميل في الذي جئتم به فحسبي إلٰهي في المهمات كافيا

قال:

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوس على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة وقاد به الصبر الجميل إلى الملك

وكتب بعضهم إلى صديق له، قال: ورأيي أن ضيق الخوف متسع الأمن، وأول مفروج به آخر الحزن، فلا تبتئس، والله في ملك يوسف عليه السلام خزائنه بعد الخلاص من السجن...

ولنا في المعنى:

الحبس تجربة الصديق وإنه لشماتة الحساد والأعداء
وقبور قوم لا تزار بيوتهم موتى وهم في صورة الأحياء
قطعت علائقهم وقل نصيرهم فعليلهم أبداً بغير شفاء
فاصبر على جور الزمان فلا تدم حالات في السراء والضراء

وكتب يعقوب عليه [السلام][1] إلى يوسف عليه السلام لما استبعد أخاه بالسرقة....:

بسم الله الرحمن الرحيم
من يعقوب نبي الله، بن إسحاق ذبيح الله، بن إبراهيم خليل الله...
أما بعد:

فإنا أهل بيت نبوة/ موكل بنا، أما أبي فشدت يداه، وألقيت السكين على نحره ففداه الله، وأما جدي فشدت يداه، وألقي في النار فنجاه الله، ولما كان لي ولد كنت مغرم بحبه، ففرق الله بيني وبينه، وإنا لا نسرق ولا نلد ٤٢/ر

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

سارقاً، وأما أنت فلئن لم تردد عليَّ ولدي لأدعون عليكم دعوة تعمل معك إلى سبع من عقبك. . .

وملك يوسف عليه السلام مصر، وأوحى الله سبحانه وتعالى أن اتخذ لك وزيراً، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: ما يصلح هذا، فاتخذ غيره. . فاتخذ يوسف عليه السلام. . فأتاه ثانياً، وقال: ما يصلح هذا. . ومن ثم اتخذ ثالثاً. . فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: ما يصلح هذا. . قال يوسف عليه السلام: ناشدتك الله، أرشدني إلى من أتخذه وزيراً. . فقال له: إن في المسجد الفلاني فقيراً فاتخذه وزيراً. . فصلى يوسف عليه السلام المغرب، ونزل إليه، وعليه ثياب رثة الفقر، فدخل عليه وسلم عليه، فلما آنسه بالكلام، قال له يوسف عليه السلام: أتعرف من أنا. . ؟. . قال: لا. . قال: أنا يوسف عزيز مصر، وإن الله تعالى أمرني أن أتخذك وزيراً. . ثم أخذه بيده، وقام معه، ويوسف عليه السلام يتفكر بأي شيء يستحق هذه الوزارة. . فنزل جبريل عليه السلام إليه وقال: ألا تعرف هذا الرجل يا يوسف. . ؟. . قال: لا. . قال: هذا الذي شهد ببراءتك وله ستة أشهر، ألا يستحق الوزارة. . ؟. . قال: بلى. . .

قال: وإن يوسف عليه السلام لما اجتمع بأبيه. . قال له يوسف عليه السلام: يا أبت، بكيت عليَّ إلى أن أذهب الله بصرك. . . قال: نعم. . قال: وحزنت عليَّ إلى أن تقوس ظهرك. . قال: نعم. . قال: ما علمت/ أن القيامة تجمعنا. . قال: بلى، ولكن خشيت أن تموت على غير دين الإسلام، فلا نلتقي أبداً. . فقال له أبوه: يا يوسف، علمت ما كان مني لأجلك، وما افتقدت عرفتني بخبرك أعققتني. قال: لا والله يا أبي، ولكن، كنت أقف على هذه الخزانة، وكلما كتبت إليك كتاباً، يأتيني جبريل عليه السلام يأمرني بتركه. . وأن امتثال أمر الله سبحانه وتعالى حق. . .

٤٣/أ

* * *

قصة يونس عليه السلام

٤١ ـ وَكَذَلِكَ يُونُس لَمْ يَزَل عَلَيهِ فِي الدُّنْيا صَوَاحِب

وأما يونس عليه السلام[1]، وهو ذو النون صاحب الحوت، وهو يونس بن متى من سبط لاوي، وبعث نبيًّا وهو ابن أربعين سنة، وكان من عماد بني إسرائيل، فهرب بذنبه، واختلفوا في ذهابه مغاضباً، وعلى من كان غضبه. . .

فقال قوم: غاضب قومه وذهب عنهم. . .

وقيل: ذهب مغاضباً لربه عز وجل لما أصاب الذنب، وهي زلة استزله الشيطان. . .

وكان يونس عليه السلام ضيق الخلق، لأنه لما تاب قومه من ذنوبهم، ورُفع عنهم العذاب، أنف من ذلك أن ينسبوه إلى الكذب، وكان من سنّتهم أن يقتلوا الكذاب، فخرج هارباً من ذلك. . .

---

(١) انظر الآيات في كل من السور الكريمة: يونس ـ ٩٨، الأنبياء ـ ٨٧ و٨٨، الصافات ـ ١٣٩ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨. . . والقلم ـ ٤٨ و٤٩ و٥٠. . .

[قال الله تعالى][1]: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[2].. أي: لن نعاقبه بالضيق له، والحبس.. وقيل: ظن أن يهرب إلى ربه عز وجل، فهرب: ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[3]. أي: هرب إلى السفن الموقرة المملوءة.. ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[4].. أي: قارع فكان من المغلوبين[5]، لأنه/ قد احتبست السفينة التي ركب فيها من حدث أحدثوه.. فَسَاهَمَ، فوقع على يونس عليه السلام[6]، فرمى نفسه في البحر، ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾[7]...

٤٣/ب

وقيل: إن السفينة وقفت لا تمشي يميناً ولا شمالاً.. فقال: ما لسفينتكم لا تجري..؟.. فقيل: إن فيها عبداً هارباً من ربه عز وجل، لا تسير السفينة حتى تلقوه منها.. فقالوا: أنت يا نبي الله، فرمى بنفسه فبلعه الحوت، وأوصى الله سبحانه وتعالى إلى الحوت أني لم أجعله لك رزقاً، وإنما جعلته لك حرزاً، خذه ولا تخدش له لحماً، ولا تكسر له عظماً.. فأخذه، ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس عليه السلام حساً، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه وهو في بطن الحوت: هذا تسبيح دواب البحر.. قال: فسبح وهو في بطن الحوت، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾[8].. ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة جوف

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية ٨٧.. قيل: نضيق عليه من القدر، فالنبي نبي حتى يموت، فإذا أراد ترك هذا الشرف لا يسمح له، وكذلك نجد أن الإيمان شرف، ولو أراد أن يرتد يقتل، وهكذا مراتب التقوى فمن بلغ درجة منها ثم أراد التدني يبتليه ربه حتى يعود...

(٣) سورة الصافات ـ الآية ١٤٠...

(٤) سورة الصافات ـ الآية ١٤١...

(٥) روي أنه قارع من كان في الفلك فكان من المغلوبين بالقرعة...

(٦) روي أن القرعة كانت ثلاث مرات، وفي كل مرة كانت القرعة تقع على يونس عليه السلام، فأدرك عندئذ أن من وراء ذلك سراً، وأن الله تعالى في ذلك حكمة وتدبيراً...

(٧) سورة الصافات ـ الآية ١٤٢...

(٨) سورة الأنبياء ـ الآية ٨٧.. وروي، أن رسول الله ﷺ قال: «لما أراد حبس يونس في بطن =

الحوت.. وقيل: إن الحوت بلعه حوت آخر، ثم بلغ أيضاً آخر، وهو قول سالم بن الجعدي. فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: ربنا، إنا نسمع صوتاً ضعيفاً في أرض غريبة.. قال: هو يونس الذي يصعد إلى عمله الصالح.. فشفعوا فيه، فقبل شفاعتهم.. ولبث في بطن الحوت أربعين يوماً، فقذفه على ساحل البحر، وطرحه بالفضاء من الأرض حيث لا يواريه من شجر ولا غيره مثل الفرخ الممعوط، ولم ينقص من خلقه شيء، واليقطين كل شجرة لا تقوم على ساق، مثل: الدباء، والبطيخ، والحنظل..

وقيل: هو القرع.. وقيل: إن الله تعالى أرسل إلى الشجرة دابة الأرض تقرض عروقها.. فانقضت عليه الشمس، فشكاها.. فقيل: يا يونس، جزعت لحر الشمس، ولم تجزع/ لمائة ألف أو يزيدون، تابوا إليَّ، فتبت عليهم[1]... ٤٤/أ

وقيل: إن يونس عليه السلام سأل الله عز وجل، فقال: ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله في الدنيا.. فأوحى الله تعالى إليه: أن عقوبتك بنت فلان، فتزوج بها...

= الحوت، أوصى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً، فقال في نفسه: ما هذا..؟.. فأوحى الله له وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر.. قال: وسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا، إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر.. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح... قال: نعم.. قال: فشفعوا له عند ذلك... فأمر الحوت فقذفه في الساحل وهو سقيم»... رواه البزار عن أبي هريرة...

(١) اشارة إلى الآيات الكريمة: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾.. سورة الصافات ـ الآيات ١٤٥ و١٤٦ و١٤٧.. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُهَا إلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ في الحَيَاةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾... سورة يونس ـ الآية ٩٨...

ثم إن قوماً دخلوا عليه، فأضافهم، فكان يدخل ويخرج إلى منزله، فتؤذيه زوجته، وتستطيل عليه وهو ساكت، فعجبوا من ذلك، وهابوه أن يسألوه لمكانته في النبوة، فقال لهم يونس عليه السلام: لا تعجبوا مني، فإني سألت الله تعالى، فقلت: يا رب، ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فأولى الله تعالى: أن عقوبتك بنت فلان، فتزوجت بها وأنا صابر منها على ما ترون...

ولنا فيه لغز:

وحاملة من غير فحل وجنينها تكلم في الأحشاء

وهو مليح وقد وضعته والبياض بخده، وأعجب من ذلك أنها حملت به صحيحاً، وقد ألقته وهو سقيم...

ولنا فيه أيضاً شعر:

وما ولد قد جاء من غير جنسه وفي بطنها كانت تربيه كالولد
وقد أرضعته والبياض بخده وعاشا ولم يجتمعان إلى الأبد

* * *

قصص متفرقة

١ ـ ● قال سفيان بن عيينة: شكا جرير بن عبد الله، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقى من النساء..؟.. فقال له: لا عليك، فإن التي عندي ربما خرجت من عندها فتقول: إنما تريد أن تتطلع لفتيات بني عدي[1].. وسمع كلامهما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: لا عليكما، فإن إبراهيم الخليل عليه السلام شكا إلى ربه ذرعاً من خُلق سارة، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: إني ألبستها لباسها ما لم تَرَ في دينها وصماً.. فقال عمر رضي الله عنه: إن بين جوانحك علماً...

٢ ـ ● وحكي عن بعض المشايخ أنه كانت له جارية سفيهة اللسان، قليلة الإحسان، وكانت/ تأخذ من عرضه وتؤذيه، وما كانت تراقب الله فيه، ٤٤/ب وكان من كبار المشايخ، وأكثرهم اجتهاداً في عبادته، وأعظمهم شأناً، وكانت الفقراء تأوي إليه وتبيت عنده، فسمعوها وهي تأخذ من عرضه وتستطيل عليه.. فقالوا له يوماً: لِمَ لا تبيعها وتستخلف غيرها وتستريح ممّا أنت فيه من مكائدها وسوء فعالها..؟.. فقال: والله إني لأستحي من الله سبحانه وتعالى أن أُبلي مسلماً بها...

---

(١) بنو عدي: بطن من بني النجار في الخزرج...

ولنا في هذا المعنى قول:

تلومونني على جور الهوى ... فأنا أخبركم عذري بها
فبلائي كيف أبلي مسلماً ... بالذي ألقاه من تعذيبها

٣ ـ ● وحكي أيضاً أن بعض كبار المشايخ المتصوفة، وكان لسان الحقيقة، وسلطان الطريقة، وصاحب قدم واجتهاد، وكانت له زوجة سوء، من أشر خلق الله تعالى وأدهاهم.. وكانت لا تزال تهينه في كل وقت، وتأخذ من عرضه، وهو صابر عليها.. فلما كان في بعض الأيام، أخذ المصحف الكريم على عادته حتى يقرأ فيه ما تيسر له، فأول ما فتحه وجد فيه: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ ولاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ، ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[1].. فوضع المصحف من يده على كرسيه، ثم قال: اللهم لا تفعل.. اللهم لا تفعل.. اللهم لا تفعل، أسألك بهذا الكتاب العزيز، وأسألك بكل كتاب أنزلت، وكل نبي أرسلت، اللهم لا تفعل.. وجعل يقسم على الله تعالى.. فقالت له زوجته: ما بك يا رجل، وما الذي دهاك، فإني أراك تقسم على الله سبحانه وتعالى بهذه الأقسام..؟.. فقال: يا امرأة، وكيف لا أقسم وقد قال الله عز وجل: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾.. فإنني في هذه الدنيا التي هي ساعة لا أقدر أن أقاسمك فيها، فكيف يكون في دار الأبد الأزلي.. قالت: يا رجل، لا تَدْعُ الله بحقي عليك، فإني تائبة على يد الله تعالى وعلى يدك، وإني لا أعود إلى مثل ذلك، / ولا أوذيك، ولا أُشغل لك قلباً، ولا أضيق لك صدراً في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله تعالى، لعل الله سبحانه وتعالى يجمع بيننا في الآخرة[2]...

٤٥/أ

---

(١) سورة الزخرف ـ الآيات ٦٨ و٦٩ و٧٠.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف، عن حذيفة، رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لامرأته: «إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا».. قال الذهبي: الحديث عن إسحاق السلولي. حدثنا ابن عبد الرحمن، عن أبي=

٤ ـ ● وحكي أيضاً عن بعض الصالحين: أنه كانت لـه زوجة، وكـانت سليطة اللسان عليه، وكانت تبتليه بأشد البلاء، فلما ماتت، وقف على قبرها، وقـال: أشهدوا عليَّ رحمكم الله تعالى إنها طـالقة مني ثـلاثاً. . فقـالـوا لـه: ويحك، إنها قد بائت منك، وهي طالقة منك شئت أم أبيت، فمـا يحتاج إلى ذكر ذلك. . فقال: بلى، خيفة أن تكـون زوجتي في الجنة، فـإني لقيت منها في هذه الدنيا ابتلاءً شديداً، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يعـذبني بها في الدنيا والآخرة. . .

٥ ـ ● وحكي عن بعض السلف الصالح: أن رجلاً كان بأرض فلسطين بقرية من قراها، مقيم بها عن قرب ببيت المقدس، وكان زاهداً ورعاً، قـديم الهجـرة، عظيم الشـأن، وصاحب قـدم ومعاملة، وكـان من أكابـر الصوفيـة، مشتغل بكتاب الله تعـالى وسنته، كثيـر البكاء والتقـرب إلى الله تعالى، وكـان كل جمعة يصلي بمكة شرّفها الله تعالى الجمعة والعصر، فـإذا صلى العصر، رجع إلى منزله الذي في الشام، فنظر إليـه يوم الجمعـة صبي وهو قـاصد إلى مكة، فسعى في أثره، حتى دخـل مكة فصلى بهـا الجمعة والعصـر، واشتغل الصبي، ورجع الشيخ إلى منزله، وجاء الصبي، فسأل عن الشيـخ الذي كـان بجنبـه، فقيل لـه: راح إلى قريتـه. فقال: وأين أنـا. .؟. . قالـوا: بمكـة. . فبكى الصبي. . فقيل له: اصبر يا ولـدي إلى الجمعة الثـانية، تبعـه الصبي، فلما وصل إلى قريته، وجد زوجته على عاتقها جـرة تحمل فيهـا الماء، فلمـا نـظرت إلى الشيخ والصبي خلفـه، لم تتمالـك حتى ألقت الجرة عن عـاتقهـا على الأرض فكسـرتها، وأخـذت حجراً وضـربت به وجـه الشيـخ، فشجتـه، فسـال الدم على بيـاض لحيته، وقـالت له: يـا هذا، / مـا هذا الصبي الـذي معك، أنت تسافر مني حتى تجتمع بهذا الصبي وتنشغل بـه عني. . فنظر إلى

٤٥/ب

= إسحاق، عن صلة، عن حذيفة، وأما صلة فهو ابن زفر، قال: ورجاله ثقات: انظر سير أعـلام النبلاء للذهبي ـ ٢/ ٢٠٨. . .

الشيخ رجل موسر، فشق عليه لما رأى من قبح فعال زوجته، فأنفذ إليه مائة دينار، وقال له: بالله عليك إقبل مني هذه الدراهم وادفعها في صداق امرأتك واخلص منها، فقد ساءني ما صنعت بك في حقك.. فقال له: يا ولدي، وفقك الله تعالى، اعلم.. أنني ما نلت هذه المنزلة إلا بصبري عليها، ثم ردَّ الذهب إليه...

٦ ـ ● وحكي أن بعض الزهاد المجتهدين كان يتسبب في حرفة تقوم بأوده، وكان كثير الاجتهاد، صائماً طوال دهره، فإذا جاء الليل، أحضر الذي فتح الله تعالى له فأفطر عليه، وصلى عشاء الآخرة، ثم يقوم بوطء امرأته، ثم يغتسل، ويقرأ ثلث القرآن، ثم يطأها، ثم يغتسل، ثم يقرأ ثلث الثاني، ثم يطأها، ثم يغتسل، ثم يقرأ ثلث الثالث، ثم يطأها، ثم يغتسل.. فكان في كل ليلة له ختمة للقرآن الكريم، ويجامع زوجته ثلاثاً، فلما توفي الرجل إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، جاءت زوجته إليه وقبلته من بين عينيه، وقالت: يرحمك الله، إنك لنعم الرجل، لقد أرضيت ربك، وأرضيت زوجتك...

* * *

قصة قارون

٤٢ - وَبِـهِـنَّ قَـارُونٌ غَـدَا مُتَجَلْجِـلاً فِـي الأَرْضِ دَائِـب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾[1]. . .

قال العلماء بأخبار القدماء: كان قارون ابن عم موسى عليه السلام، وكان أعلم بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وأفضلهم وأعبدهم. . .

قال قتادة: ويسمى المفتون لحسن صورته، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه، ولكن عدو الله تعالى نافق كما نافق السامراي[2]، فبغى عليه قومه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾. . .

واختلفوا في معنى هذا البغي:

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان فرعون قد مَلَّكَ قارون على بني إسرائيل حين كان بمصر، وكان يبغي عليهم ويظلمهم، وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً. . .

---

(١) سورة القصص ـ الآية ٧٦. . .

(٢) إشارة إلى الآيات الكريمة في سورة طه ـ ٨٥ و٨٧ و٩٥. . .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ﴾[1].. أي: لتنقل وتميل، إذ جعلوها لنقلها، وكانت مفاتيح خزائن قارون ستين بغلاً غراً محجلة، ما يزيد منها مفتاح على إصبع، لكل مفتاح منها كنز، وكان قارون أينما يذهب يحمل مفاتيح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب، فثقلت عليه، فجعلها من جلود البقر على طول الإصبع، تحمل معه إذا ركب، وكان قارون قد قام بجبل أربعين سنة يتعبد حتى غلب بني إسرائيل في العبادة، فبعث إليه إبليس شياطينه، فلم يقدروا عليه، فتصدى له، فجعل يتعبد إبليس، وقارون يتعبد، وجعل إبليس يقهره في عبادته[2].. فقال إبليس: يا قارون، قد رضينا بالذي نحن فيه، لا نشهد لبني إسرائيل جماعة، ولا نعود لهم مريضاً، ولا نشهد لهم جنازة، وأنزله من الجبل إلى البيعة، فكان يكسب يوماً، ويتعبد ويتصدق ويعطي، فلما كسب يوماً، وتعبد يوماً، جلس إبليس وقد تركه، ففتحت الدنيا على قارون، فبلغ أمر ما أُخبرنا به، أن أوعية ماله كانت أربعمائة ألف في أربعين جراباً، فصار يُضرب بها الأمثال: «أوعدتني وأعدك، حتى إذا طمعتني في كنز قارون، جئت في الليل بغسالة لتغسل ما قلت بالصابون». ويحتاج من يرجو آنذاك إلى ثلثه من غير تكذيب كنوز قارون تكون له: عمر نوح، وصبر أيوب...

---

(١) تتمة الآية ٧٦، من سورة القصص، وقد ورد في تفسير النهر الماء لأبي حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٦٦٤، قوله تعالى: فبغى عليهم. أي: كفر وتكبر وحسد موسى عليه السلام على نبوته، وعلى هارون على الذبح والقربان... وقوله تعالى: لتنوء... أي: لتثقل عليكم.. وقيل: الصحيح أن الباء للتعدية، أي: لتنيء العصبة، أي: هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يتعب حفظها القائمين عليها...

(٢) أي: لقد أخذ يتعبد الله تعالى مع قارون كي يطمئن إليه، ثم أخذ إبليس يزداد في عبادته لله تعالى أمام قارون وذلك لغاية في نفسه...

٤٦/ب قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي/ زِينَتِهِ﴾[1].. قيل: خرج ببراذين[2] بيض عليها مروج الأرجوان، وعليهم المعصفرات، وهو على بغلة شهباء، عليها سرج من الذهب، ومعه ألف فارس، وعلى دوابهم الأرجوان، ومعهم ثلاثمائة جارية كلهم بيض الثياب، وعليهم الحلي الحمر، ويركبون البغال الشهب.. فلما قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر، جُعلت الحبورة، وهي: الرياسة، والمديح، وبيت القربان، وكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم وهداياهم ويدفعونها إلى هارون، فيضعها على المذبح، فتنزل نار من السماء فتأكلها، فوجد قارون في نفسه من ذلك تهاوناً، فأتى إلى موسى عليه السلام، وقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة[3]، ولست أنا في شيء من ذلك.. فقال موسى عليه السلام: لا.. فقال قارون: أنا أقرأ التوراة، وإني أقوى منكما[4]، ولكن لا صبر لي على ذلك.. فقال موسى عليه السلام: والله ما جعلتها أنا في هارون، بل الله جعلها له.. فقال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني برهان ذلك.. فجمع بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيكم.. فجاؤوا بها، فحزمها وألقاها في القبة التي يعبد الله فيها، وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد نبت لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز.. فقال موسى: يا قارون، أترى هذا..؟.. قال قارون: والله ما هذا بأعجب ممّا تصنع السحرة.. وذهب، واعتزل موسى عليه السلام بأصحابه وأتباعه، وجعل موسى عليه السلام يداريه للقرابة التي بينهما، / وهو يؤدبه في كل وقت، ولا ٤٧/أ يزيد قارون كل يوم إلا تجبراً وعتواً ومخالفة ومعاداة لموسى عليه السلام، حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح

(١) سورة القصص ـ الآية ٧٩...
(٢) براذين: جمع برذون، وهي: دابة الحمل الثقيل...
(٣) الحبورة: هي الإمامة، ومأخوذة من الحبر، أي: بمعنى الرئيس في الدين...
(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾... سورة القصص ـ الآية ٧٨...

الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يفدون إليه ويروحون، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه. .

قال ابن عباس رضي الله عنه: ثم إن الله تعالى أنزل الزكاة على موسى عليه السلام، فلما أوجب الله تعالى عليهم الزكاة، أتى قارون إلى موسى عليه السلام، فصالحه على كل ألف دينار، دينار، وعن كل ألف درهم، درهم، وعن كل ألف شاة، شاة، فرجع إلى بيته، فحسبه فوجده كثيراً، فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل، وقال: إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يأخذ أموالكم، أتحبوا أن أرسل إليه فلانة البغية فنجعل لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك، خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه واسترحنا منه، فوافقوه. . .

قال: فجعل قارون لها ألف دينار. . وقيل: ملأ طشت ذهباً، وقال لها: إني أخ لك، وأخلطك مع نسائي، على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. . .

فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى عليه السلام، فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم. . فخرج إليهم موسى عليه السلام، وهم في براح في الأرض، فقام فيهم خطيباً/ ووعظهم، فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت. . فقال له قارون: وإن كنت أنت. . ؟. . فقال: وإن كنت أنا. . فقال قارون: إن بني إسرائيل يزعمون أنك قد فجرت بفلانة. . !!. . فقال موسى عليه السلام: أنا. . ؟. . قال: نعم. . قال موسى عليه السلام: ادعوها فإن قالت، فهو كذلك. . فلما جاءت، قال موسى عليه السلام: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء. . وعظّم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى، إلا صدقت. . فلما ناشدها، تداركها الله

٤٧/ب

سبحانه وتعالى بالتوفيق.. وقالت في نفسها: لئن أُحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله موسى.. فقالت: لا، فقد كذبوا، ولكن.. قد جعل لي قارون جعلاً، وأعطاني هذين الكيسين على أن آتي جماعتكم، فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي، وأنه زنى بي، ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله، وهذه أكياسه وخاتمه عليها.. فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون، فغضب موسى عليه السلام، ونكّس قارون رأسه، وسكت الملأ، وعرف قارون أنه وقع في مهلكة، وخرَّ موسى عليه السلام ساجداً يبكي، وهو يقول: يا رب إن عدوك آذاني، وأراد فضيحتي وسبي، اللهم.. إن كنت رسولك، فاغضب لغضبي، وسلطني عليه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن ارفع رأسك، وأنك تأمر الأرض بما شئت فتطيعك.. فقال موسى عليه السلام: يا بني إسرائيل، قد بعثني الله تعالى إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معي فليثبت معي، ومن كان معه فليعتزل...

فاعتزل قارون، ولم يبق معه إلا رجلان.. ثم موسى عليه السلام قال: يا أرض خذيهم.. فأخذتهم إلى عقوبهم[1].. / ثم قال: يا أرض خذيهم.. فأخذتهم إلى أعناقهم.. وقارون وأصحابه في ذلك يتضرعون، وأخذ قارون يناشده بالرحم[2].. حتى روي في بعض الأخبار: أن قارون ناشده تسعين مرة، وموسى عليه السلام لا يلتفت لشدة غضبه عليه.. ثم قال: يا أرض خذيهم.. فانطبقت عليهم الأرض.. فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: يا موسى استغاثوا بك تسعين مرة، فلم تغثهم، ولم ترحمهم، فوعزتي وجلالي، لو استغاثوا بي لوجدوني قريباً مجيباً...

٤٨/أ

وقال قتادة: ذُكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة، فكأنه يتجلجل في الأرض، فلا يصل إلى قعرها إلى يوم القيامة...

---

(١) عقوبهم: العقب، والعقب، مؤخر القدم...

(٢) الرحم: أي: كان يناشده بشدة القرابة فيما بينهم، فهو ابن عم له...

قالوا: فلما خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه، أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم: إنما موسى دعا على قارون ليستبدل بداره وأمواله الأرض، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام، لا عبد الأرض بعداً أبداً، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[1]...

* * *

(١) سورة القصص ـ الآية ٨١...

قصة بلعم بن باعور

٤٣ ـ وَبِـهِـنَّ   نَـزَلَـتْ   بِبَلْـعَـم   بْـنِ   بَـاعُـورَ   النَّـوَائِـب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾[1]...

قال أكثر المفسرين: هو بلعام بن باعورا[2]، وكان من الكنعانيين، من مدينة الجبارين، وسميت بلق، لأن ملكها يقال له: بالق بن صابورا[3]...

وكانت قصة بلعم بن باعورا على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه: أن موسى عليه السلام، لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام، أتى قوم بلعم، إلى بلعم، وكان يعرف اسم الله الأعظم.. فقالوا/ له: إن موسى رجل شديد، ومعه جنود كثيرة، وأنه قد يُخرجنا من أرضنا وبلادنا، ويدخلها بنو إسرائيل، ونحن قومك وبنو عمك وجيرانك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فأقدم علينا في أمر هذا العدو الذي أرهقنا، وادعُ الله أن يردَّ عنا موسى وقومه.. فقال: ويلكم، نبي الله

٤٨/ب

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٥...

(٢) بلعام: لفظ باللغة العبرية، ومعناه: الملتهم...

(٣) هو الملك: بالاق، أو بالق، بن صابورا، وهو ملك موآب، وموآب الآن هي القسم الشرقي من البحر الميت...

ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو الله عليهم وأنا أعلمُ من الله تعالى ما أعلمُ، وإني إذا فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى قال: اصبروا حتى أستأذن في الدعاء ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فأُمر بالدعاء عليهم.. فقيل له في المنام: لا تدعُ عليهم.. فقال: حتى أستأذن ربي ثانية، فاستأذن، فلم يجبه الله تعالى بشيء.. فقال: استأذنت فلم يُجب لي بشيء.. فقالوا: لو كره ربك أن ندعوا عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى.. فلما آن أن يدعوا على موسى وقومه، اجتمعت أمراء قومه على أن يحملوا شيئاً إلى امرأة بلعام، فقالوا: إنها فقيرة، وأنه يصدر عن رأيها، فانطلق عشرة من عظمائهم، وحمل كل منهم صحيفة من ذهب مملوءة، ثم أهدوا ذلك إليها، فأقبلت على صاحبها، وألحت عليه، وقالت: راجع ربك واسأله أن يأذن لك فيما أمروك بالدعاء على عدوهم، فلم تزل به حتى دعا، ولم يُستجاب بشيء.. فقالت: إنه قد خيرك في الدعاء عليهم، ولو لم يأذن/ لك ربك لنهاك... ٤٩/أ

قال: فركب أتاناً[1] له متوجهاً إلى الجبل ليطلع منه على عسكر بني إسرائيل يقال له: حسان، وكانت مراكب العباد الأولين، فلما سار عليها غير كثير، حتى ربضت به[2]، فنزل عنها فضربها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل الأولى، فقامت، فركبها، فلم تسر إلا قليلاً حتى ربضت، ففعل بها مثل الأولى والثانية، فأنطقها الله عز وجل، وفي الكلام حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم، أين تذهب، ألا ترى الملائكة أمامي تضربني على وجهي حتى لا أذهب إلى نبي الله والمؤمنون يدعون عليهم...

فلما سمع بلعام ذلك خرَّ ساجداً لله سبحانه وتعالى، فلم يزل باكياً متضرعاً حتى غاب عنه المَلَك، فرفع رأسه فجأة فإذا بالشيطان يقول له:

---

(١) أتاناً: حماراً...
(٢) ربضت: بركت بالمكان لا تبرحه...

امض لوجهتك، وأن ربك أحب ذلك، ولو لم يرد ذلك لما بَرَحتْ الملائكة، ولا خلوا سبيلك.. فركب أتانه، وخلَّ الله تعالى سبيله، فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان، وجعل يدعو عليهم، فلا يدعو بشيء إلا صُرف لسانه على قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صُرف لسانه لقوم موسى، فقال له قومه: يا بلعم، ما تصنع..؟.. إنما تدعو لهم وتدعو علينا.. فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلبني الله تعالى عليه...

ثم.. اندلع لسانه فوقع على صدره، فعلم ما حلَّ به.. فقال لقومه: الآن ذهبت مني الدنيا والآخرة، / فلم يبق إلا المكر والحيلة، فساء مكركم واحتيالكم، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن المبلغ، ثم أرسلوهن إلى العسكر، وأمروهن أن لا تمنع المرأة نفسها من رجل إذا أرادها، فإنهم إن زنى رجل منهم كفيتموهم، ففعلوا، ودخلت النساء إلى العسكر، فمرت امرأة من الكنعانيين اسمها: كثما بنت صور، برجل من عظماء بني إسرائيل، يقال له: زمري بن شلون، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن أبراهام.. فقام إليها، وأخذ بيدها حين أعجبته، وقد رأى جمالها، ثم أقبل على موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك أن تقول: هذا حرام عليك..!؟.. فقال: أجل هي حرام عليك، فلا تقربها.. قال: والله لا نطيعك في هذا.. ثم دخل بها قبة، فوقع عليها، فأرسل الله عز وجل الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فلحاص صاحب موسى عليه السلام، رجلاً قد أُعطي بسطة في الخلق، وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلون ما صنع، فجاء والطاعون يجيش في بني إسرائيل، فأخذ الجند، وأخذ حربته، وكانت من حديد، ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما وقد رفعهما إلى السماء، والحربة قد قبضها بذراعه، واعتمد مرفقه على خاصرته، واستل الحربة إلى لحيته، وجعل يقول: اللهم.. هكذا نفعل بمن يعصيك، فرُفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من ذلك النهار، فمن ذلك يعطي / بني

٤٩/ب

٥٠/أ

إسرائيل ولد فلحاص من كل ذبيحة يذبحونها: الخاصرة، والذراع، واللحية.. وأخذه إياها...

ووقع موسى عليه السلام وبني إسرائيل بدعائه في التيه[1].. فقال موسى عليه السلام: يا رب، بأي ذنب أوقعتنا في التيه..؟.. فقال: بدعاء بلعم.. فقال: فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه.. فدعا موسى عليه السلام على بلعم أن يُنزع منه الاسم الأعظم والإيمان.. فسلخه الله سبحانه وتعالى ممَّا كان عليه، فنزع منه المعرفة، فخرجت من صدره كحمامة بيضاء...

وأنزل الله سبحانه وتعالى فيه هذه الآية، قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً**﴾[2].. في ستة فراسخ، يسير ويأكل في يوم، حتى إذا أمسوا فإذا هم في نفس الموضع الذي ارتحلوا منه، وكانوا ستمائة ألف مقاتل، ومات نقباؤه العشرة، وكل من دخل في التيه، ممّا جاوز عشرين سنة مات في التيه، غير يوشع بن نون...

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة، ونشأت المواشي في ديارهم، ساروا إلى حرب الجبارين، وإن يوشع بن نون سار إليهم بعد موسى عليه السلام، وهلاك جميع من كان في المسير إليهم، ومات موسى عليه السلام وهارون في التيه...

قال: لما قُذف موسى عليه السلام في اليم، كان له أربعة شهور، وخرج من عند فرعون وله ثمانية عشر سنة، وأقام أجيراً عند شعيب عشر سنين، وتزوج ابنته، وله ثمانية وعشرون سنة، وأقام عند ابنته صهل اثنتي عشرة

---

(١) التيه: في اللغة: الحيرة، تاه، يتيه، ويتوه، وتيهته، وتوهته، والأرض التيهاء، هي التي لا يهتدي فيها أحد، والمعنى: يتيهون في الأرض، وقال أبو حيان الأندلسي، في كتابه تفسير النهر الماء من البحر المحيط ج ١، ص ٥٧٠: كان التيه عذاباً لبني إسرائيل، ورحمة لموسى عليه السلام وهارون لما توفيا...

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٢٦...

سنة، وخرج من عند شعيب وله أربعون سنة، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾[1].. / أي: جئت للوقت الذي أذنا لك إرسالك إلى فرعون رسولاً، وقيل: إن يوشع بن نون رأى موسى عليه السلام بعد موته في المنام، فقال: كيف وجدت الموت..؟.. قال: كشاة تُسلخ وهي حية.. وقام بين أظهر بني إسرائيل أربعين سنة، ومات موسى عليه السلام آخر أيام التيه، وله من العمر مائة وعشرون سنة، وعمر فرعون أربعمائة وتسعون سنة، وقيل: ثمانين سنة، ونزل يوشع بن نون على الجبارين يوم الجمعة، فقتل أكثر الجبارين، فبقي منهم بقية، وكادت الشمس أن تغرب، فخشي أن يعجزوه لدخول السبت عليهم، فقال: اللهم.. أردد علي الشمس.. فقال للشمس: إنك في طاعته.. فردت عليه الشمس، وزيد له في النهار حتى قتلهم أجمعين...

٥٠/ب

* * *

(١) سورة طه ـ الآية ٤٠...

قصة الزاهد والبسوس[1]

٥٢ ـ وَكَذا البَسوس فَشَرُّهَا شَرُّ الأَفَاعِي في المَضَارِب
٥٣ ـ هَلَكَتْ وأهلكتْ التّقِي الزاهِدَ الوَرِعَ المُرَاقِب

روي عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[٢]. . قال: هو رجل من بني إسرائيل، كان زاهداً، أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة يقال لها: البسوس[٣]، وكان له منها ولد، وكان له معها صحبة، ويُضرب بها المثل، فيقال: أشأم من البسوس، وكانت زرقاء، فأخبرها بأن الله تعالى قد أخبره أنه يستجاب له ثلاث دعوات. . فقالت: اجعل لي واحدة منها. . فقال لها: لك منها واحدة، فماذا تريدين. .؟. . قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل بني إسرائيل وأحسنهم، وأكون بحظك، ولم يكن في بني إسرائيل أجمل وأكمل وأحسن مني. . فدعا لها، فجُعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أن ليس

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ١٩١ و١٩٢، رواية عكرمة عن ابن عباس، وفيه أيضاً: عن ابن مسعود قال نزلت في بلعم بن باعور، وفيه أيضاً قال الوالبي: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بلعم. . .

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٥. . .

(٣) لا علاقة بين البسوس امرأة الزاهد، والبسوس المضروب بها المثل، وهي البسوس بنت منقذ التميمية، وقصتها معروفة في كتب التاريخ بحرب البسوس. .

فيهم مثلهـا، مالت إلى غيـره، فغضب الرجـل، ودعا عليهـا، فصـارت كلبـة نباحة، فنفذت منهما دعوتان، فجاء بنوهـا، فقالـوا: ليس لنا على هـذا فرار، قد صارت أُمُّنا كلبة نباحة، وقد انقطع نسبـك، وما بقي لنـا/ غير اسم: أولاد الكلبـة، والناس يعيـروننا بـذلك، فـادعُ الله أن يردهـا إلى الحالـة التي كانت عليها، فدعا إلى الله عز وجل، فصارت كما كانت.. فـذهبت فيها الـدعوات الثلاث، فأهلكته وأهلكت نفسها...

٥١/أ

قصص متفرقة

١ ـ ● حكي عن منصور بن عمار: أنه كان يمشي في موضع، فسمع رجلاً يقول لامرأة في خفية: خذي مني درهمين وامضي معي إلى البيت.. فغطى منصور بن عمار رأسه، وقال: خذي مني خمس دراهم، واحضري داري.. فأتت داره، فوقف ابن عمار يصلي.. فقالت المرأة في نفسها: يصلي ركعتين ويسلم ويجيء إلي.. فسلم وأقام من جديد إلى الصلاة، فثقل على المرأة ذلك، فقالت له: إما أن تكلمني، وإما أن تأذن لي في الخروج.. فقال لها منصور: أسألك مسألة.. ما تقولين فيمن ادعى على رجل دعوى، وأتى على ذلك شاهدين عدلين، هل كان يأخذ منه الحق أم لا..؟.. قالت: فلو أتى على ذلك بأربعة شهود عدول، وعلم القاضي أن الأمر كما ذُكر، هل يقضي له بشيء هذا أولى به.. قال: كيف أكلمك وعلي وعليك أربعة عدول يشهدون، والحاكم الله سبحانه وتعالى يعلم، وهما شاهدا على منكبي.. قالت: من أين..؟.. قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِراماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[1].. فهم الشهود، وأما الحاكم، فقوله عز وجل: ﴿**أَلَمْ**

(١) سورة الانفطار ـ الآيات ١٠ و١١ و١٢...

﴿يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾[1] . . فصاحت المرأة صيحة، وخرّت ميتة رحمها الله تعالى . . .

٢ ـ ● قال: وحكى الأصمعي عن عمّه، قال: عشق رجل من النساك جارية من أهل البصرة، فبعث إليها يخطبها، فأبت عليه، وقالت: إن أراد غير هذا فعلت . . !! . . / فأرسل إليها يقول: يا سبحان الله أيتها المرأة، أدعوك إلى الأمر الصحيح الذي لا عيب فيه، ولا وهن، فتأبين وتدعينني إلى الأمر الذي لا يصلح لا لي ولا لك، فأرسلت إليه تقول: قد أخبرتك بالذي عندي، فإن أردت فتقدم، وإن كرهت ذلك فتأخر . . .

٥١/ب

فأنشأ يقول شعراً:

أسألها الحلال وتدعيني … إلى ما تشتهيه من الحرام

فلما علمت أنه قد أصعب عليه من أمر الفاحشة، أرسلت إليه تقول: أنا بين يديك على ما تحب . . فكتب إليها يقول: هيهات، لا حاجة لي فيمن دعوتها إلى الطاعة، وهي تدعوني إلى المعصية . . .

٣ ـ ● وحكي عن الأصمعي، قال: رأيت امرأة عليها ثوب لين، وهي منفثة مكتئبة، وقد وضعت وجهها وهي منفوشة الأطراف، وقد تهيأت للزينة، وعلى كتفها سجادة، وفي يدها سبحة . . فقلت لها: يا جارية، ما هذا، قد جمعت بين الزهد والفسق . . فقالت: هذا لله سبحانه وتعالى . . وهذا لزوجي . . وأنشأت تقول شعراً:

فللّه عندي جانب لا أضيعه … وللهو عندي والتصنع جانب

* * *

---

(١) سورة العلق ـ الآية ١٤ . . .

قصة داود عليه السلام

٤٤ ـ وَتَرَكْنَ دَاودَ حَزِيناً دَمعُهُ مِنهُنَّ سَاكِب
٤٥ ـ حتَّى لَقَدْ نَدَبتْ عَلَيهِ لِحُزنِهِ فِيهِ النَوَادِب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾[1].. الآية، اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام، لما امتحن به من الخطيئة...

فقال قوم: كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه عز وجل منزلة آبائه: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب/ عليهم أفضل الصلوات والتسليم، وسأله أن يمتحنه نحو الذي امتحنهم، ويعطيه من الفضل الذي أعطاهم... ٥٢/أ

وروى السدي، والطائي، ومقاتل، عن أشياخهم، قالوا: كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام، يوماً يقضي بين الناس، ويوماً يخلو بنسائه وأشغاله، ويوماً لعبادته وقراءته، وكان يجد فيما قرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فقال: يا رب، أرى الخير قد ذهب به آبائي كله الذين كانوا من قبلي.. فأوحى الله عز وجل إليه: أنهم ابتلوا بلاءً عظيماً

(١) سورة ص ـ الآية ٢١، وانظر: الكامل لابن الأثير ١/٢٢٢، وتفسير النهر الماء من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٣، ص ٨٢٤...

لم يُبلَ به أحد فصبروا عليه، ابتلي إبراهيم بالنمروذ، وابتلي بذبح ابنه إسماعيل. . وابتلي يعقوب بذهاب بصره، وأنك لم تبلَ بشيء من ذلك. . فقال داود عليه السلام: فابتليني بمثل ما ابتليتهم، واعطني مثل ما أعطيتهم. . فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: إني مبتليك في شهر كذا وكذا، فاحرص. . .

فلما كان في اليوم الذي أوعده الله عز وجل، دخل داود عليه السلام محرابه، وأغلق بابه، وجعل يصلي، ويقرأ الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، فيها من كل لون حسن، فوقعت بين رجليه، فمدَّ يده ليأخذها، فتنحت وطارت، فمدَّ يده ليأخذها لابن صغير له، فلما هوى إليها طارت حتى وقفت، فذهب ليأخذها، فطارت من الكوة، فنظر داود عليه السلام أين وقعت، فبعث إليها من يصطادها، فأبصر امرأة من بستان على شط بركة بها تغتسل. . / هذا قول الكلبي. . . ٥٢/ب

وقال السدي: رآها على سطح، فرأى امرأة من أجمل النساء خُلقاً، فأُعجب داود عليه السلام بها، فنفضت شعرها، فغطى بدنها كله، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها. . فقيل: هي سابغ بنت شايع، امرأة أوريا بن حنان[1]، وكان زوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود عليه السلام، فكتب داود عليه السلام إلى ابن أخته أيوب: أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه على التابوت. . وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله تعالى على يديه، أو يستشهد، فبعثه وقدمه، ففتح له، فكتب إلى داود فأعلمه، فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منه بأساً. . فبعثه، فكتب له الفتح، وكتب إلى داود بذلك أيضاً، فكتب داود عليه السلام أيضاً: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منه بأساً،

---

(١) أوريا بن حنان: قائد كبير في جيش داود عليه السلام، وهو من أصل حثي. . .

فبعثه، فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدتها، تزوجها داود عليه السلام، وهي أم سليمان عليه السلام...

قالوا: فلما دخل داود بامرأة أوريا، لم يلبث إلا يسيراً، حتى بعث الله سبحانه وتعالى له ملكين في صورة رجلين، وطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهم الحرس أن يدخلوا عليه، فتسوروا المحراب وهو يصلي، فما شعر إلا وهو بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ**﴾[1].. فزع منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، قالا: ﴿**لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلا تُشْطِطْ**﴾[2].. أي: لا تجور ولا تفرط.. ﴿**وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾[3].. وأرشدنا إلى الطريق المستقيم، / ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾[4].. وهذا من أحسن التعريف حين كنى بالنعاج عن النساء، والعرب تفعل ذلك كثيراً، تكني عن النساء بالظباء والنعاج، وهو كثير في أشعارهم[5].. ﴿**فَقَالَ اكْفِلْنِيهَا**﴾[6].. أي: أعطينها، وتحول عنها، واجعلها نصيبي، وعزني: وغلبني في الخطاب...

---

(١) سورة صٓ - الآية ٢١ و٢٢...

(٢) سورة صٓ - من الآية ٢٢...

(٣) سورة صٓ - تتمة الآية ٢٢...

(٤) سورة صٓ - الآية ٢٣...

(٥) إشارة إلى قول الشاعر:

أغادي الصبوح عند هر وفرتنا ... وليداً وهل أفنىٰ شبابي سوىٰ هر

هما نعجتان من نعاج تبالة ... لدىٰ جؤذرين أو كبعض دمىٰ هكر

هر وفرتنا، علمان، وتبالة مكان فيه النعاج الحسان، ودمىٰ جمع دمية وهي صور الرخام، وهكر موضع فيه هذه الصور...

(٦) سورة صٓ - الآية ٢٣، وتتمتها: ﴿**فَقَالَ اكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ**﴾...

قال الضحاك: إذا تكلم أفصح مني، وإن حارب كان أبطش مني..
فقال داود عليه السلام: لقد ظلمك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه[1]...

قال السدي بإسناده: إن أحدكما لما قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا أَخِي﴾.. الآية..
قال داود عليه السلام للآخر: ما تقول إن لي تسعة وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، وأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل نعاجي مائة.. قال: وهو كاره.. قال: إذاً لا يدعك ذلك، وإن رمت ذلك، ضربنا منك هذا، يعني طرف الأذن وصلبة الجبهة.. قال: يا داود، أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا.. لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل تعرضه للقتال، حتى قُتل، وتزوجت امرأته، فهذا وجه الآية...

قال النبي ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الأخرى»[2]...

وقال بعضهم: كان ذنب داود عليه السلام، أن أوريا قد خطب تلك المرأة، فتزوجها داود عليه السلام، حيث لم يترك هذه الواحدة، وله تسع وتسعون امرأة، ونزل الملكان يقصان عليه القصة، ففطن داود عليه السلام، فمكث أربعين ليلة ساجداً، حتى نبت الزرع من دموعه على/ رأسه، وأطلت الأرض من جبهته، وهو يقول في السجود: زلّ داود زلّةً هي أبعد ممّا بين المشرق والمغرب، إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه، جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده.. فجاءه جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود، إن الله عز وجل قد غفر لك الذي هممت به، وقد عرفت أن الله تعالى

٥٣/ب

---

(١) سورة صٓ ـ الآية ٢٤، وتتمتها: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾...

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وأبو داود في سننه. عن علي رضي الله عنه، والحاكم في المستدرك عن بريدة، انظر ـ كنز العمال ـ ج ٥، ص ٣٢٦، حديث رقم /١٤٠٥٣/...

قـادر على أن يغفر لـك الذي هممت بـه، وقد عـرفت أن الله تعالى عـدل لا يميل، فكيف بفلان ـ يعني أوريـا ـ إذا جاء يـوم القيامـة، فقال: يـا رب ذنبي الذي عند داود. . فقال: ما سألت ربك عن ذلـك، ولكن إن شئت لأفعلن. . قال: نعم. . فعرج جبريل عليـه السلام، فقـال: قد سـألت ربك يـا داود عن الذي أرسلتني فيه. . فقال: قل لداود: إن الله تعالى سيجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب ذنب أخيك لداود. . فيقول: هو لك يا رب. . فيقول: إن لك في الجنة ما اشتهيت وما شئت عوضاً. . .

وعن وهب بن منبه، قال: إن داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان، فعرجا وهما يقولان: قضى على نفسه الـرجل. . فعلم داود عليـه السلام أنهم قـد عنوا بـه، فخر سـاجداً لله سبحـانه وتعـالى أربعين ليلة لا يرفـع رأسـه إلا لحـاجة، ولـوقت صلاة مكتـوبة. . فنـودي: يا داود ارفـع رأسك فقـد غفرت لك. . فلم يرفع رأسه حتى جاءه جبريل عليه السلام فرفعه. . .

قـال وهب بن منبه: إن داود عليـه السلام أتـاه النداء: إني قـد غفـرت لـك. . فقال: يـا رب، وأنت لا تـظلم أحـداً. . قـال: اذهب إلى قبـر أوريـا فنادِهِ، وأنا أسمع بذلك، فتحلل منه. . .

٥٤/أ

/ قال: فانطلق حتى أتى قبر أوريـا، وقـد لبس المسـوح، فجلس عنـد قبـره، ثم ناداه: يـا أوريا. . فقـال: لبيك، من هـذا الـذي قـطع عليَّ لـذتي وأيقظني. . ؟. . قال: أنا داود. . فقال: فما جاء بك يا نبي الله. . ؟. . قـال: أسـألك أن تجعلني في حـل ممّـا كـان مني لأجلك. . قـال: ومـا كـان منـك إليَّ. . ؟. . فقال: عرضتـك للقتال. . قـال: عرضتني للجنـة، وأنت في حل مني. . .

قال: فأوحى الله سبحانه وتعـالى: يا داود، ألم تعلم أن الحكم عـدل، لا أقضي بالتعييب، والتعزيز إلا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته. . قال: فرجع داود عليـه السـلام، فنـاداه: يـا أوريـا. . فـأجـابـه: من الـذي قـطع عليَّ

لـذتي . . ؟ . . قـال: أنـا داود . . قـال: يـا نبي الله، أليس قـد عـفـوت عنـك . . ؟! . . قـالت: ولكن مـا فعلت ذلـك إلا لمكـان امـرأتـك، وقـد تزوجتها . . قال: فسكت ولم يجبه . . فقام داود عليه السلام عند قبره، وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لك يـا داود، ثم الويـل لك يـا داود، ثم الويل الطويل لداود . . قال: يا رب، كيف تغفر لي وصـاحبي لم يعف عني، أعطيته ما لم تَرَ عيناه، ولا تسمع أذناه[١] . . قال: رضيت عبدي . . فيقول: يا رب، من أين لي هـذا ولم يبلغه عملي . . قـال: هذا عـوض منّـا عن عبـدي داود، فاستوهبك منه، فيهبـك لي . . قال: يـا رب، الآن قد عـرفت أنك قـد غفرت لي . . فذلك قوله عز وجل: ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ رَاكِعاً وأَنَابَ، فَغَفَرنـا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مآبٍ**﴾[٢] . . .

قـال وهب: إن داود عليه السـلام لما تـاب الله تعالى عليـه، بكى على خـطيئته ثـلاثين سنة، لا تـرقى له دمعـة لا ليلاً ولا نهـاراً، وكـان قـد أصـاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة . . والله تعالى أعلم . . .

وقيل فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام: أنه خطر في باله/ أن يحصي عـدد بني إسرائيـل . . فأوحى الله سبحـانه وتعـالى إليه: يـا داود، أأرزاق بني داود عليك، أم آجالهم في يـديك . . قـال: بل رزقي وأرزاقهم كلهـا عليك، وأجلي وآجالهم كلها بيدك . . قال: فلم تشارك في علمه . . . ٥٤/ب

قال لبني إسرائيـل: اختار واحـدة من ثلاث، إمـا أن أسلط عليهم ملكاً جبـاراً ظالمـاً قادراً، أنـزع الرحمـة من قلبه، وألبسـه الهيبـة، أو سبـع كسبـع

(١) إشارة إلى الحديث الشريف، عن أبي هريـرة، رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿**فَـلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَـا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَـزَاءً بِمَـا كَـانُـوا يَعْمَلُون**﴾ . . . السجدة ـ ١٧، متفق عليه . . .

(٢) سورة صَ ـ الآية ٢٤ و٢٥ . . .

يوسف، أو الطاعون. . فجمع بني إسرائيل وأخبرهم، وقال لهم: إن الله سبحانه وتعالى أمرني أن أخبركم أن تختاروا واحدة من هذه الثلاثة، وذكر حالهم. . فقالوا: أما الملك الجبار الظالم فلا طاقة لنا به، وأما سبع سنين، كسبع يوسف، فيهلك أغنامنا، وتموت فقراؤنا ومواشينا، وإنما نختار الطاعون، فمن جاء أجله مات. . فأرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطاعون، فمات منهم من طلوع الشمس إلى نصف النهار أربعمائة ألف، فبكى داود عليه السلام، وقال: اللهم. . ارفع عنهم الويل. . .

قال: فنظر داود عليه السلام إلى صخرة بيت المقدس، وقد نصب عليها سلماً إلى السماء، والملائكة يصعدون فيه، وهي تغمد السيوف. . فقال: لا بد أن أبني لبني إسرائيل بيتاً يتعبدون الله سبحانه وتعالى فيه، فأقام حائطاً للأقصى ثلاث مرات، وهو يسقط إلى الأرض. . فقال: يا أخي جبريل، إنما أبني لوجه الله سبحانه وتعالى، ليتعبد فيه بني إسرائيل. . قال: هذا البيت لا يبنيه من ارتكب ذنباً، ولا من سفك دماً. . .

فقال داود عليه السلام: ومن يبنيه. . ؟. . قال: ولدك سليمان. . قال: الحمد لله الذي جعل عمارته على أيدينا. . .

قال: وكان من بناء سليمان عليه السلام لبيت المقدس إلى خرابه على يد نبوخذ نصر أربعمائة وإحدى وثلاثين سنة، وتوفي داود عليه السلام وعمر ولده/ سليمان يومئذ ثلاث عشرة سنة، وكان أول ما ظهر من أمره لبني إسرائيل، لما خرج في جنازة أبيه إلى الدفن، وكان يوماً شديد الحر، فأمر سليمان عليه السلام السحاب فأظلتهم، والرياح فهبت عليهم، فاستبشرت بنو إسرائيل بذلك، وعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى لسليمان ملكاً عظيماً. . .

١/٥٥

وحكي عن امرأتين كانتا على نهر، وكان لهما ولدان في سن واحدة، وكانت إحداهما غنية، والأخرى فقيرة، فغرق ابن الغنية، فقبضت على ابن

الفقيرة، وقالت: غرق ابنك وهذا ولدي، وأحضرت أربعة شهود قبلوا الرشوة، فحضـروا معها إلى داود عليه السلام، وشهـدوا أن الولـد هـو ولـد الغنيـة. . فحكم داود عليه السلام بالولد لها، فخرجت الفقيرة تبكي، فـوجدهـا سليمان عليه السلام، فقال لها: مـا لك تبكين. . ؟. . قـالت: أخذت ولدي، وقويت عليَّ بمـالها. . فقـال لها سليمـان: ارجعي. . فدخـل على أبيه عليـه السلام وقـال: يا نبي الله، هـذا الحكم الـذي حكمت بـه من تلقـاء نفسـك، أم الله سبحانه وتعالى أمرك بـه. . فقال: من تلقـاء نفسي حكمت به. . قـال: أتأذن لي أن أحكم بينهمـا. . قال: نعم. . قـال: فدعـاهن، فلما حضـرا بين يديـه ـ قـال لإحداهن: مـا تقولين أيتهـا المرأة. . ؟. . قـالت: الولـد ولـدي، وقـد قدمت بينتي في مجلس الحكم بين يدي أبيـك. . وقال لـلأخرى: وأنت فمـا تقـولين. . ؟. . قالت: الـولـد ولـدي، وقـد غصبتني عليـه. . فقـال: ائتـوني بقصاب. . قيل: وما تصنع به. . ؟. . قال: أقسمه نصفين وأعطي كـل واحدة منهن شطراً منه. . فقالت الغنية التي أقامت بينتها عند أبيه: رضيت بـذلك. . وقالت الأخرى: بحق الله تعـالى عليك يـا نبي الله، لا تفعل، / دعهـا تأخـذه وتـروح. . فقال لهـا سليمان عليـه السلام: الـولد ولـدك. . فحكم لهـا لأنهـا طلبت بقاءه، فكان الولد للفقيرة لحنيتها عليه. . .

٥٥/ب

* * *

قصص متفرقة

١ ـ ● ـ قال: حدثنا عبد الرزاق بن منصور، عن ابن عمر، قال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً، لو لم أسمعه إلا مرة واحدة أو مرتين حتى عدَّ سبع مرات ما حدثت به، ولكني سمعته أكثر من ذلك وهو حديث الكفل[1]. . .

كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة، فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجال من النساء، ارتعدت وبكت. . فقال لها: ما يبكيك. .؟. . أأكرهتك على نفسك. .؟. . قالت: لا، ولكن. . هذا عمل لم أعمله قط. .!!. . قال: فتركها وقال لها: فلم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قط. .؟. . قالت: حملتني الحاجة. . . فتركها وقال لها: اذهبي والدنانير لك. . ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً. . فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: غفر الله للكفل[2]. . .

---

(١) هو رجل أدركته توبة بعد اقتحام ذنب، وقال بعضهم هو غير ذي الكفل الذي ذُكر في القرآن الكريم في سورتي الأنبياء ـ الآية ٨٥، وسورة صّ ـ الآية ٤٨، وفي تفسير النهر الماء لأبي حيان الأندلسي ص ٤٧٥، ج ٢ قال: قيل: كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً، وقيل: كان نبياً. . .

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم /٢٤٩٨/، وقال: هذا حديث حسن، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد. . .

٢ ـ ● قال: وحدثني من أثق بحديثه، قال: بلغني أن رجلاً حداداً أتته امرأة في سنة مجدبة، تطلب منه شيئاً لله تعالى.. فقال لها: خذي مني خمسة دراهم وانزلي منزلي.. فأعرضت عنه وولت.. ثم أتت إليه مرة أخرى.. فقال لها مثل الأول، فأعرضت عنه ولم تكلمه، وراحت إلى زوجها وقصت عليه القصة ـ فقال لها: استعيني بالله تعالى، فقد هلك الصغار، فاقض شغله واغن أولادك.. فأتت إليه، فقال لها: خذي مني خمسة دراهم وامض معي إلى البيت.. قالت: نعم.. فقام من دكانه، وهي تتبعه.. فلما دخلت معه الدار، وقعد منها مقعد الرجل من المرأة، ارتعدت وجرت دموعها.. فقال: ما لي أراك باكية..؟.. قالت: والله العظيم هذا شيء ما فعلته وإني امرأة شريفة، وإني والله لأستحي من رسول الله ﷺ أن أكون من سلالته وأنا زانية.. فقال: ناشدتك الله تعالى، أأنت شريفة..؟.. قالت: أي والذي أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.. قال: ثم أخرج من جيبه خمسة دراهم أخرى، وقال: خذي الخمسة دراهم، / والأخرى كرامة لجدك رسول الله ﷺ.. فقامت المرأة ومعها عشرة دراهم، ومضى الرجل، فلما دخل الليل وقام إلى مضجعه، نام.. فرأى رسول الله ﷺ في نومه وهو يقول له: أطلقت ابنة عم لي، قد ألنّا الحديد لداود عليه السلام بارداً، وألنّا لك ناراً خذه ولا تخف.. فقام الرجل، ولما أصبح ذهب إلى دكانه، وقد نسي المنام، فلما أوقد الكير على قطعة الحديد حتى صارت حمراء، أخذ الكلابتين ليخرجها من الكير، تذكر المنام، فوضعهما ومدَّ يده، فأخذها ومدّها ودارت في يده إلى أن بردت، فلما رأى الناس ذلك منه، اجتمعوا عليه، ورفعوا قصته إلى الملك... قال: فاستحضره وأدخله عليه، وكانوا قد ألقوا في الكير قطعة حديد، وجعل ينفخ عليها بالمنافخ إلى أن صارت حمراء.. فقال الرجل للملك: ما تشتهي أن أصنع لك فيها.. قال الملك: امسكها.. فمدَّ يده فأخرجها، وهي في يده كالعجين إلى أن بردت، فإذا بردت ما يقدر أن يعمل فيها شيء.. فقال له الملك: أصدقني حديثك، وإلا

٥٦/أ

ضربت عنقك.. فأخبره بالقصة.. فقال له: تبيعني ثوابها بعشرة آلاف درهم.. فقال الرجل: لا والله ولا بخزائن الأرض...

٣ ـ ● ـ حدثنا أبو يوسف عن عكرمة، قال: كنت أنا مع عبد الله بن عباس رضي الله عنه، عشية عرفات، إذ أقبل فتية يحملون فتى من بني عذرة، وقد بلي بدنه، وقد كانت له حلاوة وجمال، حتى أوقفوه بين يديه، ثم قالوا: استشف لهدايا ابن عمه رسول الله ﷺ.. قال: ما به..؟.. قال: فترنم الفتى بصوت ضعيف خفي، وهو يقول شعراً:

يا من هو الأحزان والحب لوعة ... تكاد لها نفس الشفوق تذوب

٥٦/ب **/ ولكنما بقي حشاشة مغول ... على ما به عود هناك صليب**

وما عجب موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى...

٤ ـ ● ـ قيل: إن بعض أهل حضرموت وجدوا في أرض كوز فخار في جوفه سنبلة من حنطة، قد امتلأ منها ذلك الكوز، فوزنوها، فكانت منا بالمكي، وحبها كالبيض، وكان بحضرموت شيخ قد عمَّر، وقد أتى عليه خمسمائة عام، وله ابن قد أتى عليه أربعمائة سنة، ولابن ابنه قد أتى عليه ثلاثمائة سنة، فحملوا تلك السنبلة، وانطلقوا بها إلى الأصغر منهم، ورجوا أن يكون الثالث أثبت منهم عقلاً، فقالوا: إنا نراك أصبت عقلاً من أبيك.. فلما أتوه وجدوه قد خرف وذهب جميع عقله، ثم انطلقوا إلى أبيه، فوجدوه قد ذهب شطر عقله، ثم انطلقوا إلى الشيخ والدهم الذي له خمسمائة سنة، فوجدوه أثبت عقلاً من الأوسط والأصغر. فقالوا له: إنا نراك أشب من أولادك، وأثبت عقلاً، فما سبب ذلك.. [قال: إن][1] ابن ابني كانت له امرأة سوء تؤذيه وتخالف عليه وتعصيه وتتسافه عليه، فذهب بمقاساتها عقله.. فقلنا له: لو استراح ممَّا رأينا.. ولنا في هذا المعنى شعراً:

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

يقولـون من مـات قـد استـراحِ		فقلت اعذروني فما هذا صحيح
إذا لم يكن فـوقهـا مستـريـح		فمـا أحـد تحتهـا مستـريـح

وأما ابني فكانت له امرأة تحسن إليه مرة، وتسيء إليه أخرى، فبقي لـه بعض عقله، وذهب بعضه، وأما أنا فكانت لي امرأة صدق، إن رأتني/ حزيناً لم تزل تسليني حتى تذهب عني حزني، وإن كنت مسروراً، أخذتني من وجه يزيدني سروراً. . . ٥٧/أ

فأخرجوا له تلك السنبلة، فلما نظر إليها. . بكى. . قال: هذا من زرع عاد في زمانهم. . قالوا: مـا بلغ من أحكامهم، وحسن سيـرة ملوكهم. . ؟. . فقال: لم يزل من أحد غيري ممَّا يحدث عمن سلف ممَّـا أُعطي قـوم عاد من فضل الحكم وما كانت ملوكهم عليه من حسن السيرة، كان رجل هو شـديد، عاش في طول ملكه، متحرياً للحق، مؤثراً للنصفة والعدل، وقيـل: بلغنا أنـه استعمـل قاضيـاً بحضرمـوت، وأجرى رزقـاً من بيت المال، فمكث حـولاً لا يحتكم إليه أحد، فدخل عليه شديـد وقال: إنـك تجري رزقـاً من بيت المال عليَّ، ولم يحتكم عندي أحد، فاعفني. . فقال: قف على عملك، وأرزاقك عليَّ من مالي. . فأقام على عمله. . فأتاه رجلان يوماً بعـد حول ثـانٍ من عاد يختصمان إليه. . فقال أحدهما: أيها القاضي، اشتريت من هذا أرضاً، فلمـا حـوشتها وجـدت فيها معـدناً من معـادن الذهب، فسألتـه أن يـرد عليّ مـالي ويأخذها، فإني اشتريت منه أرضاً، ولم أشتـر منه معدنـاً ـ فقال لـلآخر: مـا تقـول أنت. . ؟. . قال: أيهـا القاضي، أنـا بعته الأرض بمـا فيها جميعـاً من معـدن وغيره. . فقـال لأحدهمـا: هل لـك ولـد. . ؟. . قـال: بنت. . وقـال للآخر: هـل لك ولـد. . ؟. . قال: ابن مـدرك. . قال: ابنـك بابنتـه، فيكون المعدن بينكما جميعاً. . قال: فملك شديد ثـلاثمائـة سنة، ثم مـات. . والله أعلم. . .

٥ ـ ● ـ وحكي أن الـديـار المصـريـة خلت من قـاضٍ، فـأنفـذوا إلى المعتضد/ عرّفوه بذلك يطلبون منه قـاضياً. . فـأحضر وزيـره وقال لـه: خلت ٥٧/ب

الديار المصرية من قاضٍ، فإلى من ترشدني أستخلفه للقضاء.. قال: ما أعرف أحداً سوى رجل في قريته من قرى الشام، يقال لها: داريا، فيها رجل يصلح للقضاء.. قال: اكتب له توقيعاً، واكتب معه كتاباً إلى الوالي الذي لنا بمصر يكرم مثواه للأوامر العالية.. فأنفذ إليه غلام بالتوقيع وخمسمائة دينار، فلما وصل دمشق المحروسة، استدل على داريا، فوجد شيخاً فقيراً، فدقَّ على بابه، فلما خرج، سلم عليه وقال له: هذا توقيع بقضاء مصر، وقد أرسل الخليفة معي هذا.. فقال: والله لا أقضي أمراً دون أن أشاور والدتي، فدخل إليها وأخبرها الخبر.. قالت له: يا ولدي، إن علمت أن أحداً غيرك يقوم في هذا المقام، ويكون أفقه منك، فلا تدخل فيه، وإن لم تعلم فيتعين عليك الطاعة ونفع المسلمين.. قال: لا أعلم أحداً.. قالت: فقد تعين عليك.. فخرج وأخذ الذهب، وتصدق بأكثره على جميع الفقراء من أهل القرية، وأبقى معه ما يوصله إلى مصر، فلما أمسى أحضر الضيف للشيخ تبع من المعز فحلبها، وأتى بقرصين من الشعير، فأفطر عليه.. قال: فلما وصل إلى مصر أُكرم مثواه، وأول يوم جلس للحكم، فحضر عنده خصمان، مدعي ومدعى عليه.. فقال المدعي: إن لي في قلب خصمي عشرة دنانير.. فقال للمدعى عليه: ما تقول..؟.. قال: ما يستحق في قلبي حق.. قال له: يا ولدي، قد أنكرك خصمك.. قال: يحلف.. قال: يا ولدي قد طُلب منك اليمين، وقد وجب عليك.. قال: أحلف.. قال: قد أجابك خصمك إلى اليمين.. قال: استحلفه يا سيدنا القاضي.. قال: من قال إنه يحلف فإنه يحلف، ويستخلفها في جنب الله تعالى.. قال: إن كنت تعلم أني أستحلفه وأنا صادق في دعواي إثم فلا تستحلفه.. قال: لا، هذا حق من حقوق الله تعالى.. فقال له: يا شاب، أتحلف..؟.. أحلف.. قال: اتق الله تعالى.. / قال: إن كنت تعلم أنني إذا حلفت صادقاً.. إثم.. قال: لا.. ٥٨/أ قال: وتحلف.. قال: نعم.. قال: قل والطور.. قال: ﴿**والطُّورِ، وكِتَابِ**

مَسْـطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾[1]. . إلى قـولـه تعـالى: ﴿إن عَـذَابَ رَبِّـكَ لَـوَاقِعٌ﴾[2]. . فلما قال: إن عـذاب ربك لـواقع، هـوت عيناه إلى الأرض، فبقي القاضي إلى أن مات. . فما حكم بين اثنين، وقد أعطى الذي أحضر له التوقيع قـرصـي شعير، فلمـا وصل إلى الخليفـة حدّثـه حديثـه. . قال: ومـا أعطاك. . قال: والله ما أعطاني ما أعطاني سوى قرصـي شعيـر، وما أكلتهمـا وهما معي. . فقال: أحضرهما بين يدي. . فكسرهمـا، وجعل يفـرقهما على أولاده وأهل بيته، وكان عنده مرضى، فعافاهم الله سبحانـه وتعالى. . فقـال: هكذا يكون القضاة رضي الله سبحانه وتعالى عنهم. . .

٦ ـ ● ـ وحكي أن المأمون قد طلب أبا قـلابة لقضـاء البصرة، فهـرب إلى الشام، فأقام حيناً، ثم رجـع، فقال لـه أيوب: لـو وليت القضاء وعـدلت كان لك أجران. . قال: يا أيوب، إذا وقـع السباح في البحـر، فكم عسى أن يسبح. . .

٧ ـ ● ـ قـال: وولى عبـد الملك بن مـروان، عـامـر الشعبي قضـاء البصرة، فهرب إلى الشام. . فقيل لـه: لِمَ هربت. . فقـال: سمعت المنقول عن النبي ﷺ: «من جعل قاضيـاً، فكأنمـا ذبح بغيـر سكين»[3]. . وقال ﷺ: «قاض في الجنة، وقاضيان في النار»[4]. . فخشيت أن أكون مع الأكثر. . .

٨ ـ ● ـ وعن بعض الشيـوخ في المدينـة حكايـة، قيـل: تقـدمت إلى إبـراهيم بن سعـد الـزهـري، امـرأتـان. . عجـوز وصبيـة. . فقـالت العجـوز

---

(١) سورة الطور ـ الآية ١ و٢ و٣. . .

(٢) سورة الطور ـ الآية ٧، وتمام الآيـات: ﴿والطُّورِ، وَكِتَـابٍ مَسْطُورٍ، في رَقٍّ مَنْشُـورٍ، وَالبَيْتِ المَعْمُورِ، والسَّقْفِ المَرْفُوعِ، والبَحْرِ المَسْجُورِ، إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾. . .

(٣) رواه الترمذي في سننه برقم /١٢٣٥/، وأحمد في مسنده ٢/٢٣٠ و٣٦٥، وأبو داود في سننه بـرقم /٣٥٧٢/، والنسائي ٤٨١/٩، والحـاكم في المستـدرك ٩١/٤، والحـديث بمجمـوع طرقه صحيح. . .

(٤) رواه أبو داود في سننه، برقم /٣٥٧٣/، والترمـذي برقم /١٣٢٢/، والحـاكم في المستدرك ٩٠/٤، والحديث صحيح بمجموع طرقـه، وانظر: إرواء الغليـل ٢٣٥/٨، وتمام الحـديث: =

٥٨/ب للقاضي: انظر في أمري، وفي هذه المرأة، فإنها عدة الله..!!.. / فقال القاضي للشابة: ما خطبك..؟.. قالت: قليلاً تفرج روعتي فانظرها.. فلما سكنت، قالت: أيها القاضي، أتأذن لي في كشف وجهي.. فقال القاضي: لا تتجردي ممّا لا يحب أن يظهر.. فكشفت عن وجهها.. فقالت العجوز: والله أيها القاضي، ما قصدت إلا أن تريك وجهها، فإنه ما خلق دابة أجمل منها.. فقال القاضي للشابة: تكلمي.. فقالت الشابة: هي عمتي، وأنا يتيمة من الأبوين، فكفلتني وربتني، وأحسنت الصيانة، فلما أن صلحت للزواج، زوجتني من ابن عمي، وأخذت صداقي، وزادت عليه من مالها، وجهزتني وأحسنت إليَّ، وأهدتني إليه، وكنا على غاية، وكان لها ابنة صغيرة، فلما أدركت ابنتها، خطبها ابن عمي.. فأرسلت إليه: لا أزوجك بها إلا بعد أن تجعل أمر امرأتك في يدي.. ففعل.. فوجهت إليَّ من قال لي نيابة عنها: أن زوجك خطب ابنتي، فأبيت إلا أن يجعل أمرك في يدي، وقد فعل، وأنت طالق.. فنالني من الأسف، والأنين، والزفير، ما أرق عليَّ حياتي.. وقد كان لها زوج غائب، كنت أجد منه محل الولي، فقدم زوجها، فجاءني مغرماً بي، داعماً عليَّ ما فعلت، وكثر بطائي بين يديه، فكأنه رق ليّ، وقال لي: هل لك أن تزوجيني نفسك..!؟.. قلت: نعم، على أن تجعل أمر عمتي في يدي.. قال: قد فعلت.. فوجهت إليها من يقول: أن الشيخ قد خطبني، فأبيت عليه إلا بعد أن يجعل أمرك في يدي، وقد فعل، وأنت طالق.. فقالت العجوز للقاضي: أيها القاضي، أحلٌ ذلك..؟.. فقال القاضي: البادىء أظلم.. قالت الشابة: فبقي معي الشيخ أياماً قليلة ثم مات، فجاء ابن عمي الذي كان زوجي في الأول يطالبني بميراثه من الشيخ، ويزعم أنه خلف عندي مالاً، وأسمعني ما كرهت.. فقلت: والله ما أنصفتني بدءاً، ولا ٥٩/أ أكرمتني في أمري آخراً، طلقتني بدءاً، والآن قد جئتني تصول عليّ.. / فلما

= «قاض في الجنة، وقاضيان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فقضى فجار متعمداً فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار»..

سمعني، فكأنه استحيا مني.. فقال: هل لك أن تـراجعيني..!؟.. فقلت: قد طلبت ذلك.. قال: فافعـل.. قلت: لا أفعل إلا بعـد أن تجعل أمـر ابنة عمتي في يـدي.. قال: قـد فعلت ذلك.. فـوجهت إليهـا أن ابن عمي أراد المـراجعة، فـأبيت إلا بعد أن يجعـل أمر ابنتـك في يدي، وقـد فعـل، وهي طـالق.. فقالت العجـوز للقاضي: أُطلق أنـا، وتطلق ابنتي، أحـلَّ الله تعالى هذا..؟.. فقال القاضي: نعم، ولو كنتن مـائة على هـذا الشرط... قـال: فاتصل الخبر بالرشيد، فكتبت إليه عرفته الخبر على حاله...

* * *

قصة سليمان عليه السلام

٤٦ ـ وَسَلَبْنَ مَملكةَ ابْنِهِ وَسَلَكْنَهُ ضِيقَ المَذاهِبِ

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمان وأَلْقَيْنا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾[1]. . .

قال أكثر المفسرين: إن سليمان عليه السلام تزوج امرأة من بنات الملوك، وكان له ألف امرأة، سبعمائة وصيفة، وثلاثمائة بكتاب، وكانت ممَّن لم يَرَ مثلها حسناً وجمالاً، وكان اسمها جرادة، فاصطفاها لنفسه، ودعاها للإسلام، فأسلمت على جفاء منها. . وأحبها سليمان عليه السلام حُباً لم يحبه لأحدٍ من نسائه، فكان لا يطيق الصبر عنها ساعة، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حُسنها، ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان عليه السلام. . فقال لها: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ. . فقالت: إني أذكر مملكة أبي، وما كان فيها، وما أصابه، فيحزنني. . فقال لها سليمان عليه السلام: قد أبدلك الله تعالى مُلكاً أعظم من مُلكه، وسلطاناً أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام. . / فقالت: إن ذلك كذلك، ولكن إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، ٥٩/ب

(١) سورة صٓ ـ الآية ٣٤. . .

فصوروا صورته في داري التي أنا فيها بكرة وعشية، لرجوت أن يذهب حزني، ويسلبني بعض ما أجد في نفسي.. قال: فأمر سليمان عليه السلام الشياطين.. فقال: مثلوا لها صورة أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صوروه لها بردائه وقميصه وعمامته مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها، تغدو عليه في دارها حتى تسجد له، وذلك كما كانت تصنع به في مملكته، وتروح كل عشية لمثل ذلك، وسليمان عليه السلام لا يعلم من ذلك أربعين ليلة، وأربعين صباحاً(١)...

قال: وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً له، وكان لا يرد عن باب سليمان عليه السلام أي ساعة أراد دخول بيت من بيوته يدخل حاضراً سليمان عليه السلام كان أو غائباً فأتاه.. فقال: يا سليمان، كبرت سني، ورق عظمي، ونفذ عمري، وحان مني ذهاب، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت، أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى، وأثني عليهم بعلمي فيهم، وأُعلم الناس بعض ما يحملون من كثير أمورهم، فقال سليمان عليه السلام: افعل...

قال: فجمع له سليمان عليه السلام الناس جميعاً، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله عز وجل، وأثنى على كل نبي مناقبه، وذكر ما فضلهم الله تعالى به، حتى انتهى إلى سليمان عليه السلام، فقال: يا سليمان، ما كان أحلمك في صغرك، وما كان أورعك/ في صغرك، وأقصدك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعد كل شيء ما يكره في صغرك... ثم انصرف.. قال: فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك أمراً عظيماً، فلما دخل سليمان عليه السلام إلى داره، أرسل إليه، فقال: يا آصف، لقد ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى، فأثنيت عليهم خيراً في كل

٦٠/أ

---

١) قال الطبري: إن سليمان عليه السلام قد سبى جرادة في إحدى جزائر البحر، جزيرة يقال لها: صيدون، وكان أبوها سلطان تلك الجزيرة، ثم ذكر القصة... انظر: تاريخ الطبري ج ١، ص ٤٩٦...

زمانهم، وعلى كل حال من أمورهم، فلما ذكرتني أثنيت عليَّ بخير في صغري، وسكت عن ما سوى ذلك في كبري، فما الذي أُحدث في آخر أمري.. فقال آصف: إن غير الله تعالى يُعبد في دارك أربعين صباحاً ومساءً، في هوى امرأة.. فقال سليمان عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء قد بلغك(1)...

قال: ثم رجع سليمان عليه السلام إلى داره، فكسر تلك الأصنام، وعاقب تلك المرأة، ثم أمر بثياب الطهر، فأُتي بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا تمسها امرأة، ثم خرج إلى فلاة من الأرض، فأمر برماد، ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، وجلس على ذلك الرماد، وتمعك فيه بثيابه تضرعاً لله تعالى وتذللاً إليه، يبكي ويدعو ويستغفر مما حدث في داره، فلما أمسى رجع إلى داره.. قال: وكانت له خادمة يقال لها: أمينة.. كان إذا دخل مذهبه، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها ليتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، / لأن خاتمه كان من ياقوتة حمراء، أتاه به جبريل عليه السلام من الجنة، ومكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله...

٦٠/ب

قال: وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوماً من الأيام عند موضع كان يضعه، ثم أتاه دخل مذهبه، فأتاها الشيطان صاحب البحر، وكان اسمه صخراً، على صورة سليمان لا يُنكر منه شيئاً. فقال: يا أمينة، خاتمي.. فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الجن، والإنس، والطير...

قال: وخرج سليمان عليه السلام، فأتى أمينة، وقد غيَّر حالته وهيئته عند كل من يراه.. فقال: يا أمينة خاتمي.. فقالت: ومن أنت..؟.. قال:

---

(1) وردت القصة كاملة في تاريخ الطبري ج ١ ص ٤٩٦/ ٤٩٩، وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج ١ ص ٢٣٩...

سليمان بن داود.. فقالت: كذبت، لست بسليمان، وقد جاء سليمان وأخذ خاتمه، وهو جالس على سريره في مملكته.. فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج، ثم جعل يقف على كل دار من دور بني إسرائيل، فيقول: أنا سليمان بن داود.. فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون، أي شيء يقول: يزعم أنه سليمان.. قال: فلما رأى سليمان ذلك، عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه سمكتين في كل يوم، فإذا أمسى باع سمكة واشترى أرغفة، ويشوي الأخرى ويأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً، مدة ما كان عبادة ذلك الوثن في داره، فأنكر ذلك آصف بن برخيا، وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله تعالى، ذلك الشيطان في تلك المدة الأربعين يوماً.. / فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم..؟!.. قالوا: نعم.. قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن، هل تكون منه في خاصة أمره ما أنكرناه في عامة الناس وعلانيته.. فدخل على نسائه، فقال: ويحكن، هل أنكرتن من أمر سليمان ما أنكرناه..؟!.. فقلن: أشد، فهذا لا يغتسل من جنابة.. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن هذا هو البلاء المبين...

٦١/أ

قال: فلما مضى أربعون يوماً، طار الشيطان عن مجلسه حتى مرَّ بالبحر، فقذف الخاتم من فمه، فبلعته سمكة، وأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان عليه السلام صدر يومه، حتى إذا كان العشي، أعطاه سمكتين على حسب العادة، وخرج سليمان عليه السلام، فباع السمكة التي ليس في بطنها الخاتم، واشترى أرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فشقها ليشويها، فاستقبله الخاتم في جوفها، فأخذه، وجعله في يده، ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن.. وقيل: وأقبل الناس، وعرفوا الذي دخل عليه لما كان يحدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين، فقال: ائتوني بصخر.. فطلبته الشياطين حتى أتوا به، فجاء

بصخرة، فأدخله فيها، ثم سدَّ عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر...

وهذا حديث ابن منبه، قال: ولما جلس الشيطان على سريره، كان له في الملك عشرون سنة، / وبقي لما أعاد الله تعالى إليه ملكه عشرين سنة، فكان ملكه أربعين سنة[1]...

٦١/ب

* * *

(١) قال الدكتور محمد السيد حسين الذهبي في كتابه: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٢٦: إن هذا واضح كل الوضوح أنها كذب وافتراء، فمحال أن يُلقي الله تعالى الشبه لسليمان عليه السلام على شيطان فيلبس على الناس أمر نبيهم، ومحال أن يمكن الله شيطاناً من التسلط على ملك سليمان عليه السلام فيتحكم فيه كيف شاء، وما لنا نذهب في تفسير هذه الآية إلى هذه القصة التي لا أصل لها، وقد روى البخاري عن رسول الله ﷺ ما يمكن أن تحمل الآية عليه من غير أن نقول زوراً أو نرتكب محظوراً، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس مجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون». صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب: طلب الولد للجهاد ـ ج ٤، ص ٢٢...

قصة يحيى عليه السلام

٤٧ ـ وَقَتَلْـنَ يَحْيَىٰ عَـامِـلاً وَتَـرَكْنَـهُ فِـي الـدَّمِ خَـاضِـب

قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[1]. . واختلفوا فيه، لِمَ سُمي يحيىٰ. . .

فقال ابن عباس رضي الله عنه: لأن الله تعالى له أحبابه، وقد غفر لهم. . .

وقال قتادة وغيره: لأن الله سبحانه وتعالى أحياه بالطاعة، فلم يعص، ولم يهم بمعصية. . .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا ويلقى الله عز وجل، قد هم بخطيئة وعملها، إلا يحيىٰ بن زكريا، فإنه لم يهم ولم يعملها»[2]. . .

وقال النبي ﷺ: «من هوان الدنيا على الله، أن يحيىٰ بن زكريا قتلته امرأة، وقُتل يحيىٰ بن زكريا قبل أن يُرفع عيسى عليه السلام، وأول من آمن

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٣٩. . . وانظر: سورة الأنعام ـ الآية ٨٥، وسورة مريم ـ الآية ٧ و١٢، وسورة الأنبياء ـ الآية ٩٠. . .

(٢) لم أعثر عليه، وانظر التفاسير لكل من: آل عمران ـ الآية ٣٩، والأنعام ـ الآية ٨٥، ومريم ـ الآية ٧ ـ ١٢، والأنبياء ـ الآية ٩٠. . .

بعيسى وصدقه يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام»[1]. . .

وذلك أن أمه كانت حاملة به، فاستقبلتها مريم، وقد حملت بعيسى عليه السلام. فقالت: يا مريم أحامل أنت. . ؟. . فقالت لها: لماذا تقولين. . ؟. . فقالت: إني أرى ما في بطني يسجد إلى ما في بطنك. . فذلك تصديق وإيمان به، وكان يحيىٰ عليه السلام أكبر من عيسى عليه السلام بستة أشهر. . .

قال: وذلك أن مولد يحيىٰ عليه السلام كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر، ثم قُتل يحيىٰ عليه السلام قبل أن يُرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيىٰ أربعين صباحاً، وكان بكاؤها أنها طلعت حمراء، وغربت حمراء. . .

وروي أن يحيىٰ بن زكريا عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة، وقائدهم إلى الجنة. . .

وقد اختلف العلماء في سبب قتل يحيىٰ بن زكريا عليه السلام:

فقال بعضهم: كان يحيىٰ عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل، وكانت له امرأة وهي ابنة ملك، وكان قتاله للأنبياء والصالحين، وكانت تبرز للناس كاشفة وجهها، وكان يحيىٰ عليه السلام يزجرها عن ذلك، ويقول لها: لا تبرزي كاشفة/ وجهك. . وكان كثيراً ما يقول لها: مكتوب في التوراة، أن الزناة يقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف. . فأمرت بيحيىٰ فحُبس. . وكان قد حبسه رجل من أبناء الملوك، كان يختلي إليها بالليل، فعلم به يحيىٰ فزجره، فبلغ ذلك امرأة الملك، فحملت بنتاً لها، واستقبلت به زوجها. . فقال: لِمَ فعلت ذلك. . ؟. . فقالت: وجب لها عليك حق. . فقال لها: سلي ما شئت. . فقالت: استوهب منك أهل السجن،

٦٢/أ

(١) انظر المصدر السابق. . .

أصنع بهم ما شئت.. فظن أبوها أنها ترحمهم وتسرحهم.. فقال: قد فعلت.. فأمرت أمها بأهل السجن، فعرضوا عليها، فلما مرّ بها يحيىٰ، أمرت به، فذبح في طشت، ثم حُمل الطشت إلى أبيها بأمر أمها.. وقالت: أيها الملك، إني ذبحت لكم ذبيحة من أعظم ما وجدته، ولو كان مثله ألف لذبحته لك.. فقال الملك: ومن هو..؟.. قالت: يحيىٰ بن زكريا..!!.. فقال: هلكت وأهلكت أباك.. فغير الله تعالى ما بهم من النعم، وسلط الله تعالى عليهم عدوًّا، فذبح الابنة وأمها، وسلط الله تعالى عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم...

وعن سعيد، قال: بعث عيسى ابن مريم عليه السلام، يحيى بن زكريا عليه السلام إلى اثني عشراً من الحواريين يعلمون الناس ممَّا نهاهم عنه، نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوج بها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمها أنه نهى عن نكاح بنت الأخ.. قالت لابنتها: إذا دخلت على الملك، فسألك حاجتك، فقولي له: حاجتي أن تذبح يحيىٰ... فلما دخلت عليه، سألها عن حاجتها.. فقالت: حاجتي أن تذبح يحيىٰ..!؟.. فقال: اسألي غير هذا.. فقالت: ما أسألك إلا هذا.. فلما ألحت عليه بيحيىٰ، / دعا بطشت، فذبحه، فبزغت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله على القوم بخت نصر.. فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلته على ذلك الدم، فألقى الله تعالى في نفسه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم على سن واحد منهم، فسكن الدم[1]...

٦٢/ب

---

(١) روى ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ ج ١، ص ٣٠٢، أن دم يحيىٰ عليه السلام فار وغلى، وظل يغلي حتى قيض الله تعالى لبخت نصر أن يغزوهم، فألقى الله تعالى في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفاً، فسكن الدم.. وفي قصص الأنبياء ـ للنجار ـ أن هناك روايات أخرى في سبب مقتل النبي يحيىٰ عليه السلام، انظر: قصص الأنبياء ص ٥٥٦، ويذكر ابن الأثير المصدر نفسه: أن المرأة حين رأت رأس يحيى =

وقيل: وكان ملك بني إسرائيل يكرم يحيىٰ عليه السلام، ويأتي إلى مجلسه ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمراً دونه، وإنما هوي أن يتزوج امرأة[1]. . فسأل يحيىٰ عليه السلام عن ذلك. . فنهاه عن نكاحها، وقال: لست أرضاها لك. . فبلغ ذلك أمها، فحقدت على يحيىٰ عليه السلام حيث نهاه عن تزويجها، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراء، وطيبتها، وألبستها من الحلي أفخر ما يكون، وألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه الخمر، وأن تتعرض له بمفاتنها، فإذا أرادها عن نفسها، أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله، فإذا أعطاها ذلك، سألته أن يأتيها برأس يحيىٰ بن زكريا عليه السلام في طشت. . ففعلت ذلك، وجعلت تسقيه وتتعرض له، فلما أخذ منه الشراب، راودها عن نفسها. . فقال: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك. . قال: ما تسأليني. .؟. . قالت: أسألك أن تبعث لي يحيىٰ بن زكريا عليه السلام، فيؤتى برأسه في هذا الطشت. . فقال: ويحك، سلي غير هذا. . فقالت: ما أسألك غير هذا. . قال: وأكدت عليه وألحت بالطلب. . فبعث إليه، فأُتي برأسه، والرأس يتكلم، حتى وضع بين يديه، وهو يقول: لا يحل لك، لا يحل لك. . فلما أصبح، إذ بدمه يغلي، فأمر بتراب فأُلقي عليه، وارتفع الدم فوقه، فلم يزل يلقي التراب حتى بقي إلى سور المدينة، وهو في ذلك يغلي. . . وذكر الحديث الطويل. . .

٦٣/أ / قالت علماء النصارى: إن الذي قتل يحيىٰ عليه السلام، ملك لبني إسرائيل يقال له: هيرودوتس، بسبب امرأة يقال لها: هيروديا، وكانت امرأة

= عليه السلام في الطشت، قالت: اليوم قرت عيني، فصعدت إلى سطح قصرها فسقطت منه على الأرض، ولها كلاب ضارية تحتها، فوثبت عليها الكلاب، فأكلتها، وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه درياق القلوب نحو ذلك في القصة. . .

(١) روى ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ج ١، ص ٣٠٢، أن المرأة كانت ابنة أخ للملك، والملك هو هيرودوس حاكم فلسطين، وابنة أخيه التي هواها هي هيروديا. . .

فيلسوف عشقها، فوافقت على الفجور، فأعلمه يحيىٰ عليه السلام أنها لا تحل له. . فسألت المرأة هيروديا أن يأتيها برأس يحيىٰ بن زكريا عليه السلام، ففعل، فلما سقط من يده، جزع جزعاً شديداً. . .

* * *

قصة خراب بيت المقدس

٤٨ ـ وَبِهِنَّ بَيتُ المَقدِسِ خَربَتْهُ يَدُ الأَغَالِب

قال أصحاب العلم والتاريخ:

ـ لما قُتل يحيىٰ بن زكريا عليه السلام، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى شعيب[1] أني مرسل عليهم ملكاً جباراً ظالماً، انتزع الرحمة من قلبه، وألبسه الهيبة لأربع عشر من ملك حزقيا، سار مرزبان[2] بابل سنحاريب[3] في مائة ألف راية، فنزل على بيت المقدس، فحاصرهم، فهابوه وأيقنوا بالهلاك، فأصبح أصحاب سنحاريب كلهم موتى، لم ينج غيره وخمس أنفار من أصحابه، أحدهم بخت نصر، وهو ابن عمه، فانصرفوا إلى بابل، وبقي سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ومات...

وقدم بخت نصر، وكان ملك حزقيا سبعة وعشرين سنة، ونزل عليهم بخت نصر بعد ذلك من بابل في ستمائة ألف راية، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، وأقام حوله مدة، / وهمَّ أن يرحل لقلَّة مؤونة العسكر، ٦٣/ب

(١) انظر: سورة الأعراف ـ الآية ٨٥/٩٣، وسورة هود الآية ٨٤/٩٥، وسورة الشعراء ـ الآية ١٧٦/١٩١، وسورة العنكبوت ـ الآية ٣٦/٣٧...

(٢) مرزبان: الرئيس، والمرزبان جمع مرزبة عند الفرس، والمرزبة عندهم الرئاسة...

(٣) سنحاريب: ملك آشور، عُرف بقساوته.

فجاءت إليه امرأة عجوز، فقالت له: يا ملك، ما تستحي، جئت من بابل بهذا الجيش العظيم، وترحل عنها وما تنال إرباً، اركب غداً وأحيط بالمدينة، وقل: جئناك نأخذ بثأر يحيىٰ بن زكريا عليه السلام إذا تكاملت. . ففعل كما قالت، فأرسل الله سبحانه وتعالى صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان، وخسف بسبعة أبواب من أبوابها. . قال: فلما رأى أرميا، صاح وبكى وشق ثيابه، ثم نبذ التراب على وجهه، وقال: يا مالك السموات والأرض، أين ميعادك الذي وعدتني، إنهم لن يصيبوا الذي أصابهم إلا بقينك، واستيقن النبي أنها فتاة، فطار ارميا عليه السلام حتى خالط الوحوش، ودخل بخت نصر بيت المقدس، وهم مثل الجراد المنتشر، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل ترسه تراباً، ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا التراب حتى مليء، وجاء ووقف على الدم الذي ليحيىٰ، فقال: ما هذا. .؟. . فقالوا: هذا دم القربان، ما أكلته النار، لذلك بقي، فجاءت امرأة عجوز وقالت: ما تعرف هذا الدم. .؟. . قال: لا. . قالت: هذا الذي فتح الله تعالى عليك به بيت المقدس، هذا دم يحيىٰ بن زكريا عليه السلام، فألقى الله تعالى في قلبه ليضربن عليها الأرقاب حتى يسكن الدم، فجعل يقدم خمسمائة خمسمائة يضرب أعناقهم، فما سكن الدم حتى ضرب سبعين ألف رقبة، فسكن الدم، فأمسك عنهم، وارتفع الدم إلى حرم الصخرة، ونزل من باب الرحمة/ إلى وادي جهنم، وأحرق التوارة، وأسر من أولاد الأنبياء سبعين ألف صبي، منهم: دانيال، وعزير. . . وغيرهم، وسبى أهلها، وقتل الأنبياء، وسلب بيت المقدس، واستخرج سبعين ومائة عجلة من حلي بيت المقدس. . . ٦٤/أ

قال حذيفة رضي الله عنه: يا رسول الله، لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله سبحانه وتعالى. . فقال ﷺ: «أجل، بناه سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وياقوت وزبرجد، وكان بلاطة فضة، وبلاطة ذهب، أعطاه الله سبحانه وتعالى ذلك، وسخر له الشياطين يأتون بهذه الأشياء في طرفة

عين، فسار بخت نصر بهذه الأشياء إلى بابل حتى نزل بها، وأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس، وأبناء المجوس»[١]. . .

قال رسول الله ﷺ: «فهذه صفة حلي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى القدس، وهو ألف سفينة وتسعمائة سفينة، يُرمى بها على يافا حتى تنتقل بها إلى بيت المقدس، وبها يجمع الأولين والآخرين»[٢]. . .

قال: ولما أراد أن يقسم الغنائم في جنده، قالت له الملوك الذين كانوا معه: يا أيها الملك، لك غنائمنا كلها، فأقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، ففعل ذلك، فأصاب كل رجل أربع غلمان، وكان من أولئك: دانيال، وحنانيا، وعزازيا، وميسايل، وتسعة آلاف من أهل بيت داود عليه السلام، وأحد عشر ألف/ من سبط يوسف بن يعقوب عليه السلام، وسبعة آلاف من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، وثمانية آلاف من سبط ابن يعقوب عليه السلام، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب عليه السلام، ومن بقي من بني إسرائيل، فجعل بخت نصر سبايا بني إسرائيل ثلاث فرق، ثلثٌ أقر بالشام، وثلث سبي، وثلث قُتل، وذهب بأواني بيت المقدس إلى بابل، وذهب بالسبعين ألفاً من الصبيان، وسائر السبايا حتى أقدمهم بابل، فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل بإحداثهم وظلمهم، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾[٣]. . يعني: بخت نصر وأصحابه[٤]. . .

٦٤/ب

(١ و٢) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، نقلاً عن الثعلبي ص ١٦٧ و١٦٨. . . وانظر: السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ والسيرة النبوية ـ لابن كثير، فصل الإسراء والمعراج. . .

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٥. . .

(٤) انظر: تفسير النهر الماء لأبي حيان الأندلسي ـ من البحر المحيط ج ٢، ص ٢٨٢ و٢٨٣. . .

قال: وقيل ذلك من طريق آخر، أن بخت نصر لما نزل بيت المقدس، تحصنوا منه في مدائنهم، فلم يطقهم، فلما اشتد عليه المقام وجاع أصحابه أراد الرجوع، فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت للجند: أين الأمير..؟.. قال: فأُتي بها إليه.. فقالت له: قد بلغني أنك تريد أن ترحل بجندك قبل أن تفتح هذه البلدة.. فقال: نعم، طال مقامي، وقد جاع أصحابي، فلست أستطيع المقام الذي كان مني.. فقالت: أرأيت إذا أمرتك أن تكف.. فقال لها: نعم.. فقالت له: غداة غدٍ إذا أصبحت، فأقسم جندك أربعة أقسام، ثم أقسم على كل زاوية أربعاً، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء، ونادوا: إنّا نستفتحك بالله تعالى بدم يحيىٰ بن زكريا عليه السلام.. فإنها تسقط.. ففعلوا ذلك، فسقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها.. فقالت العجوز: كف اليد، واقتل على هذا الدم حتى يسكن.. فانطلقت به إلى دم يحيىٰ بن زكريا عليه السلام وهو على تراب كثير، فقتل سبعين ألفاً حتى سكن الدم.. فقالت له: كف يدك، فإن الله تعالى إذا قُتل نبيًّا لم يرض حتى يُقتل من قتله ومن رضي بقتله...

قال: وخرب بيت المقدس، وأمر أن تطرح فيه الجيف(١)، وقال: من طرح فيه جيفة، فله جزيته تلك المدينة، فلما خربه بخت نصر، ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسراياهم...

وقيل: إنه لما وصل إلى بابل، نظرت نساء أهل بابل إلى الصبيان، فضربت أرقابهم تعبير الرؤيا التي هالته، وأن بخت نصر لما ضرب رقاب الأسارى أولاد بني إسرائيل، رأى رؤيا هائلة هالته، واشتد منها رعباً، فجمع علماء أهل مملكته، فسألهم عن رؤياه.. فقالوا: أخبرنا بها لنعبر لك إياها.. فقال: إني قد نسيتها.. فقال رجل منهم: أيها الملك، إن الغيب لا يعلمه إلا نبي يوحى إليه، فعليك بهذا الإسرائيلي الذي في حقك، وهو دانيال..

---

(١) الجيف: الجثث...

٦٥/ب وقد زعموا أنه نبي يوحى إليه، فاسأله عنها، فلعلك/ أن تتخذ عنده حاجتك.. فأمر به.. فأحضر.. ووقف عنده ولم يجبه بتحية الملوك، ولم يسجد له كما كان يفعل من يدخل عليه.. فقال بخت نصر: ما الذي منعك من السجود..؟.. قال: إن لي رباً أعطاني النبوة، وخصني بالوحي، وأمرني أن لا أسجد إلا له.. فأُعجب بخت نصر من قوله، وأيقن أن حاجته عنده.. فقال: نعم ما قلت، فإن العبيد هم المؤمنون لأربابهم، فإني دعوتك لرؤيا رأيتها في منامي، وقد هالتني واشتد منها رعبي، ثم نسيتها، فهل عندك فيها علم..؟.. قال دانيال: قد أوحى إليّ ربي بها، وتفسيرها أيضاً، فهو الذي منَّ علي بالنبوة، وخصني بالفضيلة، قال: هاتها وعبرها.. قال: رأيت صنماً عظيماً، قدماه في الأرض، ورأسه في السماء، رأسه من ذهب، وصدره من فضة، وبطنه من نحاس، وفخذاه من حديد، وساقاه من فخار، فبينما أنت تتأمله وتتعجب منه، إذ سقط من السماء حجراً، فهشمه، فاختلط بعضه ببعض، وكان الحجر الذي سقط عليه يفوقه ويعظمه وقد انبسط حتى ملأ الأرض، فجعلت لا ترى السماء ولا الأرض.. فقال بخت نصر: صدقت وبررت، هذه رؤياي التي رأيتها، فما تأويلها..؟.. قال دانيال: أما الصنم فهو أنتم معشر الأعاجم، وأما الذهب فالملوك منكم، وأما الفضة فهم ذوو الملوك والأشراف، وأما النحاس فهم من دون أولئك الناس، وأما الحديد فهو

٦٦/أ من أرباب الحرب منكم لأن بهم قوام ملككم، / وأما الفخار فهو أسفلكم وأرداكم، وأما الحجر الذي سقط على الصنم حتى هدّه وطحنه، فإن الله تعالى سيحطمكم ويغشي ملككم في آخر الزمان، زمان نبي يخرج من تهامة، ويهاجر إلى طيبة اسمه محمد ﷺ، يطحن الله سبحانه وتعالى به يد الكفر، ويفرق بين الحق والباطل، يعز به الذليل، ويقوى به الضعيف، ويغنى به الفقير، ويأمن به الخائف، ولا يزال أمره يعظم، ودينه يقوى، وأمته تزداد، حتى تملأ الأرض في ذلك العصر، ويبقى الملك في قومه إلى يوم القيامة.. فقال بخت نصر: متى يكون ذلك..؟.. قال: بعدك بألف عام.. فلما سمع

ذلك بخت نصر، فزع من دانيال، وأمر فأُطلق من سجنه، وأمر بإكرامه والإحسان إليه، وجعله وزيراً له ومستشاراً، فغمَّ ذلك أشراف مملكته، وظنوا أنه يريد أن يفارق دينه، ويدخل في دين بني إسرائيل، فاجتمع أشرافهم وعظماؤهم وأهل النباهة منهم، فدخلوا على بخت نصر، فقالوا: أيها الملك، قد أريتنا بإكرامك هذا الإسرائيلي، وقبولك فعله، ومنتك إياه بأسرارك، وقد ظننا أنك تهم بترك دينك الذي وجدت عليه آباءك وأجدادك، وتدخل في دينه، فتكسب بذلك العار، وتلازمنا فيه الشقاء.. فقال لهم بخت نصر: إني لم أهم بترك ديني، والدخول في دينه ساعة واحدة قط، غير أني رأيته رجلاً من أعظم أهل الأرض علماً، فاستكفيته عيش أفضل من هذا... ثم قال لدانيال: إني معيد لك ولأصحابك أفضل ما كنتم عليه من الكرامة والبر والإحسان، فاطمئِنَّ وطِبْ نفساً، وقد أطلقت لك/ جميع الأسارى، وجميع ٦٦/ب من كان في حبسي من قومك، وإني منزلكم جميعاً منزلة رحيبة، ومُجْرٍ عليكم ما يقيمكم من الطعام والكسوة... فقال دانيال: افعل من ذلك ما ترى.. فأمر بهم فأُنزلوا في المنازل البهية الواسعة، وأجري عليهم من الطعام والمفرش والملابس ما وسعهم.. فمكث بذلك ما شاء الله تعالى، ثم إنه رأى رؤيا كانت أقطع من الأولى وأهول هولاً أيضاً، ونسي كما نسي في المرة الأولى، فدعا عظماء قومه، وأخبرهم بذلك.. فقالوا: أيها الملك، لقد عبرت دهراً لا تعرف من هذه الأحلام شيئاً، حتى استخلفت هذا الإسرائيلي الساحر، وهو يريك السحر كالأحلام الكاذبة ليرهبك بها، والدليل على سحره أن النار لم تحكم فيه.. فسكت عنهم، حتى إذا خرجوا من عنده، استدعى دانيال، وأعلمه ما داخل به من رؤيا رآها ثانية من الفزع الشديد، وسأله أن يخبره بها، ويعبرها له.. فقال له دانيال: إن ربي قد أوحى إليَّ بها، وعرّفني تأويلها.. قال: إنك رأيت شجرة عظيمة، أصلها في الأرض، ورأسها في السماء، ذات فروع باسقة، وغصون نائفة، ورأيت عليها كل طير بذكر الأرض مشعشعة مع أفراخها في غصونها، حتى امتلأت تلك الشجرة، وما

والاها من تلك الطيور، فبينما أنت تنظر إليها وتتعجب من حسنها وعظمتها وكثرة ما اكتنفها من الطير، إذ أقبل ملك من السماء، يجتثها من أصلها، فنودي من السماء: اجتث بعضها ودع بعضها.. فأباد أغصانها كلها، وبقيت ساق قائمة على حالها، وتفرق ما كان عليها من الطير... فقال بخت نصر: صدقت هذه رؤياي، وما خرم منها شيء، فما تأويلها..؟.. فقال دانيال: أما الشجرة فملكك هذا الواسع، وأما ما كان عليها من الطير فجندك، وأما ما رأيته بها فذهاب ملكك، وإبادة سلطانك، وأن الله سبحانه وتعالى ماسخك سبع سنين على صورة كل من في الأرض، وكل دابة، إلا أنك تمسخ على صورة شيء من الطيور والدواب، ألا وكنت أقواها قوة، وأشدها بأساً كنحو ما كنت عليه في قوة ملكك، وشدة سلطانك، وذلك عقوبة من الله تعالى لك، فما كان لودك لصنمك، وما كان لهدمك من بيت المقدس، وذلك ما كان في مسجده من الجواهر وسائر ما كان فيها من الذهب والفضة، وذلك كرسي نبيه سليمان عليه السلام في مكانه الذي كان، واستخفافك بأولياء الله تعالى وأهل طاعته من بني إسرائيل الذين أكرمهم الله تعالى، وأن الله سبحانه وتعالى ماسخك من صورة إلى صورة حتى يحولك الله تعالى على هيئة البهائم والسباع والطير، وينقذك من كل شيء، غير أنك تكون ملك ذلك الجنس الذي تكون فيه، فتمكث بذلك سبع سنين، ثم تعود إنساناً كما كنت، ليعرفك من قدرته ما غاب عنك وغبت عنها... فقال بخت نصر: فهل ربك يقبل مني توبة..؟.. قال: أما دون أن يمسخك على صورة جميع الدواب والسباع والطير...

٦٧/أ

فقام بخت نصر، فدخل دار نسائه، فبينما هو جالس إذ نظر إلى الريش قد بدت عليه، فكان أول ما مُسخ عقاباً، فقهر كل طير حتى تحدث الناس بأرض بابل.. قالوا: قد حدث في بلدنا عقاباً لا يقوم له شيء إلا قهره من الطيور، ثم مُسخ أسداً، فقهر جميع السباع، ثم مُسخ جميع الأصناف، فكان آخر ما مسخ بعوضة، وأقبل يطير حتى أتى قصره، فأعاده الله سبحانه

وتعالى/ إنساناً، وذلك عند تمام ميقاته، فاغتسل ولبس المسوح، وسلَّ سيفه وخرج إلى جنوده، وهم مجتمعون.. فقال: يا أيها الناس، إنّا كنا نعبد الأصنام، لا تنفعنا، ولا تضرنا، ولا ترزقنا، ولا تميتنا، ولا تحيينا، وأن الله سبحانه وتعالى قد أراني من قدرته ما استيقنت، أنه الملك الذي لا يبارى، الجبار الذي لا يساوى، وأنه واحد أحد، لا شريك له ولا ولد، فمن أجابني إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، وخلع الأنداد، وما يعبد من دونه، كان له ما لي، وعليه ما لي، ومن أبى ضربته بسيفي هذا حتى يحكم الله تعالى وهو خير الحاكمين، وقد أجلتكم يومي هذا، ولا يتيقن أحد منكم إلا على نفسه، ثم انصرف إلى قصره، فلما دخل الليل، وأخذ مضجعه، قبض الله تعالى روحه، فأصبح ميتاً، وكان ملكه تسعين سنة، وهذا آخر ما أُخبرنا... ٦٧/ب

وقد اختلف العلماء فيه: فمنهم من يقول: لا يدخل الجنة لأنه خرّب بيت المقدس، وأحرق التوراة، وقتل الأنبياء، وأسر الأولاد، ومنهم من قال: لا بل يدخل الجنة لأنه فعل ذلك وقد كان كافراً، والإسلام مع التوبة يمحو جميع ما فعلته مع كفره...

* * *

قصة شمشون

٥٤ ـ وَبِـهِـنَّ شَمْشُـون دُهـي بِمَصَـائِبٍ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـب
٥٥ ـ وَخَـدَعْنَـهُ بِـالمكْرِ حتَّـىٰ أَوثَقْتـهُ يَـدَا القَـوَاضِـب

فأما شمشون فكان على زمن عيسى عليه السلام، وكان من الحواريين، وكان في قرية من قرى أهل الروم، قد هداه الله تعالى الرشد، وكان أهله أصحاب أوثان يعبدونها، وكان من خبره وخبرهم فيما ذُكر من حديث ابن حميد عن وهب بن منبه اليماني: أن شمشون كان في قومه رجلاً مسلماً، وكانت أمه/ قد جعلته نذيراً، وكان أهل قرية من قراهم كفاراً يعبدون الأصنام، وكان منزله منها على أميال كثيرة، وكان يغزوهم وحده، ويجاهدهم في سبيل الله تعالى، فيصيب منهم وفيهم حاجته، فيقتل ويسبي ويصيب المال، وكان إذا رآهم بالحي عبره، فإذا قاتلوه قاتلهم، فعطش ذات مرة، فانفجر حجر في الحي، فأخرج ماء عذب، فشرب منه حتى ارتوى، وكان قد أعطي قوة في البطش، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، وكان على ذلك يجاهدهم في الله تعالى، ويغزوهم، ويبطش بهم، ويصيب منهم حاجته، ولا يقدرون منه على شيء.. حتى قالوا: لن تأتوه إلا من قبل امرأته، فدخلوا على امرأته، فجعلوا لها جعلاً[1]، حتى قالت: أنا أوثقه لكم..!!..

٦٨/أ

(١) جعلاً: الغل من الحديد، إذ إنه يجمع بين اليدين والعنق...

فأعطوها حبلاً وثيقاً، وقالوا لها: إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه بهذا الحبل. . ففعلت ذلك، فلما انتبه جذبه بيده، فوقع في عنقه، فقال: لم فعلت ذلك. . ؟. . قالت: أختبر به قوتك، فما رأيت مثلك قط، وأرسلت إليهم إني قد ربطته بالحبل فلم يغن شيئاً، فأرسلوا إليها بجامعة[1] من حديد، فقالوا: إذا نام، فاجعليها في عنقه. . فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها. . فلما انتبه جذبها، فوقعت في يده وعنقه. . فقال لها: لِمَ فعلت هذا. . ؟. . فقالت: أجرب به قوتك، فما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون. . .

قال: وقالت: أما في الأرض شيء يغلبك. . ؟. . قال: الله عز وجل يغلبني، / وشيء آخر. . قالت: وما هو. . ؟. . فقال لها: ما أنا بمخبرك عنه أبداً. . فلم تزل تسأله عن ذلك. . وكان صاحب شعر كثير. . فقال: ويحك، إن أمي كانت قد جعلتني نذيراً، فلا يغلبني شيء أبداً، ولا يضبطني إلا شعري. . فلما نام، أوثقت يده إلى شعره بعنقه، فأوثقته بذلك. . ثم بعثت إلى القوم، فجاؤوا وأخذوه، فجدعوا أنفه، وصمّوا أذنيه، وفقؤوا عينيه، وأوقفوه للناس في ظهير آتي المدينة، وكانت مدينة ذات أساطير، وكان ملكهم قد أشرف عليهم لينظر إلى شمشون حيث يصنع به، فدعا الله تعالى شمشمون حين مثلوا به وأوقفوه، أن يسلطه عليهم. . فأمره الله تعالى أن يأخذ بعمودين من أعمدة المدينة التي عليها الملك والناس الذين معه، ثم يجتهد بهما، فرد الله تعالى بصره، وما أصابوا منه، ووقعت المدينة ومن عليها من الناس، فهلكوا فيها هدماً. . .

٦٨/ب

* * *

(١) جامعة: جعلاً. . مقدار من مال أو ما شابه ذلك على سبيل الرشوة. . .

قصة جريج الراهب

٥٨ ـ وَكَذَا جُرِيجُ نَالَهُ مِن كَيْدِهُنَّ لَهُ مَصَائِبُ
٥٩ ـ أَنْزَلْنَهُ بِخدَاعِهِنَ وَمَكْرِهِنَّ عَنِ المَرَاتِبِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: إن رجلاً يقال له جريج الراهب، كان راهباً في بني إسرائيل، وكان أعبدهم لله تعالى وأعلمهم بكتاب الله تعالى، وأقرأهم للإنجيل، وكان له صومعة مقيم فيها يعبد الله تعالى، ولم يكن يُقبل على الناس لما عنده حب العبادة لله عز وجل، ولم يكن يقبل من بني إسرائيل نذراً ولا غيره.. وكانت والدته تأتيه بما يقوم بأوده، وكان قويًّا على الاجتهاد في العبادة، وكانت صومعته خارجة عن البلد، وكانت الرعاة ترعى في أرضها، وكانت والدته تعود إليه/ في كل أسبوع، فأتته يوماً، فوجدته يصلي، فنادته وقالت: يا جريج، أخرج رأسك وكلمني حتى أنظر إليك.. قال: صلاتي وأمي، أوثر صلاتي على أمي، فلم ينظر إليها.. فرفعت رأسها إليه وقالت: تبخل بالنظر علي، لا أماتك الله تعالى حتى تنظر في وجوه زواني المدينة، وانصرفت لشأنها.. ثم بقي في صومعته يتعبد الله تعالى...

٦٩/أ

ثم إن جارية لبني إسرائيل حملت وظهر حملها.. فقال لها بنو إسرائيل: من أين حملت..؟.. قالت: من جريج الراهب..!!.. نزل من

صومعته، فغلب علي، فافتضني، فحملت منه، وهذا ولدي منه.. فرفعوها إلى الملك، فلما حضرت عنده سألها عن حالها.. فقالت: كنت أرعى المواشي، فنال مني، وهذا ولدي منه.. فأمر بالصومعة أن تخرب وهو فيها، حتى ينزل مع حجارتها.. فلما قدموا عليه، خربوها، وأخذوه إلى قدام الملك، فعبروا به حتى أحضروه أمام الملك...

فقال له الملك: ويحك، أنت عابد بني إسرائيل، وما تقبل نذورهم، وتفعل هذا..؟.. فقال: وما صنعت..؟.. قال: زنيت بامرأة، وقد ولدت منك، وأريد أن أحرقك بعد أن أضرب عنقك.. فقال: أيها الملك، أين الجارية..؟.. فقال الملك: أحضروها.. فلما مثلت بين يدي جريج، وضع جريج يده على الصبي، وقال: / يا أيها الصبي، ناشدتك الله من أبوك..؟.. فقال: أبي فلان الراعي.. وبرأ الله سبحانه وتعالى جريجاً.. فقال الملك: ردوا صومعته، وابنوها بالذهب والفضة، لتعود إلى ما كانت عليه.. فقال: والله ما بقيت أسكنها أبداً، وساح في الجبال، إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه[1]...

٦٩/ب

* * *

(١) حديث متفق عليه، جاء بلفظ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وذكروا القصة...

ذكر من تكلم في المهد صبيا

وذكر بالإسناد ممَّا روي عن رسول الله ﷺ، قال: «أربعة تكلموا في المهد صغاراً، عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون، وشاهد جريج»[1]. . .

وأما ماشطة فرعون، عن ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة أُسري بي إلى السماء الدنيا، شممت رائحة أطيب من الكافور، وأزكى من المسك، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة. .؟. . قال: رائحة ماشطة فرعون وأولادها. . قلت: وما شأنها يا أخي جبريل. .؟. . قال: بينما ذات يوم تمشط بنت فرعون، إذ سقط المشط من يدها. . فقالت: بسم الله. . قالت الابنة: أبي. . قالت: لا. . قالت: فلك رب غير أبي. . قالت: نعم، ربي وربك الله. . قالت: فأعلمه. . قالت: فأعلميه. . قال: فمضت إليه فأعلمته. . فدعا بها، وقال: ألك رب غيري. . قالت: نعم، ربي وربك الله. . قال: فدعا ببقرة من نحاس، فأذاب فيها الرصاص، وجعل يأخذ أولادها واحداً بعد واحد يلقيه في البقرة. . فقالت: إن لي إليك حاجة. . قال: وما هي. .؟. . قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام أولادي في ثوب

(١) حديث متفق عليه عن أبي هريرة بلفظ: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وصبي يرضع من أمه. . وليس فيه شاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون. . .

واحد.. قال: ذلك لك علي.. /ولم يزل يلقي واحداً بعد واحد، وهي واقفة تنظر إليهم، ولم يبق سوى ولد صغير على صدرها، والثدي في فمه لا يدعه، فتحرك قلب أمه عليه.. فقال: يا أماه اصبري، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة»[1]... ٧٠/أ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «بينما امرأة فيمن كان قبلكم ترضع ابناً لها، إذ مر بها فارس متكبر عليه ثياب حسنة.. فقالت المرأة: اللهم، لا تُمِتْني حتى أرى ابني هذا مثل هذا الفارس.. فنزع الصبي الثدي من فمه، ثم قال: اللهم، لا تجعلني مثل هذا الفارس.. ثم عاد إلى الثدي يرضع من فيه.. ثم مرّوا بحبشية أو زنجية.. فقالت: أعيذ بالله ابني أن لا يموت موتة الحبشية أو الزنجية.. فنزع الصبي الثدي من فمه، ثم قال: اللهم، أمتني ميتة الحبشية أو الزنجية.. فقالت أمه: يا ولدي، سألت ربك أن يجعلك مثل الفارس، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وسألت ربك أن لا يميتك ميتة الحبشية أو الزنجية، فسألت ربك أن يميتك ميتتها.. فقال الصبي: إنك دعوت ربك أن يجعلني مثل رجل من أهل النار فأبيت، وأن الحبشية أو الزنجية، كان أهلها يسبّونها ويضربونها، فتقول: حسبي الله ونعم الوكيل»[2]...

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[3]..

قال: كانوا قوماً من القبط...

وقال الكلبي: كانوا نصارى، وذلك أن ملكهم نجران، وقد أخذهم القوم المؤمنين، فخذلهم في الأرض سبعة أخاديد، طول كل واحد أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا عشر ذراعاً، ثم طُرح فيه النفط والحطب، ثم عرضهم

---

(١) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ص ١٣٧، وقد ذكر القصة كاملة...

(٢) حديث متفق عليه، وبلفظ قريب، وهو قطعة من حديث، لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...

(٣) سورة البروج ـ الآية ٤...

٧٠/ب عليها، فمن أبى قذفه/ في النار، فبدأ برجل يقال له: عمر بن زيد، فسأله ملكهم، وقال: من علمك هذا التوحيد..؟.. فقال: أيها الملك، أنا علمته ـ وكان رجلاً اسمه عبد الله بن شمر ـ، فقذفه في النار، ثم عرض على النار واحداً واحداً، حتى أنه قد تتبع بقية المؤمنين...

قال: ثم صنع ملكهم صنماً من الذهب، ثم أمر كل عشرة من المؤمنين عليهم رجلاً يقول لهم: إذا سمعتم صوت المزامير فاسجدوا للصنم، فمن لم يسجد فألقوه في النار.. فلما سمع بذلك النصارى، سجدوا للصنم، أما المؤمنون فأخذهم، ثم ألقاهم في النار، فارتفع الناس فوقها اثني عشر ذراعاً، وأن امرأة جاءت ومعها صغير رضيع لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق، نظرت إلى ابنها فحمحمت على النار، فضربت حتى تقدمت، فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة، ذهبت لترجع.. فقال لها ابنها: يا أماه، إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ.. فلما سمعت ابنها يقول ذلك، قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها الله تعالى وابنها في الجنة، وقد قذف الملك في يوم واحد سبعة وسبعين ألفاً[1]...

* * *

---

(١) جاءت قصة أصحاب الأخدود هذه في صحيح مسلم عن صهيب الرومي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.. وملخصها:
أن ملكاً كان له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر، وكان في طريق هذا الغلام راهب، فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس، فأخذ حجراً، وقال: اللهم إن كان هذا الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها.. فقتلها.. وكان الغلام بعدُ يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء بإذن الله تعالى، وعمي جليس للملك، فأبرأه الغلام. فسأله الملك عمن أبرأه. فقال: ربي.. فغضب. فعذبه حتى دلّ على الغلام، فعذبه فدل على الراهب. فَقَعّدهُ بالمنشار، وأرسل الغلام إلى جبلٍ ليطرح من ذروته، فدعا، فرجف، فهلكوا ونجا، وأجلسه في سفينة ليغرق، فدعا، فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا، فقال الغلام للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس، وتصلبني، وتأخذ سهماً من كنانتي، وتقول: بسم الله رب الغلام.. ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه، فمات.. فآمن الناس، فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي، فتقاعست.. فقال الصبي: يا أماه اصبري، فإنك على الحق.. فاقتحمت...

قصة الزباء ودير الزبيب

٤٩ ـ وَبِـهـنَّ دَيـرُ لِلّـزَبِيـبِ تَسَـاقَطـتْ مِنْـهُ الجَـوَانِـب

وأما دير الـزبيب[١]، فهو في الشـام، وهو من أعمـال حلب، وكان لهـا ديراً حصيناً، أحجاره سوداء، وكان هائل منيع لا يكاد يقدر عليـه أحد، وكـان قد ملكته امرأة يقال لها: الزرقاء بنت اليمان[٢]، وكانت فصيحة، بليغـة، من أذكىٰ نسـاء العرب وأفصحهم وأعـلاهم نسباً، وكـانت تكره الـرجال، وكـانت تنظر نظراً عميقاً عظيماً علىٰ مسيرة يـومين وثلاثـة علىٰ بُعدِ المسـافة، وكـانت تنازل الأبطال إذا أوقد الحرب نارها، وما كان أبوها يخالف أمرهـا، فإن رأيهـا سـديـد، وركنهـا شـديـد، وكـانت تقـول ألف رايـة في النسب، والحسب، والكرم.. فنزل بهم رجل من خزاعة[٣]، وأحاط بحصنها، / فأنفذ إليه أبوها، ٧١/أ

---

(١) دير الزبيب ـ دير مشهور من أعمال حلب، انظر: كتاب الديارات للشابوشتي، باب: دير الزبيب...

(٢) الزرقاء بنت اليمان: ذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لُقْمان. ابن عاد، وأن اسمها عَنْزٌ، وكانت الزَّبَّاء زَرْقَاء، وكانت البَسُوس زرقاء.. وقال محمد بن حبيب: هي امرأة من جديس، يعني زرقاء، وكانت تسمى: الزرقاء اليمامة، وقيل: اسمها جذام.. وفيها يضرب المثل: أبصر من زرقاء اليمامة، لأنها ذات حدة بصر وصدق خير...

(٣) خزاعة: هم قبيلة من الأزد كبيرة، وإنما قيل لهم: خزاعة، لأنهم انقطعوا عن الأزد، وذلك لما تفرقت الأزد في اليمن أيام سيل العرم، فأقاموا في مكة المكرمة، وسار آخرون إلى المدينة وعُمان والشام...

وأحسن مقامه وإكرامه، ثم قال: ما تـريد. .؟. . قـال: جئتك خـاطب ابنتك الـزرقاء. . قـال: أنت أعز وأكـرم، وإنك والله كفـواً لها، إلا أن عليّ مشـورة لها، وما يمكن أن أقضي أمراً دونها. . فقال: مبارك. . فجاء إلى ابنته، وقـال لها: هذا خصم ما يرتد، وما لنـا به طـاقة، ونخـاف غائلة أمـره، وأنه داهيـة العرب، شديـد البأس، كثيـر الرجـال، فيكون لنـا سنداً، ونخشىٰ من ردّه أن يكون سبباً لزوال ملكنا علينا، وقد ذكر كذا وكذا. . فقالت: أريد مهري رأس حاتم الطائي[1]، وأريد ألف بعير، وأريد مائة وصيفة. . فـانفذهـا أبوهـا إليه، فـأخبره بمـا ذكرت ابنتـه الزرقـاء. . فقال: هـذا كله سهل عليّ، ومن حـاتم عنده، ولأخذن رأسه بسيفي هذا. . .

* * *

(١) حاتم الطائي: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج، كان شجاعاً، شاعراً، مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا سُئل وهب، اشتهر بجوده وكرمه، وفيه يُضرب المثل. . .

ذكر أجواد الجاهلية الذي انتمى إليهم الجود

وأما أجواد الجاهلية فهم ثلاثة نفر: حاتم الطائي، وهرم بن سنان[1]، وكعب بن مامه[2]، ولكن المضروب به المثل حاتم وحده[3]، . .

قال: ومرَّ حاتم في سفره علىٰ عنزة[4]، وفيهم أسير، فاستغاث بحاتم ولم يحضره، فاشتراه من العنزيين وأطلقه، وأقام مكانه في القيد حتىٰ إذا أفداه، وهو القائل لغلامه بشار، وكان إذا اشتد البرد، وغلب الشتاء، أمر غلامه أن يوقد ناراً في بقاع الأرض لينظر إليها من أضلَّ الطريق ليلاً، فيصعد نحوها، وقد قال في ذلك شعراً:

أوقد فإن الليل ليل قر ... والريح يا موقد ريح صرُّ
عسى يدري نارك من يمر ... إن جلبت ضيفاً فأنت حر

(١) هرم بن سنان: ابن أبي حارثة المري، وقد سار بذكره جوده وكرمه، ويضرب به المثل: «أجود من هرم»، انظر: مجمع الأمثال ـ للميداني ـ برقم /١٠٠٤/. . .

(٢) كعب بن مامة: يضرب بجوده وكرمه المثل: «أجود من كعب بن مامة» انظر: مجمع الأمثال للميداني ـ برقم /٩٧٨/. . .

(٣) ليس حاتم الطائي وحده الذي ضرب به المثل ـ أجود من حاتم طي ـ مجمع الأمثال ـ للميداني ـ برقم /٩٧٧/، وقد أثبتنا ذلك آنفاً. . .

(٤) عنزة: وهو. . عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، حي من ربيعة. . .

أمـا الزرقـاء بنت اليمان، فكـان مقصدهـا قتله، فنزل الـرجـل في حي حاتم، فلما دخل الخباء الذي لحاتم، فلم يحضره حتىٰ قدّم بين يـديه سبعين جفنة من الطعام، فرفع رأسه إلىٰ حاتم، ولم يكن يعرفه من قبل، فقـال: أين سيد الحي . . ؟ . . فقال لـه حاتم: السـاعة يقـدم . . وخرج من عنـده، فلبس ثوبه، وتقلد سيفه إلىٰ جانبه، ثم عاد، فرآه لا يأكـل له طعـاماً لأن الغـدر في عينيه . . فقال له حاتم: يـا أخا العـرب، ما لـك لا تأكـل من طعامنـا . . ؟ . .
٧١/ب فقال له: بي مرض، وقد وصفوا لي/ كلية فـرس . . فقام حـاتم إلى فرس لـه مشهورة من العرب عالية النسب، فذبحها وأخـذ كليتها وشـواها، وقـدمها بين يديه، فأكل وقام يرحـل من عنده، فلما خرج رأى رأس فرس مذبوحة، قال في نفسـه: كيف أصنع بهـذا الرجـل . . ؟ . . لقد أكلت طعـامه، وقـد ذبح فـرسه لأجلي، وللفرس قيمة جيدة، وقد شق عليَّ ذلـك، ثم قال: يـا حاتم، اركب معي، واخـرج عن الحي حتىٰ أذكـر لـك أمـراً أنـا فـاعله . . قـال: السمـع والطاعة، وحباً وكرامة . . فركب معه وخرج عن الحي حتىٰ أبعد . . فقال لـه: يـا حاتم، أتعـرف من أنا . . ؟ . . قـال: لا . . قال: من أنت . . ؟ . . قـال: أنا عنان بن خزيمة النخعي . . قال: أكرمت والله، ما قمنا بموجب إكرامك . . .

ثم قال: يا حـاتم، إني طلبت الزرقـاء بنت اليمان صـاحبة دير الزبيب زوجـة لي، فأبت إلا بـرأسـك مهراً لهـا خـارج عن مـا طلبت من الـوصـائف والأنعام، وإني حائر في أمري وأمرك، لأني قد أكلت طعامك، وقد فعلت في حقي ما فعلت . . فقال لـه حاتم وقـد أشهر سيفـه وأمسك بـه، وقال: يـا أخا العرب، بذمـة العرب، خـذ سيفي هذا، واضـرب به عنقي، فـإنه مـاض كما تحب . . قـال: لا وذمـة العـرب لا أفعـل ذلـك أبـداً، فـإن ذلـك أعـظم من الأولى . . فقـال له حـاتم: أنا شيـخ كبير، وقـد طعنت في السن، وإن عشت أجلي هذا العام، ما أعيش العام الآخر، وأنت شاب حـدث، فاقض غـرضك
٧٢/أ منها ولا تنسب العجز إليك، وقد قرب أجلي، فاقبل ما/ أقول لك . . فقـال: لا والله لا أفعل ذلك أبداً . . فقال حاتم: خذني إلى بين يديها أسيـراً، وأوثق

أكتافي، واجعل عمامتي في عنقي، فإذا حضرت بين يديها، إن شاءت أسرتني، وإن كان غرضها قتلي فتقتلني، وتكون أنت المحمود بذلك.. فقال عند ذلك: رضيت...

قال: فلما حضر بين يديها، وقد شد وثاقه بعمامته، وباقيها في عنقه.. رفعت رأسها إليه، وقالت: يا حاتم.. قال لها: لبيك.. قالت: من فعل بك هذا الفعال، وقدمك بين يديّ.. قال: سنانه الطويل، وسيفه الماضي.. قالت: وذمة العرب، لقد ضيعت كرمك بكذبك، والله ما جاء بك إلا طيب لبنك، وطيب أصلك، وذمة العرب أنه ليس من رجالك..

قال: ثم قالت: فكوا وثاقه، وأعطوه فرساً وجبة وعمامة، واتركوه يلحق بأهله.. فغضب عند ذلك النخعي، وجمع العرب، ونزل علىٰ دير الزبيب، فأنفذت الزرقاء إلى جزيرة ابن عمر، وكانت لها نسباً، ثم أنها أشرفت على سطح الدير، وقالت لأبيها وقومها ومن كان حولها: خيولنا الساعة وقد وضعت حوافرها في العراء، فنظرت من دير الزبيب إلى العراء مسيرة يومين، فوجدوا كما قالت، فلما وصل الجيش إليهم، لقوهم وكسروهم إلى مصار قنسرين[1]، فقال شعراً:

/خرجت من الجزيرة مصمراً   وإلى الجزيرة عدت غير ضوامر   ٧٢/ب

لم يشف من عرق الخيول جلودها   حقي وطين بها جدار الحاضر

ثم إن أهل الجزيرة اشتغلوا في حرب وقعت بينهم وبين أهل الموصل، فعاد إليهم، وقد أضيف سائر العرب، فنزل عليها وأخذ حصنها، وأخذها قهراً، وهدم حجارته وبناءه، وقد بقي خراباً إلى الآن فلن يعمر أبداً.. والله سبحانه وتعالى أعلم...

---

(١) قنسرين: قرية في سورية، تُعرف باسكي حلب، كانت على طريق القوافل بين أنطاكية وحلب، فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ونقل سيف الدولة سكانها إلى حلب بعد أن هزمهم البيزنطيون...

قال: وذكرت طيء عند عدي بن حاتم، أن رجلا يُعرف بأبي الخير أمر بقتل حاتم، فنزل به، وجعل ينادي: أبا عدي أَقْرِ أضيافك، كالمستهزىء به، فلما كان في السحر وثب أبو الخير يصيح: وراحلتاه.. فقال له أصحابه: ما شأنك..؟.. قال: خرج والله حاتم بالسيف حتىٰ عقر ناقتي وأنا أنظر إليه.. فتأملوا راحلته، فإذا هي لا تعبث.. فقالوا: فدى الله أقراك، فنحروها وظلوا يأكلون لحمها، ثم اردفوا وانطلقوا، فبينما هم في مسيرهم، إذ طلع عليهم عدي بن حاتم ومعه حمل قد مرَّ به بعيره، فقال: إن حاتماً قد جاءني في النوم. فذكر لي قولك، وإنه أقراك وأصحابك راحلتك، وقال لي: ردها عليه حتىٰ حفظتها.. وهي هذه شعراً:

أنا خير وأنت امرءاً ... حسود العشيرة لوامها

فما أردت إلى حمة ... بداوية صحب هامها

تبغي غداها وأعشابها ... وحولك نوق وأنعامها

وأمر بدفع بعير عوض راحلتك إليك، فخذه.. فأخذه...

* * *

قصة برصيص العابد

٥٠ ـ وَبِـهِـنَّ بَـرصيصٌ غَـدَا بِـعبَـادِةِ السِّتِيـنَ ذَاهِـبْ

قوله سبحانه وتعالى: ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[1]...

قال المفسرون: أن عابداً/ كان في بني إسرائيل... ١/٧٣

وذكر ابن عباس رضي الله عنه قصته، فقال: كان في بني إسرائيل عابد عبد الله تعالى ستين سنة، وكان يبرىء المجانين على يده...

وأما قصته على ما ذكر أهل الأخبار والعلماء، ودخل حديث بعضهم في بعض: أن برصيصاً كان عابداً في بني إسرائيل، وكان له فضل مثل شهر رمضان، وكان كل أربعين يوماً لا يلقي جنبه إلى الأرض، ولا يأكل ولا يشرب، ولم يزل فيها متضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى يصل ذلك بقيامه، فيخرج بعد الأربعين مثل الخلال، تكاد أن تسقط قوته، فلما قضىٰ فصله الذي يتعبد فيه، وخرج منه، قال: هذا شيء لا يقدر عليه غيري، ولا فعله بشر قبلي، فدخل عليه العجب، فحينئذ جاءه إبليس لعنه الله، فطرق عليه

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ١٦...

باب الصومعة في صورة شيخ كبير قد طعن في السن.. فأشرف عليه برصيصاً، وقال له: ماذا تريد..؟.. وما حاجتك..؟.. فقال: أخدمك.. فقال: أنت اليوم تحتاج إلى خدمة الفقراء.. فقال: وما يضرني من ذلك فيه كسر نفسي، وأسعد بخدمة الفقراء.. ففتح له الباب، وأقام عنده يخدمه، فلما قرب الفصل الذي يتعبد فيه ويصومه، قال له: أشتهي أن تخرج عني، فهذا وقت أشتغل فيه مع الله سبحانه وتعالى، فما أحب أحداً أن يشغلني فيه عن ربي،.. فقال له إبليس لعنه الله: أنا ما أتعرض لك، تقف أنت في مكانك، وأقف أنا في مكاني، ولا تراني أبداً.. ودخل برصيص في فصله، فلما قضىٰ برصيص الفصل، خرج منه كأنه ميت، وكادت قوته أن تسقط، لأن/ طبعه طبع البشر، أما إبليس لعنه الله، كلما ازداد يزداد جوهراً، ويحمر وجهه، ويقوى عصبه، فبقي بعد ذلك عشرة أيام، فدخل عليه برصيص العابد، وقال له: أنت آدمي..؟.. قال: نعم.. [قال][1]: فما أرى طبعك طبع البشرية، قل ما حالك، وأي شيء أنت..؟.. قال: أتداوى بالخير.. فقال إبليس لعنه الله: لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العلي العظيم، تتقوى بالمعاصي على الطاعة.. قال: وما الذي يضر، فالسيئة بواحدة، والحسنة بعشرة أمثالها...

٧٣/ب

قال: فما زال يطغيه حتى أنعم له.. قال: من أين لنا ذلك..؟.. قال: أنا أحضره لك.. فخرج من عنده، وراح إلى بنت الملك الذي لتلك البلدة، فصرعها.. وقال: نعم، وما يبرئها إلا برصيص العابد.. فحملت إليه سراً بالليل، وقد أحضر إبليس لعنه الله جميع ما يحتاج إليه من الخمر وغيره، فقام وأخذ المرأة وأنزلها عنده، فلما سقاه إبليس الخمر.. قال برصيص: أرى شيئاً يدب في رأسي، وقد ثقل علي.. قال له: اعلم إن الخمر إذا دخل في الجسد، انقسمت ثلاثة أقسام، منها ما هو الجوهر، وهو الذي يصعد إلى

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

الرأس يجري مجرى الدم، وقسم منهـا يخرج مـع الخبيث، ولا ينفعك هـذا حتى تـواقع هـذه المرأة.. قـال: والله مـا أفلحت بصحبتـك أسقيتني الخمـر وتأمرني بالزنا.. قال: قد فعلت ما فعلت، وما يستقيم لك حال حتى تفعل ما قد قلت لك.. فطغاه، وقد سكن الخمر منـه، فواقعهـا، فخلاّه يسيـراً، وقال لـه: قد حملت، ومـا أخوفني عليـك إذا ظهر الحمـل عليها، من الملك ومن بني إسرائيل.. فقال له: وما أصنع إذاً..؟.. قال: تقتلها..!!.. قـال: لا حول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم، والله إنـك لأبليس الصاحب، كنت عليّ حتى أسقيتني الخمر، وأمرتني بـالزنـا، وقد أمـرتني بالقتـل.. فقال: فـإن لم تفعل لتهلكن، أنا ما أقول لأحد، وأنت ما تخبر عن نفسك، / فاقتلها وادفنهـا خارج الصومعة، فإن طلبوها منك، قل لهم: فتحت البـاب وخرجت.. وأنت محـل صدق في بني إسـرائيـل.. ففعـل ذلـك.. فـراح إبليس لعنـه الله إلى إخـوتها، وكـان لها ثـلاثة إخـوة، وقـد تـزيـا لهم في المنـام، وقـال لهم: إن برصيصاً قتل أختكم، وقد دفنها خارج الصومعة.. فلمـا أصبح الصبـاح، دعا الأخ الأكبر إخوته، وقال: قد رأيت البارحـة رؤيا هـالتني، وإنها كـذا وكذا.. فقال الأوسط: والله، وأنا رأيت هذا المنام.. وقال الصغير: والله، وأنـا رأيت هذا المنام.. فـركبوا وركب الملك معهم، وجميـع من في المدينـة، وإبليس لعنـه الله يتقدمهم، حتى أوقفهم على قبـرها، فنبشـوه، ثم أنزلـه من صومعتـه واستخبروه عما فعل، فأقر لهم.. فأخـذوه، وأخذوا خشبـة ليصلبوه عليهـا.. فجاءه إبليس لعنه الله، وقال له: أنا الذي عملت بك هذا كله، اسجد لي من دون الله حتى أخلصـك.. فقال: كيف أسجـد وأنت كما تـرى.. فقال لـه: انـــوِ بقلبك، وأوحِ بـرأسـك، فـإني مطلع عمـا في قلبك.. فنـوى بقلبـه، وأوحى برأسه، فلما رأى إبليس ذلك منه، قال: **﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَـافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَكَانَ عَـاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَـا فِي النَّارِ خَـالِدَيْنِ فِيهَـا وَذَلِكَ جَـزَآءُ الظَّالِمِينَ﴾**[1]...

أ/٧٤

(١) سورة الحشر - الآيتان ١٦ و ١٧..

وقد روي عن رسول الله ﷺ، قال: «لا ينظر أحدكم إلى عمل عامل حتى ينظر بماذا يختم له»[1]...

وقوله ﷺ: «الأعمال بخواتيمها»[2]...

فنسأل الله تعالى خاتمة الخير بمنه وكرمه...

* * *

---

(١) انظر المصدر السابق، وذلك أقرب وأسهل...

(٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». رواه البخاري ـ ٦/٦٦، في الجهاد، باب: لا يقال لفلان شهيد، وفي المغازي، باب: غزوة خيبر، وفي الرقاق، باب: الأعمال بالخواتيم، وفي القدر ١١/٤٣٦، باب العمل بالخواتيم، وزاد: «وإنما الأعمال بالخواتيم». ورواه مسلم في الإيمان، باب: غلط قتل الإنسان نفسه، برقم /١١٢/، وأحمد في المسند ـ ٥/٣٣٢...

متفرقات في مكر النساء

٦٠ ـ كَادَتْ تَزُولُ بِمكْرهِنَّ جِبالٌ لا تُحصى لكاتِب

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[1]...

ومعنى: وقد مكروا مكرهم.. قال المفسرون: هو نمروذ بن كنعان لما صعد بالنسورة إلى السماء، فرعب الجبال من هدتها، وكان أن تزول منه، / وظنت أن الساعة قد قامت، وخافت من غضب الله سبحانه وتعالى...

٧٤/ب

وقيل: يعني بالجبال، قريشاً، وذكر الجبال تعظيماً للأمر...

وقيل: معناه النفي، وتقدير الكلام، ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وهو محمد ﷺ[2]...

١ ـ ● وأما تفسير الأئمة، فقد نقلوا عن ذلك مسنداً، عن جعفر الصادق، قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ عابد، وكان له مع الله تعالى

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٤٦...

(٢) انظر: تفسير النهر الماد من البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ج ٢، ص ٢٠٧ و٢٠٨...

معاملة حسنة، وكان له زوجة متيماً بها، وكانت أجمل أهل زمانها، وكانت مفردة في الحسن والجمال، وكان يقفل الباب عليها، فنظرت يوماً شاباً فهوته وهواها، فعملت له مفتاحاً على باب دارها، وكان يدخل ويخرج ليلاً ونهاراً متى شاء، وزوجها لم يشعر بذلك، فبقيت كذلك زماناً، فقال يوماً زوجها، وكان أعبد بني إسرائيل وأزهدهم: قد تغيرت عليَّ، ولم أعلم بالسبب، وقد تشوش قلبي عليك، وكان قد أخذها بكذا، فاشتهي منك أن تحلفي لي أنك لم تعرفي رجلاً غيري.. وكان لبني إسرائيل جبل يقسمون به، ولا يحلفون إلا به، ولا يتحاكمون إلا عنده، والجبل خارج عن المدينة، وكان عنده نهر يجري.. فقالت له: وتطيب نفسك ويطيب قلبك إذا حلفت لك.. قال: نعم.. قالت: متى شئت.. فلما خرج الشيخ لقضاء الحاجة، دخل عليها عشيقها، فأخبرته بما جرى لها مع زوجها، وأنها تريد أن تحلف له بالجبل، وقالت: ما يحلُّني أن أحلف كاذبة، ولا أقول له ما أحلف.. فقال: ما تريدين.. فقالت له: غداً من باكر، البس ثوب مكاري، وخذ معك بهيمة، وأجلس على باب المدينة، وأنا أقول له أن يكتريها منك، فإذا اكتراها منك، بادر إليَّ واحملني وارفعني فوق البهيمة حتى أحلف له وأنا صادقة/ أنه ما مسني غيرك وغير هذا المكاري.. فلما جاء زوجها، فقال لها: تقومي معي إلى الجبل لتحلفي لي.. قالت: ما لي طاقة على المشي.. فقال: اخرجي، فإن رأيت مكاري اكتريته لك.. فقامت ولم تلبس لباسها، فلما خرجت وجدته ينتظرها، فقالت له: يا مكاري، تكري دابتك إلى الجبل بنصف درهم.. قال: نعم.. قالت: احملني عليها.. فرفعها المكاري على البهيمة.. وقالت لزوجها: أعطيه نصف درهم.. فلما وصلت إلى الجبل، قالت للمكاري: أنزلني حتى أصعد إلى الجبل، فلما تقدم منها، ألقت نفسها إلى الأرض، فانكشفت عورتها، فشتمت المكاري. فقال: والله ما لي ذنب.. ثم إنها مدت يدها إلى الجبل وأمسكته، وحلفت به أنه لم يمسها ولا نظرنا إنسان بمثل نظرك بمكروه أحد من خلق الله تعالى، منذ عرفتك، غيرك وغير هذا المكاري... وكان قد أخذها بكراً، فطاب قلب زوجها..

٧٥/أ

وقيل: إن الجبل اضطرب عند ذلك اضطراباً شديداً، وأنكر ذلك بنو إسرائيل، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. . .

٢ ـ ● وقيل: كان رجل له ابنة جميلة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكث كذلك دهراً طويلاً، ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف، فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية، واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه، ما يمنع أبي أن يزوجني من ابن عمي. .؟. . قالت: أمراً كان مقضياً. . قالت: والله ما أحسن ما رباه صغيراً، ثم يدعه كبيراً. . ثم قالت: إني والله منه حامل فاكتمي إن شئت، أو بوحي. . فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته الخبر. . فقال لها: اكتمي هذا الأمر. . ثم خرج إلى القوم، فقال: / ٧٥/ب إني قد أجبتكم، وإنه حدث أمر رجوت منه الأجر، فإني أشهد لكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان. . فلما انقضى ذلك. . قال الشيخ: أدخلوها. . فقالوا: البنت هي بالرحمن كافرة، لا يدخل عليه أحد ولا يدخل عليها أحد إلى سنة ليتبين حملها. . فما دخل بها إلا بعد حول. . فعلم أهلها أنها احتالت على أبيها. . والله أعلم. . .

٣ ـ ● وذكر عن بعض بنات الأكابر، أنها كلما أرادوا تزويجها، كانت تجن وتصرع، فلم يقدم عليها أحد ليتزوجها، وبقيت هكذا زماناً طويلاً، ثم إنهم زوجوها برجل من أكابر البلدة، ولم يبق غير الدخول، فجنت جنوناً زائداً عن كل مرة، فأجمعوا أمرهم ورأيهم على أن يعرضوها على مُعزِّم[1]، وما كانوا يريدون أن يشتهر عنها الجنون، فجاؤوا بالمعزم، وكان رجلاً حاذقاً في صناعته، صاحب مروة عظيمة، وكان أذكى أهل زمانه، فلما دخل عليها، وكان صاحب تعصب ودين، نظر إليها فلم يَرَ بها جنوناً، فالتفت إلى من كان عنده، وقال: لا يبقى عندي أحد حتى أضرب لها مندلاً، فلم يبق غيره

---

(١) المُعزِّم: هو الراقي الذي يعمل رقية، وهي كما يزعمون يستعان بها للحصول على أمر بقوى تفوق كل شيء. . .

وغيرها.. فقال: أخبريني عن حالك..؟.. لعله أن يكون على يدي فرج إن شاء الله تعالى، فلما ألح عليها أن تخبره خبرها، قالت له، وكانت فصيحة وذكية: كنت أهوى شاباً، وكنت مغرمة به، وحكم عليّ من ذلك الهوى، فدعاني إلى ما أراد، فأجبته، فوطئني، وأنا اليوم ثيب، وأخاف أن يظهر عليَّ هذا الأمر، فأُقتل، وأفتضح في قومي وفي عشيرتي، وتشيع عني الفاحشة، فقال: لا بأس عليك.. ثم خرج إلى أهلها، وقال: قد عزمت عليها، وأنا أشفيها بإذن الله سبحانه وتعالى الآن، وقد ذُكر لي أنها قد آذت شيطانها، وقال لي شيطانها أنه لا يخرج حتى يؤذي منها/ شيء أو يهلكها، فتواعدت معه، فقال لي: لا بد ما أهلك منها شيء كما آذتني، أو لا بد من هلاكها.. فلما أن أقسمت عليه، قال: ما أخرج حتى أؤذي منها شيء، فخفت أن أخرجه من عينيها فأعميها، أو من أذنيها فأصمها، أو من فمها يخنقها، أو من أحد أعضائها عطبه، وقد أُخرجه من فرجها، وأخاف عليها من ذهاب البكارة عنها.. فقالوا: رضينا بذلك إن تعافت من هذا المرض.. ورضي الزوج بذلك، وقال: الحمد لله الذي منَّ عليها بالسلامة والعافية، وعاد إليها عقلها.. وقد أعطوا إلى المُعزِّم عطاءً ما عليه من مزيد...

٧٦/أ

٤ ـ ● وقد حكي عن بعضهم أنه كانت له زوجة، وكانت قد قهرته حتى لا يكاد أن يتصرف في نفسه، ودون أن تعلم به، وكانت له جارية حسنة الصورة، وكانت قد وقعت في نفسه، وتعلق بحبها، وكان يجتهد على الاجتماع من زوجته وهي تنكد عيشه، واشتد وجده بها، فخلي بالجارية يوماً من الأيام، فقال: الليلة نامي في المكان الفلاني حتى أجيء لأنام عندك الليلة.. فقالت: السمع والطاعة.. ففاقت الزوجة عليهم، فلما كان الليل. قالت: يا جارية اذهبي ونامي في فراشي، وأنا أنام في هذا الموضع.. فقالت: مبارك يا ستي.. فلما جن الليل، راح إلى ذلك الموضع الذي عاهدها، فدخل معها الفراش، وهو يعتقد أنها الجارية، فواقعها، فوجد لذلك حلاوة ولذة بخلاف العادة، وذلك لأجل خوفه وقوة محبته، واجتهد على كثرة

المقام معها وكثر المجامعة، فلما همَّ بـالانصراف عنهـا، أمسكت به، وقـالت لـه: ما هـذا الفعل..؟.. أمـا تستحي، وما هـو الفـرق بيني وبينهـا إن أنت تخلف عنهـا، والله ما بقيت تقيم عنـدي ساعـة واحدة، فـأنت لا أمـانـة لـك أبداً.. / فما زالت به حتى باع الجارية وفي قلبه منها حجر الغضا... ٧٦/ب

* * *

قصة إسحاق عليه السلام

٥١ - وَبِــهِــنَّ أَصْبَـحَ بَـاكِيـاً إسْحَـاقُ مِـنْ فَقْـدِ الحَبَـايِـب

وقد ذُكر أن إسحاق عليه السلام من بني إسرائيل في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان له ابنة عم، وكانت من أجمل بنات زمانها، وكان مغرماً بها ويحبها حبًّا شديداً، فلما ماتت، لزم قبرها لا يفتر عن زيارتها، فمرَّ به عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يبكي على قبرها.. فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك..؟.. قال: يا نبي الله، إنه كان لي ابنة عم، وهي زوجتي، وكنت أحبها يا نبي الله حباً شديداً، وإنها قد توفيت، وهذا قبرها، وإني لا أستطيع الصبر عنها، وقد قتلني فراقها.. فقال عيسى عليه السلام: أتحب أن أحييها لك بإذن الله تعالى.. قال: نعم يا نبي الله.. فوقف عيسى عليه السلام على القبر، وقال: قم يا صاحب القبر بإذن الله تعالى.. فانشق القبر، وخرج عبد أسود، وهو يقول: نبي الله وكلمته.. ثم قال: يا نبي الله، ما هو هذا القبر الذي فيه ابنة عمي، وإنما هو هذا الآخر، وأومأ بيده إليه.. فقال عيسى: ارجع إلى ما كنت فيه.. فسقط ميتاً، فواراه في قبره، ثم وقف على القبر الذي أشير إليه، فقال: قم يا ساكن هذا القبر بإذن الله تعالى.. فقامت المرأة وهي تنفض التراب عن رأسها.. فقال عيسى عليه السلام: هذه صاحبتك..؟.. قال: نعم يا نبي الله.. قال: خذ بيدها.. فأخذها زوجها

ومضى.. ثم مرَّ عليها ابن الملك، فرأته، فعشقته، فقامت إليه، فلما نظرها وقعت في قلبه، فأتت إليه، وقالت: خذني.. فهواها، وراحت معه.. فقام زوجها يطلبها، فأنكرت عليه، وقالت: أنا جارية ابن الملك.. فقال: أنت زوجتي وابنة عمي.. قالت: ما أعرفك، وما أنا إلا جارية ابن الملك.. فقال لها: ارجعي إلى الله سبحانه وتعالى وانظريني عن قرب.. فقال ابن الملك: تريد أن تفسد جاريتي.. قال: والله إنها زوجتي، وأن عيسى ابن مريم عليه السلام قد أحياها لي بإذن الله تعالى بعد أن كانت ميتة.. وكان عيسى عليه السلام عابر فرآهم.. فقال: يا نبي الله، ما هذه هي زوجتي التي أحييتها/ بإذن الله تعالى.. قال: نعم.. قالت: يا نبي الله، أنا جارية ابن الملك.. فقال ابن الملك: يا نبي الله، هذه جاريتي، فقال لها عيسى عليه السلام: ألستِ التي أنا أحييتها بإذن الله تعالى.. قالت: نعم، لا يا نبي الله.. قال: قومي فردي ما أعطيناك.. فقالت: كذلك.. فسقطت ميتة...

٧٧/أ

فقال عيسى عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله تعالى كافراً، ثم أحياه فمات مسلماً، فلينظر إلى ذلك العبد الأسود، ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله تعالى مسلمة، ثم أحياها فماتت كافرة، فلينظر إلى هذه المرأة»...

* * *

قصص متفرقة

١ ـ ● وذُكر أنه كان في الزمان الأول رجل يقال له عبود، وكان عاشقاً لابنة عمه، فلما حضرتها الوفاة، أزعجه ذلك وأقلقه، فلما توفيت، سار إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وسأله أن يحييها له، فقال: لن يتهيأ ذلك إلا أن توهب لها من عمرك شيئاً. . قال: قد وهبت لها نصف عمري. . فسار المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى تربتها، ووقف وسأل ربه تعالى أن يحييها، فأحياها الله سبحانه وتعالى. . فأخذ الرجل بيدها، ومضى يريد بها أهله، فأدركه الفتور في بعض الطريق. . فوضع رأسه في حجرها واستقل نوماً، فمرَّ بهما ملك الناحية، فرأى وجهها جميلاً، وخلقاً حسناً، فعرض عليها صحبته، فأجابته ما أمرها، فوضعت رأسه في حجرها، وحملها في قبة كانت معه. . فلما انتبه عبود، بقي متفكراً، وبينما هو كذلك إذ تلقى نفراً يتواصفون الجارية وبراعة خلقها، فسألهم عن الخبر، فأعلمهم أنهم رأوا مع الملك امرأة قد حملها في قبة، من حسنها وصفتها كذا وكذا. . فمضى عبود، فلم يزل يقتفي الأثر حتى لحقها، فجعل يذكرها العهد الذي بينهما، وهي ساكتة، ويسألها الرجوع عما هي عليه، وهي مترددة عنه، إلى أن قال: ويحك قد كنت توفيت، فصرتِ في جملة الموتى، فسألت المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أن يحييك بإذن الله تعالى، فأحياك بإذن الله تعالى على أن أعطيك نصف عمري، فإن كنت لا تسيرين معي إلى أهلي وأهلك/ ٧٧/ب

فردي عليَّ ما وهبته لك من عمري.. قالت: فإني قد رددته إليك، فلا حاجة لي فيه.. فما أتمت هذه الكلمة حتى وقعت ميتة، فانصرف عبود إلى أهله مغتبطاً، فضربت العرب يوم عبود مثلاً، ذكرها في كتابه، السراج...

٢ ـ ● ويقال: إن رجلاً كان يقال له: عمرو بن مسلم، وكانت له امرأة يقال لها آمي، وكانت تبغضه، ولم يكن يعلم ذلك، وكان من أشد الناس حباً لها، فدخل عليها ذات يوم وهي تقرأ في المصحف، فقال: يا آمي، أسألك بما أنزل الله تعالى في هذا المصحف، أتحبيني، أم تبغضيني.. فقالت: والله لا أخبرك إلا أنه سؤال أسأله لك.. فقال: وأي سؤال..؟.. قالت: أن تجعل أمري في يدي.. قال: نعم.. وقد ظن أنها مازحة.. فقالت: فلا والله، وما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم ما أحببتك ساعة قط.. فلما حصل أمرها في يدها، اختارت نفسها.. وكاد الرجل يموت أسفاً عليها...

ثم.. أنشد يقول شعراً...:

فيا رب أدعوك للعشية مخلصاً ... دعاء امرىء عمت بلابله الصورا
بأنك تجمع بآمي ليأتيني مع اليأس ... قبل الموت أُحدث لك الشكرا
فتجمع بها الشمل أمر لم تدع له ... فؤاد ولم يرزق على بينها صبرا
إلى الله أشكو أن مما تزوجت ... يحفل مطلبها ووليتها الأمرا
خطأ من الرأي الضعيف ولم تخف ... فيه غدراً واجتازت بنا الغدرا
وماتت لشد الحبل بيني وبينها ... هنيئاً لها قد حملت نفسها الاصرا
وخانت خليلاً لم يخنها ولم يرد ... بها بدلاً في الناس شفعاً ولا وترا
عسى بالوحي بالردى عني وعلى ... الحشى كان قميصي مشتعل تحته جمرا
فرحت بها لولا كتاب ومدة ... مؤجلة لا عشت خمساً ولا عشرا
تحسنت الدنيا بآمي لياليا ... فلا بل ثم استبدت جزعاً لدرا
مرارات صبت حتى قلت وعلقم ... تحسبت من أغصانها جرعا خمرا

/ فانظر إلى هؤلاء النساء، وما فعلن بأزواجهن...   ٧٨/أ

وقوله ﷺ لما أتاه الأعرابي وقال: يا رسول الله، ائذن لي أن أسجد لك.. فقال ﷺ: «لا يسجد أحد لأحد من خلق الله، ولو كنت آمراً أحداً، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1]...

وقوله ﷺ: «أول ما تُسأل المرأة عنه يوم القيامة، عن صلاتها، ثم عن زوجها»[2]...

وقيل: إن المرأة إذا صلت ولم تدع لزوجها، رد عليها دعاؤها وصلاتها حتى تدعو لزوجها[3].

وعن النبي ﷺ قال: «لو أن الزوج سال من أحد منخريه دماً، والآخر صديداً، فلمسته امرأة، ما أدت حق زوجها»[4]...

* * *

---

(١) رواه ابن حبان في موارد الظمآن برقم /١٢٩١/ عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: لما قدم معاذ من الشام، سجد للنبي ﷺ.. فقال ﷺ: «ما هذا..؟..». قال: أتيت الشام، فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن أفعل ذلك.. فقال رسول الله ﷺ... وذكر الحديث.. ورواه الترمذي برقم /١١٥٩/، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩١/٧، والحاكم في المستدرك ١٧١/٤ و١٧٢، وقال: صحيح الإسناد، وللحديث شواهد كثيرة...

(٢) هو إشارة إلى حديثين: الأول: أول ما يحاسب العبد به الصلاة.. رواه النسائي عن أبي مسعود، والحديث الثاني: هو من حقوق الزوج على المرأة وفيه أبواب عدة...

(٣) انظر الحديث السابق وشرحه...

(٤) لم أجد له أصلاً...

قصة الموءودة

٦١ - وَبِهِنَّ وَاحِدَةٌ عَصَتْ فَتَقَطَّعَتْ بِهَا الْمَنَاسِبْ
٦٢ - مِنْ أَجْلِهَا سُفِكَ دَمٌ لا يُعَدُّ بِعَدٍّ حَاسِبْ

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[١].. وهي: الجارية المقتولة دفناً وهي حية. قيل: سُميت بذلك لما يُطرح عليها من التراب فيئودها، أي: يقتلها حتى تموت...

قالوا: وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت، وأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من الصوف والشعر لترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية[٢]، قال أبوها لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحيائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ البئر بها، قال لها: انظري هذا البئر، فيدفعها من خلفها في البئر، ويهيل على رأسها التراب حتى يسوي به الأرض.. فذلك قوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[٣]...

---

(١) سورة التكوير - الآية ٨.. وجاء في تفسير النهر الماء لأبي حيان الأندلسي ج ٣، ص ١٢٢٥: سئلت: سؤال لتوبيخ الفاعلين للوأد، لأن سؤالها يؤدي إلى سؤال الفاعلين، وجاءت قُتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها، ولو حكي ما خوطبت به حين سُئلت لقيل قُتلت...

(٢) أي بلغت البنت ست سنوات...

(٣) سورة النحل - الآية ٥٩.. وجاء في تفسير النهر الماد لأبي حيان الأندلسي ج ٢، ص ٢٥٣،

٧٨/ب

وقال ابن عباس رضي الله عنه: كانت المرأة في الجاهلية/ إذا حملت، وكان أوان ولادتها، حفرت حفرة، فمخضت على رأس الحفرة، فإن ولدت جارية، رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته، وكانت طوائف العرب تفعل ذلك...

وعن النعمان بن بشير، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾.. قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني واريت ثماني بنات في الجاهلية ـ قال ﷺ: «فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة». قال: يا رسول الله، إني صاحب إبل.. قال ﷺ: «فأهدِ عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت»[1].. قال: سُئلت: بأي ذنب قتلت...

* * *

= أي: على هوان، وأيمسكه قبله حال محذوفة التقدير مفكراً أيمسكه أم يدسه معطوف. وكان بعض العرب لا يحتملون نسبتها إليهم...

(١) مجمع الزوائد ـ للهيثمي ١٣٤/٧...

ذكر السبب الموجب لقتل البنات

ذُكر في التاريخ، وانفرد به بعض المفسرين:

وذلك أن العرب تواقعت على بعضها بعضاً، فكسرت ألفة المواحدة، وكانت الحرب بينهما قائمة، وهي: مضر[1]، وكنانة[2]، وتميم[3]، وخزاعة[4]، فلما كسرتها تبعتها مضر وكنانة إلى البيوت، وقالت لهم: إنما الحرب سجال، تارة لكم وتارة عليكم، وهذا شيء ما فعلته العرب قبلكم.. ـ وذلك أنهم دخلوا إلى البيوت وأخذوا الحريم وجميع ما في البيوت، فشق ذلك على العرب تهجمهم على البيوت وأخذهم الحريم ـ، فقالوا: فلا تحدثون أمراً تلعنون به إلى يوم القيامة، وتحملون العرب العار، وإن أنتم أبيتم، ولا تسمعون منّا، فنحن لا نصبر على الضيم بأن تكون حريم العرب في الأسر، فإن كنتم يطيب عليكم إذا كسرتم يؤخذ حريمكم، فنحن لا يطيب علينا أن تكون حريم العرب في الأسر، والرأي أنكم تردون علينا جميع الحريم، وما أخذتم من الأنعام والمواشي فهو لكم/ لا نسألكم فيه، وإننا ما ٧٩/أ

(١) مضر: ابن نزار، وهو الجد الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية، ومنها: قيس عيلان وغيرها...

(٢) كنانة: ابن خزيمة، قبيلة عربية من أحلاف قريش، ناصرت قريش في فتح مكة...

(٣) تميم: ابن مُرّ، قبيلة عربية، وهي بطن من الياس بن مضر...

(٤) خزاعة: قبيلة عربية، وهم رهط حارثة بن عمرو، من أزد كهلان اليمانية...

جئناكم إلا وقد حميت صدور جميع العرب عليكم، وما لكم طاقة لجميع العرب، فردوا الحريم، والحرب بينكم قائمة.. فأجابوهم، وردوا جميع الحريم، والخدم، والصغار، والكبار، والصبيان.. ولم يبق عندهم سوى امرأة واحدة، وكانت بكراً، فافتضها مالكها الذي كانت عنده، فأبت العودة إلى أهلها خوفاً أن يقتلوها.. فقالوا لمالكها: ردها.. فقال: والله، وذمة العرب، لا أمنعها عنكم، ولا أغصبها على الزواج، وإنما انفذوا لها الكبار وعجائز الحي يتحدثون معها يوماً وشهراً، فإن أجابت، فخذوها، وإلا فلا.. وكان قد تعلق قلبها به...

فلما سألها كبار العرب وعجائز الحي ونساء العرب، أبت أن ترجع معهم، فعظم ذلك على العرب بأجمعهم...

ومن ثم.. أقسموا بأديانهم، وباللات، والعزى، أنهم متى رزقوا بأنثى قتلوها.. وهي: تميم، ومضر، وكنانة، وخزاعة، فكانوا يفعلون خيفة من العار، وذلك لما فعلت تلك المرأة، وبقوا على ما هم عليه، إلى أن قدم الإسلام، فكانوا إذا جاءتهم البنت لم يلبثوا أن يقتلوها، ويقولون: إنما نقتلها خيفة العار...

فهذا كان السبب لقتل البنات على ما ذكرنا، إلى أن أُنزل القرآن الكريم، فنهاهم عن ذلك...

* * *

قصة طالوت

٥٦ ـ وَبِـهِنَّ أَصْبحَ نَـادِمـاً طَـالـوتُ للْـعَبَـراتِ صَـائـب
٥٧ ـ طَلَـبَ السِّيَـاحَـةَ رَاجِـلاً بَـعْـد المَـوَاكِـبِ وَالجَنَـائـب

قال أهل التواريخ: لما نزل جالوت الجبار بيت المقدس، وهـو من ولد عاد بن آدم، فيمن كان بـأرض الشام من أولاد الجبـابرة الـذين كانـوا/ بأرض مصر، فلما رأوا ما بهم من الذل، وما نزل بهم من البـلاء، اجتمع عـظماؤهم وأكابرهم إلى نبي لهم يسمى أشعيا، فقالوا: قد علمت مـا نزل بنـا من البلاء والـذل وكثرة من أحـاط بنا من عـدونا، فـابعث لنا ملكـاً يجمعنا ويحمينـا من عدونا ويجاهد بنا.. فقال لهم أشعيا: ﴿**هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلَّا تُقَـاتِلُوا قَـالُـوا وَمَـا لَنَـا أَلَّا نُقَـاتِـلَ فِي سَبِيـلِ اللهِ وَقَـدْ أُخْـرِجْنَـا مِن دِيَـارِنَـا وَأَبْنَائِنَا**﴾[1].. فأعلمهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَـالُوتَ مَلِكـاً**﴾[2].. وكان طالوت من ولد يوسف بن يعقوب.. وكان الملك قبـل ذلك من سبط يهـوذا، قالوا: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ**﴾[3].. الآية.. وقالوا: إنما ابتلينا بهـذا القحط والوبـاء منذ صـار هذا

٧٩/ب

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٦...
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٧...
(٣) سورة البقرة ـ تتمة الآية ٢٤٧.. وقالوا: أنى.. الجملة وهو كلام من تعنت في حكم الله تعالى، =

التابوت عندنا، فينبغي أن نحتال لإخراجه، فعمدوا إليه، فجعلوه في عجلة بثورين فسرحوهما، فساقت الملائكة ذلك الثورين حتى وافوا بهما أشعيا، فلما رأوا ذلك رضوا بملك طالوت عليهم، فاجتمعوا وملكوه عليهم، فسار بهم طالوت نحو جالوت الجبار وجنوده، فاصطفوا للقتال، وطالوت يدور على أصحابه، ويقول: يا قوم انصروا الله ينصركم، وناصحوا الله يُغْنِكُمْ . . وخاف أصحاب طالوت من جالوت وجنوده خوفاً شديداً، ونظروا إلى قوم جبارين، ذوي أجسام، وقوة أبدان، وكثرة جمع، فامتلأوا رعباً . . .

وكان لداود عليه السلام ثلاثة أخوة مع طالوت، وكان داود عليه السلام أصغرهم، فأمر أشعيا بإحضاره، وأخرج والده في أثره . . فقال: ما بلغ من قوتك . . ؟ . . قال: يا أبت، انظر إلى هذا الأسد، قَدِمَ عليَّ فأخذ شاة، فأمسكته وقسمته نصفين وخلصت الشاة من فمه . . فقال: الحمد لله الذي أراني فيك ما يسرني، ثم أخذه بيده ليحضره طالوت، فمرَّ بحجر، / فقال: خذني، فإني أقتل جالوت . . فقال: بسم الله تعالى رب موسى وهارون، وأخذه ووضعه في مزودته . . ثم مرَّ بحجر آخر، فقال: خذني يا داود، فأنا أقتل جالوت . . فقال: بسم الله تعالى رب محمد، فأخذه ووضعه في مخلاته . . فلما حضر عند طالوت، . وفي يده مقلاعه، وفي عنقه مخلاته، وفيها ثلاثة أحجار، فبرز داود عليه السلام من بين أخوته، فقال: أيها الملك، ما الذي تجعل لي إذا قلت جالوت . . !؟ . . قال: أزوجك ابنتي، وأقاسمك شطر مالي . . قال داود عليه السلام: فإني قادر على قتله إن شاء الله تعالى . . فقال له طالوت: يا فتى، هل جربت نفسك قبل اليوم . . ؟ . . قال داود عليه

٨٠/أ

= ولم يسلم لما فعله الله تعالى، وأبدوا عذرهم في إنكار تمليكه عليهم وأنهم أحق بالملك منه إذ الملك في سبط يهود والنبوة في سبط لاوي وليس هو من هذا السبط ولا من هذا السبط، والملك لا يتم إلا بالفاضل لا المفضول والموسع عليه في الدنيا، إذ يحتاج إلى استخدام الرجال بالمال ومعونتهم به على القتال اعتبروا في ذلك الأصالة والغنى ولم يعتبروا السبب الأقوى وهو ما قضاه الله وقدّره. انظر: تفسير النهر الماء لأبي حيان الأندلسي ج ١، ص ٢٤٦ . . .

السـلام: نعم، كنت أرعى غنماً لأبي، فـأقبل أسـد، وحمل شـاة فأخـذهـا، فأقبلت عليه وفتحت فمه حتى خلصت الشاة، وقسمته نصفين.. فقال طالوت لأخـوته: هـل صدق فيمـا قال:..؟.. قـالوا: نعم أيهـا الملك، قد كـان ما ذكره، لكنه عمل بالجهـل، وغره الشبـاب، وحيل الحـداثة، فـألقى نفسه في التهلكة لأجل شاة.. فقال له طالـوت: هل سمعت مـا يقول أخـوتك..؟.. قال: أيها الملك، إنما الغنم لو كانت لي لما خاطرت بنفسي من أجـل شاة، ولكنهـا كانت عنـدي وديعة لـوالدي، وأمـانة في عنقي، وإنهـا حق الـوالـد، فبذلت نفسي دونها... فقال له طالوت: لقد عظم أملي فيك إذ أخبرتني إنما أردت بذلك الوفاء لأمانتك، ولأنه حق الوالد، فأخـرج إليه، فـإن قتلته، وقتله الله سبحانه وتعـالى على يديـك وفيت لك مـا ضمنته لـك،... فجزع عليـه أخوته جزعاً شديداً، وقالوا؛ كيف يقوى مثلك على قتل جالوت وطـوله سبعـة أذرع، وعليـه من الحديـد ألف وثمانمـائة رطـل، ومـا يبلغ من استـطاعتـك، فكفـاك/ جهلاً.. فقـال لهم طالـوت: كفوا عن الفتى، فـإني والله لأرجـو أن ٨٠/ب يقتل الله جالوت به، وعلى يديه، وإن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمـراً يقول له كن فيكون...

ثم.. أمر لداود بقـوس، وأعطاه سلاحاً شاكاً، فلمـا استـلم داود عليه السلام السلاح وركب الفرس، أحس في نفسه بـالعجب، فخاف لمـا يداخله من ذلك أن لا ينصر. فقال لطالـوت: أيها الملك، مـالي إلى هذا المـركب، ولا إلى هذا السلاح، بـل أخرج إليـه ماشيـاً، ثم ترجـل ورمى السلاح عنـه، وجالوت ينظر إليه، ويتعجب من جرأة داود عليه السلام وقوة قلبه...

وأقبل داود عليه السلام نحو جالوت، ومعه مقلاعه ومخلاته وفيها ثـلاثة أحجار.. فقال له: ابرز إليَّ واعف عن الفريقين عن القتال.. فقال جالوت: وبمـا تقـاتلني أيهـا الصبي الأخـرق.. فقـال لـه داود عليـه السـلام: أقـاتلك بمقـلاعي هذا وأحجـار مخلاتي.. فقـال له جـالـوت: لقـد حقـرتني بغـايـة الاحتقار، لأجرمك وأرميك للسباع...

ثم. . برز إليه، ومدَّ يده إلى مخلاته ليتناول منها حجراً من تلك الأحجار، فإذا هي قد صارت حجراً واحداً، فأخذه بأمر الله سبحانه وتعالى، نجعله في مقلاعه، وأدار مقلاعه ثلاث مرات، ثم رمى جالوت، فصارت بإذن الله تعالى أحجاراً ثلاثة كما كانت، فوقع أحدهما في جبينه، والآخر في حلقه، والثالث في صدره، فسقط جالوت ميتاً. . .

فلما نظر أصحابه إلى جالوت قتيلاً، ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوبهم، فانقلبوا هاربين، وسجع[1] الله سبحانه وتعالى قلوب بني إسرائيل عليهم، فاتبعوهم يقتلوهم ويأسروهم، وقعد داود عليه السلام على صدر جالوت، فاحتز رأسه، وأخذ خاتمه، وسلب ملكه ولواءه[2]. . .

فلما وضعت الحرب أوزارها، أقبل داود عليه السلام إلى طالوت، فقال له: أيها الملك، أنجز لي ما وعدتني. . ففعل طالوت ذلك، وزوجه ابنته، وقاسمه شطر مملكته، وشطر جنوده، ونصف بيوت ماله. . وطفق بنو إسرائيل/ متعجبين من قوة داود عليه السلام على ما حباه الله سبحانه وتعالى ووهبة قوة في قتل جالوت، وما أعطي من النصر والقوة والظفر، وما أراح الله به وعلى يديه من خوفهم من جالوت. . .

٨١/أ

فلما رأى طالوت ما يخوض فيه بنو إسرائيل من أمر داود عليه السلام، وتعجبهم ممَّا أُعطي ذلك، حسده حسداً شديداً، وخافه على ملكه، وندم على ما كان من تزويجه ابنته، ومقاسمته إياه سلطانه وجنوده وماله. . فقال لابنته: يا بنية، قد ندمت على ما كان من تزويجي إياك من داود عليه

---

(١) سجع: القصد في الكلام أو السير ونحوهما، فلا يميل عن المقصد. . .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. . سورة البقرة ـ الآية ٢٥٠ و٢٥١. . وانظر: تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١، ص ٢٥١ و٢٥٢. . .

لسلام، وذلك أنه ليس منّا، ولا لنا بكفؤ، لأننا من سبط يوسف، وداود عليه السلام من سبط يهوذا، ويوسف خير من يهوذا، فلست آمن أن يعيرنا الناس به، فأريد أن أقتله أو أذبح نفسي منه، فتفقدي أمره، فإذا رأيت منه غفلة فأعلميني لأنطلق إليه بنفسي لأقتله، فإني إن أمرت أحداً يقتله، لم آمن أن ينكر بنو إسرائيل عليَّ ذلك، فأريد أن أتولى قتله بنفسي، فإن ذلك أخفى للأمر. . فقالت له ابنته: يا أبتاه، وهل يحل لك قتله، وهذا من يعذرك البلية، فإن البلية أسرع الأشياء إلى الغدر والنكث، ولست آمنة إن فعلت ذلك أن يسلب ملكك، ويزول سلطانك. . فقال لها طالوت: أراك تؤثرين به عليّ، ولست أجد بداً من قتله، أو أقتلك لأنجو من العار، إذا كان ليس لي كفؤ ولا نظير. . .

فلما سمعت ذلك من أبيها، خافت على نفسها، فأفضت ذلك الأمر إلى داود عليه السلام، فقال لها داود عليه السلام: أنا متناوم لك، فانطلقي إليه، وقولي له: يا أبت إني أوثر هواك وطاعتك على هوى وطاعة داود عليه السلام، وإن كان بعلي، وهذا هو مستثقلاً نوماً. . .

ثم إن داود عليه السلام تدرع بدرعة(١)، ولبس فوقها ثيابه، ثم تناوم، وذلك أنه لم يصدق المرأة فيما قالت له من ذلك الخبر، وقد أحب أن يتيقن حقيقة ذلك، ولم يكن يوقن أن طالوت يستحل سفك دمه بلا ذنب عمله منه إليه. . .

فانطلقت المرأة إلى أبيها، فقالت: يا أبت، ما أحب أن يعيبك الناس بشيء، ولا يطعن عليك بمكان، فإن رأيت قتل داود عليه السلام، فهلم الساعة إليه، فقد خلفته مستثقلاً نوماً. . فاستل طالوت سيفه، وأقبل حتى أتى منزل داود عليه السلام، فصادفه نائماً، فرفع سيفه وضرب به ضربة على صدره، فنبا السيف عن الدرع. . فقام داود عليه السلام، وأخذ بتلابيبه،

(١) درعة: قميص من زرد الحديد، يلبس وقاية من سلاح العدو. . .

وقال: استحللت ديني بلا ذنب مني إليك، فمن يمنعك مني الآن.. فسقط على يده طالوت، وخاف أن يشيع ذلك في بني إسرائيل، فيسبونه ويخلعونه عن ملكه، وكان أشعيا النبي هو الذي أقام طالوت في الملك وقد توفي، فخرج هارباً من ذنبه، خجلاً ممّا بدا منه، فمات في سياحته، واجتمع رأي بني إسرائيل بتمليك داود عليه السلام عليهم بعد طالوت الملك، ولم يقع لي خبر ملكه على هيبة... والله أعلم...

وممّا رواه أبو محمد حسين بن مسعود البغوي، عن الثقات في تفسيره، قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى المَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].. والملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم.. وأصل الملأ: الجماعة من الناس لا واحد، ومن لفظه كالقوم، والرهط، والخيل، والجيش، وجمعه.. ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾.. أي: من بعد موت موسى عليه السلام.. ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾.. اختلفوا في ذلك النبي...

قال قتادة: هو يوشع بن نون...

وقال الكسائي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت إلى الله سبحانه وتعالى أن يرزقها غلاماً، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءها، فولدت غلاماً، فسمته شمعون، أي: سمع الله دعائي.. والسين تصبح شيناً باللغة العبرانية، وهو: شمعون بن صفية، من ولد: لاوي بن يعقوب...

وقال سائر المفسرين: هو شمويل، وهو بالعبرانية: إسماعيل...
قال مقاتل: هو من نسل هارون...

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٦، وتمامها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى المَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُم ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾...

وقال مجاهد: كان سبب مسألتهم إياه، وذلك أنه لما مات، خلف في بني إسرائيل يوشع بن نون/ ليقيم فيهم التوراة وأمر الله سبحانه وتعالى، حتى قبضه الله تعالى، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، ونسوا عهد الله سبحانه وتعالى، حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إلياس نبياً، فدعاهم إلى الله تعالى، وكانت الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام يبعثون إليهم بتجديد ما نسوه من التوراة، ثم خلف من بعدهم إلياس بن اليسع، فكان فيهم ما شاء الله تعالى، ثم قبضه الله تعالى، وخلف فيهم الخلوف، وعظمت الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له: البلشاتا، وهم قوم جالوت، كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم العمالقة، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسبوا كثيراً من ذراريهم، وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً، فضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم، ولقي منهم بنو إسرائيل بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق إلا امرأة حُبلى، فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية، فتبدلها بغلام لما ترى في رغبة بني إسرائيل في ولدها، وجعلت المرأة تدعو أن يرزقها الله سبحانه وتعالى ولداً ذكراً، فولدت غلاماً، فسمته أشمويل، تقول: سمع الله تعالى دعائي.. فكبر الغلام، فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس، فكفله كبير من علمائهم، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام، وهو إلى جنب معلمه، وكان لا يأتمن عليه أحداً، فدعاه جبريل عليه السلام بلحن معلمه: أشمويل.. فقام الغلام فزعاً إلى معلمه، فقال: يا أبتاه دعوتني..؟.. فكره معلمه أن يقول له: لا، فيفزع الغلام، فقال: يا بني، ارجع فنام.. فرجع الغلام فنام.. / ثم دعاه ثانية، فقال الغلام: دعوتني..؟.. فقال: ارجع فنام، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني.. فرجع الغلام فنام، فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام، فقال له: اذهب إلى قومك، فبلغهم رسالة ربك، فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً.. فلما آتاهم، كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم

٨٢/أ

٨٢/ب

تَنْلَكَ. . ، ثم قالوا: إن كنت صادقاً: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. . أي: آية من نبوتك. . وإنما كان قوام بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملوك هم الذين يسيروا بالجموع، والنبي يقيم للملك أمره، ويشير عليه برشده، وكان يأتيه بالخبر من ربه[1]. . .

وقال وهب: بعث الله سبحانه وتعالى أشمويل نبياً، فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، ثم قالوا لشمويل: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. . جزم على جواب الأمر. . فلما قالوا له ذلك. . قال: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾. . استفهام شك، يقول: لعلكم. . وقرأ نافع: ﴿عَسِيْتُمْ﴾، بكسر السين، وقرأ الباقون: بالفتح، وهي اللغة الفصحى، بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾. . أي: فرض عليكم القتال. . ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾. . مع ذلك الملك، أن لا توفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. . فإن قيل: فما وجه دخول: «إن» بدل «إلا» في هذا الموضع. . والعرب تقول: مالك أن لا تفعل، وإنما يقال: مالك لا تفعل. . قيل: / «إن» وجد فيها لغتان صحيحتان، فالإثبات قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَالَكَ﴾. . «أن». . ﴿لا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[2]. . والحذف قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ﴾[3]. . .

٨٣/أ

وقال الكسائي: معناه، ﴿وَمَا لَنَا﴾. . «أن». . ﴿لا نُقَاتِلَ﴾. . فحذف. . .

وقال الفراء: وما يمنعنا أن: ﴿نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾. . أي: إخراج من غلب عليهم من ديارهم، فظاهر الكلام:

---

(١) وردت القصة في تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١، ص ٢٤٤. . .
(٢) سورة الحجر ـ الآية ٣٢، وتمامها: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. . .
(٣) سورة الحديد ـ الآية ٨. . .

العموم.. وباطنه: الخصوص.. لأن الذين قالوا: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.. كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما أُخرج من أُسر منهم، ومعنى الآية: إنما كنا نزهد في الجهاد، إنّا كنا ممنوعين في بلادنا، لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منّا، فنطيع ربنا في الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا...

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.. وهم الذين عبروا النهر مع طالوت، واقتصروا على الغرفة [1].. ما سيأتي إن شاء الله تعالى.. والله أعلم...

وقال: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ [2].. وذلك أن أشمويل قد سأل الله سبحانه وتعالى أن يبعث لهم ملكاً، فأتى بعصا وقرن، فيه دهن القدس، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول العصا، وانظروا إلى هذا القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليكم رجل فنبش الدهن في القرن، فهو ملك بني إسرائيل، فأدهن به رأسه/ وأملكه عليكم.. وكان طالوت، واسمه بالعربية شاول بن قيس، من أولاد بنيامين بن يعقوب، سمي طالوت لطوله، وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه، وكان رجلاً دباغاً للأديم...

٨٣/ب

وقال وهب والسدي: كان يسقي على حمارته من النيل، فضلَّ حماره، فخرج في طلبه...

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾... سورة البقرة ـ الآية ٢٤٩... وقيل: لعل الحكمة في ذلك أنه خشي أنه لو أباح لهم الهجوم على النهر بعد عطش شديد، وقع أكثرهم في النهر وأفرطوا في الشرب فتخور قواهم ويجبنوا عن لقاء عدوهم...

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٧...

وقال وهب: بل ضلّت حمر، لا بطالوت، فأرسل غلاماً له في طلبها، فمرّا ببيت أشمويل.. فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي، فسألنا عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا.. فدخلا عليه، فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر، إذ نشق من الدهن الذي في القرن.. فقام أشمويل فقاس طالوت بالعصا، فكان على طولها.. فقال لطالوت: قرّب رأسك.. فقرّبه.. فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل الّذي أمر الله سبحانه وتعالى به، أن يملكك عليهم، فقال: أو ما علمت أني أدنى سبطي أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل..؟.. فقال: بلى.. فقال: فبأي آية أتيت..؟.. قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر.. فكان كذلك.. ثم قال لبني إسرائيل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ**﴾.. وإنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة، وسبط ملوك.. فكان سبط النبوة: سبط لاوي بن يعقوب، ومنه كان موسى وهارون.. وكان سبط الملوك: سبط يهوذا بن يعقوب، ومنه كان داود وسليمان.. ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب.. هكذا قيل...

وقال: وكانوا قد عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً، فغضب الله تعالى عليهم، فنزع النبوة منهم، فكانوا يسمّون: سبط الإثم، / فلما قال لهم نبيهم ذلك.. أنكروا الأمر، لأنه لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك فهو فقير: ﴿**وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ**﴾.. اختاره عليكم.. ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً**﴾.. في العلم والحرب، والجسم بالطول.. وقيل: في الجسم بالجمال، وكان طالوت أجمل بني إسرائيل وأعلمهم.. ﴿**وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].. قيل: الواسع ذو السعة، وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل:

٨٤/أ

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٧...

العالم بما كان، والعليم بما يكون.. فقالوا له: فما آية ملكه..؟.. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾[1].. وكانت قصة التابوت، أن الله سبحانه وتعالى أنزل على آدم عليه السلام، تابوتاً فيه صور الأنبياء، وكان من عود الشمَار[2]، وهو نحو من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات، ثم بعد ذلك عند شيث، ثم توارثها أولاد آدم عليه السلام، إلى أن بلغ إبراهيم عليه السلام، ثم كان عند إسماعيل عليه السلام، لأنه كان أكبر أولاده، ثم عند يعقوب عليه السلام، ثم كان في بني إسرائيل، إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام، فكان موسى عليه السلام، يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، وكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تناولته بنو إسرائيل إلى وقت أشمويل، وكان فيه ما ذكر الله سبحانه وتعالى.. / فيه سكينة من ربكم، ٨٤/ب واختلفوا في السكينة ما هي..؟..

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان فيه رمح من عاج له رأسان ووجه كوجه الإنسان...

وعن مجاهد: شيء يشبه الهرة، له رأس كرأس الهرة، وذنب كذنب الهرة، وله جناحان...

وقيل: له عينان لهما شعاع، وجناحان من زمرد وزبرجد...

فكانوا إذا سمعوا صوته يستبشرون بالنصر، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم، فإذا سار ساروا، وإذا وقف وقفوا...

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٨...

(٢) الشمار: جنس من فصيلة الخيميات، تفوح منه رائحة زكية، أوراقه ناعمة، وسيقانه عارية مستديرة، وحبه له فوائد طيبة...

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: هي طشت من ذهب من الجنة، كان يُغسل فيه قلوب الأنبياء. . .

وقال وهب بن منبه: هي روح من الله تعالى، تتكلم إذا اختلفوا في شيء، تخبرهم ببيان من يريدون. .

وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها. . .

وقال قتادة والكلبي: السكينة، فعيلة من السكون، أي: اطمأنيتم من ربكم. . ففي أي مكان كان فيه التابوت، اطمأنوا إليه وسكنوا. . .

قال: قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هارُونَ﴾. . يعني: موسى وهارون أنفسهما. . وكان فيه لوحان من التوراة، ورصاص الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى عليه السلام ونعلاه، وعمامة هارون وعصاهُ، وقفير من المَنَّ[1] الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وكان التابوت عند بني إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلموا، فحكم بينهم، وإذ حضروا القتال قدموه بين أيديهم، فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وفسدوا، سلط الله سبحانه وتعالى عليهم العمالقة، فغلبوهم على التابوت، وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلي الذي ربا أشمويل ابنان شابان، وكان عيلي حبرهم وصاحب قربانهم، فأحدث ابناه في القربان شيئاً لم يكن فيه، وذلك أنه كان مشوط القربان/ الذي كان يشوطونه بين كلاّبين، فما أخرجا كان للكاهن الذي يشوطه، فجعل أبناؤه كلاليب، وكانت النساء يصلّين في بيت المقدس، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى أشمويل: انطلق إلى عيلي فقل له: ما منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك أن تحدّثا في قرباني وقدسي، وأن يعصياني، فلا يرعى منكم الكهانة، ومن ولديك وأهلك وأباها. . فأخبر أشمويل عيلي بذلك، ففزع فزعاً شديداً، فسار إليهم عدو ممَّن حولهم، فأمر

٨٥/أ

(١) المَنَّ: هو مادة مائية تنعقد على بعض الأشجار عسلاً وتجف جفاف الصمغ، وهو المذكور في القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ الآية ٥٧، سورة الأعراف ـ الآية ١٦٠، سورة طه ـ الآية ٨٠. . .

ابنيه أن يخرجا بالناس، فيقاتلا ذلك العدو، فخرجا وأخرجا معهما التابوت، فلما تهيَّأوا للقتال، جعل عيلي يتوقع الخبر، فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه، فأخبره أن الناس قد انهزموا، وأن ابنيك قد قُتلا.. قال: فما فعل التابوت..؟.. قال: ذهب به العدو.. فشهق ووقع على قفاه من على كرسيه، ومات.. فتفرق أمر بني إسرائيل إلى أن بعث الله تعالى طالوت ملكاً، فسأله ليبينيه.. فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت، وكانت قصة التابوت أن الذين سلبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها: أذدود، وجعلوه في بيت صنم لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من الغداة، فرأوا الصنم تحته، فأخذوه ووضعوه فوقه، وسمروا قدمي الصنم على التابوت، فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم وقدماه، وأصبح ملقى تحت التابوت، وأصبحت أصنامهم منكسة، فأخرجوه من بيت الصنم، ووضعوه في ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية/ وجع في أعناقهم ٨٥/ب حتى هلك أكثرهم، فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن آل بني إسرائيل لا يقوم له شيء، فأخرجوه إلى الصحراء، فدفنوه في صخرات لهم.. فكان كل من برز هناك يأخذه السباسور والقولنج، فتحيروا...

فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون تردون ما تكرهون، ما دام هذا التابوت فيكم، فأخرجوه عنكم.. فأتوا بعجلة بمشورة تلك المرأة، وحملوا عليها التابوت، ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما، فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، فأقبلا حتى وقفا على بني إسرائيل، فكسرا نيرهما، وقطعا حبالهما، ووضعا التابوت في أرض لبني إسرائيل، ورجعا إلى أرضهما، فلما رأى بني إسرائيل التابوت، كبروا وحمدوا الله تعالى، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**تَحْمِلُهُ المَلَائِكَةُ**﴾.. أي: تسوقه...

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت...

وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء، فلما ولي طالوت، حملته الملائكة ووضعته بينهم. . .

وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه، خلفه موسى عليه السلام عند يوشع بن نون، فبقي هناك، فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت، فأقروا بملكه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾[1]. . .

٨٦/أ قال/ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت، وعصا موسى، في بحيرة طبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة. . .

فلما فصل طالوت، أي: خرج بهم، وأصل الفصل: القطع. . يعني: قطع سفره شاخصاً إلى غيره. . فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل. وقيل: ثمانون ألفاً. . لم يخلف منهم إلا كبير لهرمه، أو مريضاً لمرضه، أو معذوراً لعذره، وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر، فتسارعوا إلى الجهاد. . فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي بناءً لم يفرغ منها، ولا صاحب تجارة مشتغل بها، ولا رجل عليه دين، ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها، ولا يروح معي إلا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع ثمانون ألفاً في شرطه، وكان في حر شديد، فشكوا قلّة الماء بينهم وبين عدوهم، وقالوا: إن المياه لا تحملنا، فادع الله أن يجري لنا نهراً. . فقال طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي: هو نهر فلسطين. . .
وقال قتادة: هو نهر بين الأردن وفلسطين[2]. . .

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٨. . .
(٢) انظر: تفسير النهر الماء من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١، ص ٢٤٥. . .

قـال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْـهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾.. أي: ليس من ديني وطـاعتي، ﴿وَمَن لَمْ يَـطْعَمْهُ﴾.. لم يشـرب منه، ﴿فَـإِنَّـهُ مِنِّي﴾.. أي: من أهـل ديني وطـاعتي، ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُـرْفَةً بِيَـدِهِ﴾.. قرأ أهـل الحجاز، وأبـو عمرو: غرفة بفتح العين.. وقرأ آخرون: بالضم، وهما لغتـان...

قال الكسائي: الغـرفة بضم الغين، الـذي يحصل في الكف من المـاء إذا غرف، والغرفة: الاغتراف، فالضم اسم، والفتح مصدر، ﴿فَشَرِبُـوا/ مِنْهُ إِلَّا قَلِيـلاً مِنْهُمْ﴾.. نصب على الاستثنـاء، واختلفـوا في القليـل الـذين لم يشربوا...

٨٦/ب

فقال السدي: كانوا أربعة آلاف...

وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر، وهوالصحيح...

قال: وكانوا عدد أصحـاب محمد ﷺ، وقـد تحدثـوا أن أصحاب بـدر على عدة أصحاب طـالوت الـذين جاوزوا النهـر، ولم يجاوز معـه إلا مؤمن، ثـلاثمائـة وثلاثـة عشر، فلمـا وصلوا إلى النهـر، وقـد أُلقي عليهم العـطش، فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل، فمن اغترف غرفة كما أمره الله تعالى، قوي قلبه، وصـح إيمانـه، وعبر النهـر سالمـاً، وكفته تلك الغـرفة الـواحدة: لشـربه وحمله ودوابـه.. والـذين شـربـوا وخـالفـوا أمـر الله تعـالى، اسـودت شفـاههم، وغلبهم العطش، فلم يـرووا، وبقوا على شط النهـر، وجبنـوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا، ولـم يشهدوا الفتح.. وقيل: كلهم جـاوزوا، ولكن لم يحضروا القتال إلا القليـل الذين لم يشـربوا، فلمـا جاوزوا النهـر، يعني: طـالوت والـذين آمنوا معـه.. يعني: القليل.. قـالوا: يعني، الـذين شربـوا وخالفوا أمر الله تعالى، وكانوا أهل شك ونفاق: ﴿لا طَاقَـةَ لَنَا اليَـوْمَ بِجَالُـوتَ وَجُنُودِهِ﴾...

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والسدي: فانحرفـوا ولم يجاوزوا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا اللهِ﴾.. وهم الذين ثبتوا مع طـالوت: ﴿كَم مِن فِئَةٍ

﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ﴾. . جماعة، وهي: جمع واحد له من لفظه، وجمعه: فئات وفئوت، في الرفع، وفئتين في النصب والخفض. . ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾. . بقضائه وإرادته، ﴿واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. . بالصبر والمعونة. . ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾. يعني: طالوت وجنوده المؤمنين. . ﴿لِجَالُوت وَجُنُودِهِ﴾. . / جنوده المشركين، ومعنى برزوا، صاروا بالبراز في الأرض، وهو ما ظهر واستوى، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصرنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾[2]. . .

٨٧/أ

قال: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاودُ جَالُوتَ﴾[3]. . .

قال: وصفة قتله، قال أهل التفسير: عبر النهر مع طالوت، فمنهم عبر بالجيش أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له. . وكان داود عليه السلام أصغرهم، وكان يرمي بالقِذَافةِ[4]. . فقال لأبيه يوماً: ما أرى بقذافتي شيئاً إلا صرعته. . فقال: أبشر يا بني، فإن الله تعالى جعل رزقك في قذافتك. . ثم أتاه مرة أخرى، وقال: يا أبتاه، لقد دخلت بين الجبال، فوجدت أسداً راكضاً فركبته، فأخذت بأذنيه فلم يهجني. . فقال: أبشر يا بني، فإن الله تعالى يريد خيراً لك. . ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه، إني لأمشي بين الجبال فأسبح، فما يبقى جبل إلا ويسبح معي. . فقال: أبشر يا بني، فإن الله تعالى قد أعطاك خيراً. . .

قال: فأرسل جالوت إلى طالوت أن أبرز إليّ، وأبرز إليَّ من يقابلني، فإن قتلني فلكم ملكي. . وإن قتلته فلي ملككم. . فشق ذلك على طالوت، فنادى في عسكره: من قتل طالوت زوجته ابنتي، وناصفته ملكي، فهاب الناس ولم يجبه أحد. . فسأل طالوت نبيهم أن يدعوا الله، فدعا الله في

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٩. . .

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٠. . .

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٢٥١. . .

(٤) القذافة: كل ما يرمى به، يرمي الشيء إلى البعيد.

ذلك، فأُتي بقرن فيه دهن القدس، وتنور من حديد.. فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت، هو الذي يوضع القرن على رأسه، فيغلي/ الدهن على رأسه، لأهبنه الإكليل، فيدخل في هذا التنور فيملأه ولا يتملك فيه.. فدعا طالوت بني إسرائيل، فجربهم، فلم يوافق أحداً منهم، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: أن في ولد إيشا من يقتل جالوت، فدعا إيشا.. فقال: اعرضْ عليَّ بنيك.. فأخرج إليه اثني عشر رجلًا، أمثال السواري، فجعل يعرضهم على القرن، فلا يرى شيئاً.. فقال لإيشا: هل بقي لك ولد غيرهم..؟.. فقال: لا.. فقال النبي: يا رب، إنه يزعم أنه لا ولد له غيرهم.. فقال: كذب.. فقال النبي: إن ربي كذبك.. فقال: صدق الله تعالى يا نبي الله، إن لي ابناً صغيراً يقال له داود، وقد استحييت أن تراه الناس لقصر قامته، فحملته على الغنم يرعاها، وهو في شُعب كذا.. وكان داود عليه السلام مصفراً أزرق العينين، فخرج طالوت إليه، فوجده في الوادي، وكان يحمل شاتين شاتين يعبر بهما النهر ولا يخوض بهما الماء.. فقال: هذا لا شك هو، هذا يرحم البهائم، فهو بالناس أرحم.. فدعاه، ووضع القرن على رأسه، ففاض.. فقال له طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي، وأجري خاتمك في ملكي.. قال: نعم.. قال: وهل في نفسك شيءٌ تتقوى به على قتله..؟.. قال: نعم، أنا راعي، فيجيء الأسد، أو النمر، أو الذئب، فيأخذ شاة، فأقوم إليه، فافتح لحييه عنها...

قال: فمرَّ داود عليه السلام بحجر، فناداه: يا داود، احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا وكذا، فحمله في مخلاته، ثم مرَّ بحجر آخر، فقال: احملني فأنا حجرك الذي/ تقتل به جالوت، فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال، وبرز جالوت وسأل المبارزة، فانتدب إليه داود عليه السلام، فأعطاه طالوت فرساً ورمحاً وذراعاً وسلاحاً، فلبس السلاح، وركب الفرس، ثم انصرف إلى الملك، فقال من حوله: خاف الغلام، فجاء فوقف على الملك.. فقال: ما شأنك.. فقال: إذا الله لم ينصرن، فلم يغن عني هذا

السلاح شيئاً، فدعني أقاتل كما أريد.. فقال: نعم.. فأخذ داود عليه السلام مخلاته، فتقلدها، وأخذ المقلاع، ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم، كان يهزم الجيش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد.. فلما نظر في داود عليه السلام، أُلقي في قلبه الرعب.. فقال له: أنت تبرز إليَّ..؟.. قال: نعم.. وكان جالوت على فرس أبلق، عليه السلاح التام.. قال: فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب..!؟.. قال: نعم، أنت أشر من الكلب.. قال: لأجرمنك ولأقسمن لحمك بين السباع وطير السماء.. قال داود عليه السلام: ويقسم الله تعالى لحمك...

قال: ثم قال داود عليه السلام: بسم الله، إله إبراهيم، وأخرج حجراً وقال: بسم الله، رب إسحاق، ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الثالث وقال: بسم الله إله يعقوب، ووضعه في مقلاعه، فصارت كلها حجراً واحداً، ودور المقلاع، فسخر الله سبحانه وتعالى الريح حتى أصاب الحجر أنفه البيضاء، فخلط دماغه، وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله تعالى الجيش، وخرَّ جالوت قتيلاً، فخرج وجرّه حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح المؤمنون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، والناس يذكرون داود عليه السلام، فجاء/ داود عليه السلام إلى طالوت، وقال: انجز لي ما وعدتني.. فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق.. فقال داود عليه السلام: ما شرطت عليَّ صداقاً، وليس لي شيء.. فقال: لا أكلفك إلا ما تطيق، أنت جريء، وفي جبالنا أعداؤنا، فإذا قتلت منهم مئتي رجل، وجئتني بهم زوجتك ابنتي.. فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم، نظم غلفته في خيط، حتى نظم غلفهم، فجاء بها إلى طالوت، فألقى إليه. وقال: ادفع لي امرأتي.. فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود عليه السلام، فأحبوه وأكثروا ذكره، فحسده طالوت وأراد قتله.. فأخبر بذلك ابنة طالوت، رجل يقال له ذو العينين.. فقالت لداود عليه السلام: إنك لمقتول الليلة.. قال: ومن يقتلني..؟.. قالت: أبي.. قال:

٨٨/ب

وهل جرمت جرماً . . ؟ . . قالت: حدثني من لا يكذب، وما عليك إلا أن تغيب الليلة حتى ننظر مصداق ذلك . . فقال: لأن كان الله سبحانه وتعالى قد أراد ذلك، فلا أستطيع خروجاً، ولكن . . آتني بزق . . فأتت به، فوضعه في مضجعه على السرير، وسجاه، ودخل تحت السرير . . فدخل طالوت في منتصف الليل، فقال لها: أين بعلك . . ؟ . . قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر، فلما وجد ريح الشراب، قال: يرحم الله تعالى داود عليه السلام ما أكثر شربه الخمر، وخرج ـ فلما أصبح علم أنه لم يتمكن أن يفعل شيئاً . . .

ثم إن داود عليه السلام أتاه ليلة وقد هدأت العيون، فأعمى الله سبحانه وتعالى الحجبة عنه، وفتح له الأبواب، / فدخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه، وسهماً عند قدميه، وسهماً عند شماله، وسهماً عند يمينه، ثم خرج . . فلما استيقظ طالوت، نظر إلى السهام فعرفها، فقال: يرحم الله تعالى داود عليه السلام، وهو خبر: ظفرت به فقصدت قتله، وظفر بي فكف عني، ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي، وما أنا بالذي آمنه . . .

٨٩/أ

فلما كانت الليلة القابلة، أتاه تائباً، وقد أعمى الله سبحانه وتعالى عنه الحجاب، فدخل عليه بالحجاب وهو نائم، فأخذ إبريق طالوت الذي يتوضأ به، وكوزه الذي يشرب منه، وقطع شعيرات من لحيته، وشيئاً من هدب ثيابه، ثم خرج وتوارى . . فلما أصبح طالوت ورأى ذلك، سلط على داود عليه السلام العيون، وطلبه أشد الطلب، فلم يقدر عليه . . .

ثم إن طالوت ركب يوماً، فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية، فقال: اليوم اقتله، فركض على أثره، فاشتد داود عليه السلام، وكان إذا فزع لم يُدرك، فدخل غاراً، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى العنكبوت، فنسجت عليه بيتاً، فلما أتى طالوت إلى الغار، ونظر إلى بناء العنكبوت، فتركه ومضى، فانطلق داود عليه السلام إلى الجبل مع المتعبدين، فتعبد فيه، وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود عليه السلام، فجعل طالوت

لا ينهيه أحد عن قتل داود عليه السلام إلا قتله، وأُغري بقتل العلماء، ولم يقدر على عالم من بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله، حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الأعظم، فأمر خبازه بقتلها، فرحمها الخباز، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم، فتركها. . .

قال: فوقع في قلب طالوت التوبة، وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج/ إلى القبور، وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها. . فلما كثر عليه، ناداه منادٍ من القبور: أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتاً. . فازدادوا في مناداته، وازداد بكاء وحزناً. . فرحمه الخباز، فقال: مالك أيها الملك. .؟. . فقال: هل تعلم عالماً في الأرض أسأله هل لي من توبة. .؟. . فقال له الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية، فصاح الديك، فتطير منه[1]، فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه. . فلما أراد أن ينام، قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظوني. . فقالوا له: وهل تركت ديكاً نسمع صوته. . وهل تركت عالماً في الأرض. . فازداد حزناً وبكاءً. . فلما رأى الخباز ذلك منه، قال له: إن دللتك على عالم لعلك تقتله. . قال: لا. . فوثق منه الخباز، وأخبره أن المرأة العالمة عنده. . قال: فانطلق بي إليها فأسألها، وهي تقول لك هل لي من توبة. . فكانت تعلم الاسم الأعظم، ومن أهل بيت إذ فنيت رجالهم وغلبت نساؤهم، . . فلما بلغ طالوت الباب. . قال الخباز: أيها الملك، إنها إذا رأتك فزعت. . فخلفه خلفه، ثم دخل عليها، فقال لها: ألست أعظم الناس منة عليك، أنجيتك من القتل. . قالت: بلى. . قال: فإن لي إليك حاجة، هذا طالوت يسأل: هل له من توبة. .؟. . فغشي عليها من الخوف. . فقال لها: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسأل هل له من توبة. .؟. . قالت: لا والله لا أعلم لطالوت من توبة، ولكن. . هل تعلمون قبر نبي. . فانطلق به إلى قبر أشمويل، فصلت ودعت، ثم نادت: يا صاحب القبر. . فخرج أشمويل من

٨٩/ب

(١) تَطَيَّرَ: تشاءم. . .

٩٠/أ القبر، ونفض التراب من على رأسه، / فلما نظر إليهم، نكثهم.. قال: قامت القيامة.. قالت: لا، ولكن طالوت يسأل هل له من نوبة..؟.. قال: يا طالوت، ما فعلت بعدي..؟.. قال: لم أدع شيئاً من الشر إلا فعلته، وجئت أطلب التوبة.. قال: كم لك من الولد..؟.. قال: عشرة رجال.. قال: ما أعلم لك من التوبة إلا أن تتخلى عن ملكك، وتخرج أنت وأولادك في سبيل الله تعالى، ثم تقدم أولادك حتى يقتلوا بين يديك، ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم.. ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً.. ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة، وقد بكى حتى اهترأت أشفار عينيه، ونحل جسمه، فدخل عليه أولاده، فقال لهم: أرأيتم لو دفعتم إلى وجهكم، ودُفعت أنا إلى النار، أكنتم تنقذونني..؟.. قالوا: نعم ننقذك بما قدرنا عليه.. قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم.. قالوا: فأعرض علينا.. فذكر لهم القصة.. فقالوا: وإنك لمقتول..؟.. قال: نعم.. فقالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك، وقد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز عياله وأولاده، وكانوا عشرة، فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا، ثم شدَّ هو بعدهم حتى قُتل، فجاء قاتلوه إلى داود عليه السلام يبشروه.. فقال: قتلت عدوك.. فقال: ما أنت بالذي تحيا بعده.. فضرب عنقه.. فكان ملك طالوت إلى أن قُتل، أربعين سنة، وإلى بني إسرائيل بداود عليه السلام، أعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم...

قال الكلبي والضحاك: ملك داود عليه السلام بعد قتل طالوت سبعين سنة، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود عليه السلام، فذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1].. يعني: النبوة، وجمع الله تعالى لداود عليه السلام بين الملك والنبوة، ولم يكن من قبل، كان الملك في سبط، والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو العلم مع العمل...

* * *

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٥١...

قصة حمالة الحطب

٦٣ ـ حَمّـالَةُ الحَطَـبِ الَّتِـي أَوْدَت أَبِـي لَـهَـبٍ بِـلاهِـب

٩٠/ب أمـا قصة أبي لهب/ فـإن الله سبحـانـه وتعـالى لمـا أنـزل على رسـول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الأَقْرَبِينَ﴾[1]...

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفـا، ثم قـال: يـا صبـاحـاه.. فـاجتمعت إليـه قـريش، وقـالـوا لـه: مـا لــك..؟.. قـال: لـو أخبـرتكم أن العــدو مصبحكم أو ممسيكم مـا كنتم تصـدقوني..؟.. قـالـوا: بلى.. قـال: فـإني نـذيـر لكم بين يـدي عـذاب شديد.. فقال أبو لهب: تباً لك، ألهـذا دعوتنـا جميعاً.. فـأنزل الله سبحـانه وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2]...

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لما أنـزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْـرَبِينَ﴾.. أتى رسول الله ﷺ الصفـا، فصعد عليه، ثم نادى: يا صباحاه.. فاجتمع إليه الناس من بين رجل يجيء،

---

(١) سورة الشعراء ـ الآية ٢١٤...

(٢) سورة المسد ـ الآية ١، وتمام السورة الكريمة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾.. وانظر: أسباب النزول ـ للواحدي ص ٣٧٨ و٣٧٩...

ورجل يبعث رسوله.. فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، لو رأيتم أني أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني.. قالوا: نعم.. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، أدعوتنا لهذا.. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾...

وبالإسناد عن رسول الله ﷺ، أنه صعد على الصفا، وقال: هلمّ يا عبد مناف، هلمّ يا قريش.. ثم قال: يا صفية بنت عبد المطلب، / يا فاطمة بنت محمد، ويا عمي، إني لا أغني عنكم من الله شيئاً.. ثم قال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد الإغارة عليكم.. وقال آخرون: العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني.. قالوا: نعم.. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ما دعوتنا إلا لهذا.. فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾... ٩١/أ

قال: وكانت تطرح الشوك في طريق رسول الله ﷺ، وتمشي بالنميمة بين الناس، وتوقع بينهم العداوة، وكانت تحتطب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾... جاءت امرأته وهي تفتش عن النبي ﷺ، وفي يدها حجر عظيم، تقول: لئن لقيت محمداً لأشجن وجهه بهذا الحجر، بين الصفا والمروة، وإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.. فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك..؟.. قال: ما شأنك..؟.. قالت: بلغني أنه هجاني، والله، لئن لقيته لأشجن وجهه بهذا الحجر.. فقال: والله ما هجاك، ولا والله ما يحسن بعمل الشعر، وليس هو والله بشاعر.. فألقت الحجر وراحت.. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، هل رأيتها..؟.. نعم، ألا إن الله أنزل ملكاً فحال بيني وبينها...

قال: وإن أبا لهب بعد غزوة بدر بسبعة أيام، طلع فيه عدسة فقتله، لا رحمة الله عليه...

قصة أبو طالب

٦٤ ـ مِـنْ خَـوفِـهِ مِنـهُـنَّ مَـاتَ بِكُفـرِهِ والشـركُ طَـالِـب

قـوله سبحـانه وتعـالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1]. . قال: لمـا حضـرت أبا طـالب الوفـاة، جـاءه رسـول الله ﷺ، فـوجـد عنـده أبـا جهـل، وعبد الله بن أبي أمية. . فقال رسول الله ﷺ: يـا عمي، قل: لا إلـه إلاّ الله، كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى. . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميـة: أترغب عن ملة عبـد المطلب. .؟. . فلم يـزل رسول الله ﷺ يعـرضها عليه، ويعاودانه بتلك المقالـة، / حتى قال أبـو طالب آخـر ما كلمهم بـه: أنا على ملّة عبـد المـطلب. . وأبى أن يقـول: لا إلـه إلاّ الله. . فقـال رسـول الله ﷺ: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك. . فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿مَـا كَـانَ لِلنَّبِيّ وَالَّـذِين آمَنُـوا أَن يَسْتَغْفِـرُوا لِلمُشْـرِكِينَ وَلَـوْ كَـانُـوا أُولِي قُـرْبَى﴾[2]. . وأنزل الله سبحـانه وتعـالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. . .

٩١/ب

قال: حدثنـا أبو حـازم، عن أبي هريـرة رضي الله عنه، أنـه قال: قـال رسول الله ﷺ لعمه: قل: لا إلَه إلا الله، أشهد لك بها يوم القيـامة. . قـال:

(١) سورة القصص ـ الآية ٥٦. . .
(٢) سورة التوبة ـ الآية ١١٣. . .

لولا أن تعيرني نساء قريش، يقلن أنه حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينيك.. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء**﴾.. الآية[1]...

وأجمع المفسرون أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، وكان رسول الله ﷺ يُطلب منه من طعام الجنة، لعله أن يبرأ أبو طالب من مرضه، فجاءه رسول الله ﷺ، فقال: عمك يناشدك من طعام الجنة التي تذكرها له لعله يهدى.. وكان عند رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين.. فقال: ارجع إليه.. فرجع إليه، فقال رسول الله ﷺ: إن الله حرمها على الكافرين.. فلما ثقل في مرضه الذي مات فيه، طمع رسول الله ﷺ في إسلامه، فقام ليعوده ويدعوه إلى الإسلام، فلما دخل عليه، قال: يا عم، قل معي كلمة أحاج بها لك عند الله.. قال: أخاف من نساء قريش يعيرونني، ويقلن إنه حمله على ذلك الجزع، / لأقر بها عينك.. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾... ٩٢/أ

قال: ذكر خوفه من النساء، ولم يذكر خوفه من الرجال.. ثم عاوده مرة ثانية عليه الصلاة والسلام.. فقال أبو جهل، وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطلب.. فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم: أنا على ملّة عبد المطلب، وفارق الدنيا.. فقام من عنده ﷺ، وقال: والله لأستغفرن لك إلا أن ينهاني الله عن ذلك.. فلما رآه المسلمون يستغفر لعمه، وإبراهيم لأبيه، فقالوا: نحن نستغفر لآبائنا الذين ماتوا على الكفر.. فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا**

---

(١) انظر: البخاري في التفسير/ القصص، باب: إنك لا تهدي من أحببت برقم /٤٤٩٤/، ومسلم في الإسلام، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، برقم /٢٤ و٢٥/...

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1] . . فأمسك رسول الله ﷺ عن ذلك، وانتهى المسلمون عن استغفارهم لآبائهم[2] . . .

* * *

---

(١) سورة القصص ـ الآية ١١٣ و١١٤ . . .

(٢) انظر: أسباب النزول ـ للواحدي . . سورة القصص ص ٢٨١ و٢٨٢، وسورة التوبة ـ ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ . . .

قصة إنا زوجناكها

٦٥ ـ وَكَـذَا النَّبِـيُّ المُصطفـىٰ خَيْـرُ الأَعَـاجِـمِ والأَعَـارِب
٦٦ ـ فِيـهُـنَّ عَـاتَبَـهُ الَّـذِي خَلَـقَ المَشَـارِق والمَـغَـارِب

قـولـه سبحـانـه وتعـالى: ﴿وَمَـا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً﴾[1]. . . الآية. . نـزلت في عبد الله بن جحش، وأختـه زينب، وكان ابن عم النبي ﷺ، وخطب النبي ﷺ زينب لزيد بن حارثة، مولاه، وهي تظن أنه يخطبها النبي ﷺ لنفسه، ولما علمت أنه ﷺ/ يخطبها لزيـد، كرهت ذلك، وكذلك أخوها، فلما نزلت الآية، رضيا وسلما، فزوجها رسـول الله ﷺ من زيد، فمكثـت عنده حينـاً، ثم إن النبي ﷺ أتى زيداً، فـأبصرهـا قائمـة، وكـانت بيضاء جميلة سمينـة، من أتم نساء قـريش، فوقعت في قلبـه، فقال: «سبحان الله مقلب القلوب». وفطن زيد، فقال: يـا رسول الله، ائـذن لي في طلاقها، فإن فيها كبراً وتؤذيني بلسانها. . فقال: «أمسك عليك زوجتك واتَّـقِ الله» . . .

٩٢/ب

قـال: وكان قـد أتاه النبي ﷺ، فـأبصرهـا قائمـة، فقال: «سبحـان الله مقلب القلوب». وانصرف. . فلما جـاء زيد، ذكـرت له، فـظن زيد وكُـرهت

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٦، وتمامها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤْمِنةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾. . .

إليه في الوقت، فأراد فراقها، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي.. فقال ﷺ: «ما لي أرى بك منها شيء». قال: والله يا رسول الله، ما رأيت منها إلا خيراً، ولكن.. تتعظم عليَّ بشرفها وتؤذيني بلسانها...

قال: وتخفي في نفسك ما الله مبديه إن لو فارقها تزوجها، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[1].. إن أعتقته من الرق، وكان زيد من سبي الجاهلية، وأعتقه وتبناه.. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.. في أمرها، فلا تطلقها.. ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾.. تسر وتضمر في قلبك من إرادة تزويجها.. ﴿وَاللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.. والله مظهره لأصحابك...

قال: والمعنى: أن رسول الله ﷺ أحبها، وأراد تزويجها، وأمر زيد بإمساكها، وفي قلبه خلاف ذلك، فأظهر الله تعالى عليه ما أخفاه، بأن طلقها وزوجها منه، فأنزل الله عز وجل ذلك في القرآن...

٩٣/أ / ولهذا قال ابن مسعود عن عائشة رضي الله عنها: ما نزل على النبي ﷺ أشد من هذه الآية...

وبالإسناد عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي، لكتم هذه الآية...

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾.. تخاف لائمتهم أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها، وذلك أنه كان يريد أن يطلقها من حيث ميل القلب، ولكن خاف مقالة الناس...

وقال ابن عباس رضي الله عنه: خشي أن يقولوا عن اليهود: أنه تزوج امرأة ابنه. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾.. أي: هو أولى بأن يخشى في كل الأحوال وجميع الأمور...

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٧...

وروي عن علي بن الحسين أنه قال: كان الله عز وجل قد أعلم نبيه ﷺ أن زينب رضي الله عنها ستكون زوجته، وأن زيداً سيطلقها.. وعلى هذا يجوز أن يكون النبي ﷺ معاتباً على قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.. مع علمه بأنها ستكون زوجته، وكتمانه ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به، وإنما كتم النبي ﷺ ذلك لأنه استحيا أن يقول لزيد: زوجتك ستكون امرأتي.. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾.. معنى: قضى الوطر في اللغة: بلوغ ما انتهى ما في النفس من الشيء.. يقال: قضى وطراً إذا بلغ ما أراد من حاجته، ومنه قول عمرو بن أبي ربيعة:

أيها الرابح المجدّ ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

أي: فرغ من أعمال الحج، وبلغ ما أراد منه، ثم صار عبارة عن الطلاق...

وروى ثابت عن أنس رضي الله عنه، قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها، قال النبي ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها لي.. فانطلقت، فقلت: يا زينب، أبشري، أرسلني نبي الله ﷺ يذكرك... ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن، لقوله تعالى: / ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾.. وهذا يدل على أن كل امرأة أراد رسول الله ﷺ نكاحها، فهو مستغن عن الولي والشهود، وكانت زينب رضي الله عنها تفاخر نساء النبي ﷺ، فتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله عز وجل.. وأولم عليها ﷺ بخبز ولحم.. وكانت تقول: زوجني الله من السماء، قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].. قال المفسرون: إن رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه، فلما كان يوم حفصة رضي الله عنها، قالت: يا رسول الله، إن لي حاجة عند أبي، فأْذن لي أن أزوره وآتي بها.. فأَذِن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته

٩٣/ب

(١) سورة التحريم ـ الآية ١...

مارية القبطية، فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فأتت حفصة رضي الله عنها، فوجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، فخرج النبي ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة رضي الله عنها تبكي.. فقال: ما يبكيك..؟.. قالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً، ما كنت تصنع بامرأة منهن.. فقال النبي ﷺ: هي جاريتي قد أحلها الله لي.. اسكتي، فهي حرام علي، التمس فيها رضاك، فلا تخبري بذلك امرأة منهن، هو عندك أمانة، فلما رجع رسول الله ﷺ، فرقت حفصة رضي الله عنها إلى الجدار الذي بينها وبين عائشة رضي الله عنها، فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرّم عليه أمته مارية القبطية، وقد أراحنا الله تعالى منها، وأخبرت عائشة رضي الله عنها بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة رضي الله عنها، فلم تزل بنبي الله ﷺ حتى حلف النبي ﷺ أنه لا يقربها، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[1]...

٩٤/أ وقال عكرمة: نزلت في المرأة التي وهبت/ نفسها إلى النبي ﷺ، ويقال لها: أم شريك، فأبى النبي ﷺ، أن يقبلها لأجل أزواجه.. ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.. وأسر إليها أن لا تُعلمي عائشة، فإن أباك وأبا عائشة، يكون خليفتين على أمتي بعدي.. فلما غضب عليها، قال: لأجازينك عليه.. قالوا: جازاها رسول الله ﷺ بأن طلقها، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقها رسول الله ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها...

---

(١) انظر: أسباب النزول ـ للواحدي ص٣٥٧ و٣٥٨...

وقال مقاتل: لم يطلق النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها، وإنما قد همَّ بطلاقها، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: لا تطلقها، فإنها صوامة، قوامة، وإنها في نسائك في الجنة، فلم يطلقها[1]...

* * *

(١) رواه أبو داود برقم /٢٢٨٣/، وابن ماجة برقم /٢٠١٦/، والنسائي برقم /٦ ـ ٢١١/، وقال: إسناده صحيح، وانظر: طبقات ابن سعد ٨٤/٨، ومجمع الزوائد ٢٤٤/٩، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وانظر: تاريخ ابن عساكر ـ السيرة النبوية ص ١٦٩، عن أنس بن مالك رضي الله عنه...

ذكر أزواجه ﷺ

روي عنه ﷺ أنه تزوج بستة عشر امرأة، ستاً منهن من قريش:

- خديجة بنت خوليد...
- عائشة بنت أبي بكر الصديق...
- حفصة بنت عمر بن الخطاب...
- أم سلمة بنت أبي أمية...
- أم حبيبة بنت أبي سفيان...
- سودة بنت زمعة...

وثلاث من بني عامر بن صعصعة، وامرأة من بني هلال، وميمونة بنت الحارث، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وزينب أم المساكين، وامرأة من بني كلاب، والقرطا وهي التي اختارت الدنيا، وامرأة من بني الجون من كندة، وهي التي استعاذت منه، وزينب بنت حجر الأسدية، وصفية بنت حيي بن أخطب، وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية...

وقال: أُخبرت عن [قتادة بن دعامة][1] أن رسول الله ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع/بين إحدى عشرة، وتوفي عن ٩٤/ب

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

تسع.. قال: وتزوج في الجاهلية وهو ابن بضع وعشرين سنة، من خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي.. وهي أول من تزوج، فولد لرسول الله ﷺ سبعة: القاسم، والطيب، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.. وأما إبراهيم فإنه من مارية القبطية.. فأما الذكور فماتوا صغاراً، وأما النساء فبلغن، ونكحن، وولدن، وأن خديجة توفيت قبل مخرج رسول الله ﷺ من مكة بثلاث سنين، وتزوج بعائشة وهي بنت ست سنين، ثم إن رسول الله ﷺ سافر بعائشة بعدما قدم المدينة وهي يومئذ بنت تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها، وكانت في أرغد عيش عند رسول الله ﷺ من نسائه..

قوله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ قُل لأَزْوَاجِكَ إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَة فإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ للمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾**[1]...

قال المفسرون: كان النبي ﷺ قد سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وفي زيادة النفقة، فهجرهن رسول الله ﷺ، على أن لا يقربهن شهراً، ولم يخرج إلى أصحابه ﷺ.. فقالوا: ما شأنه..؟.. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه.. فأتى النبي ﷺ، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أُذن له.. قال: فجعلت أقول في نفسي، أي شيء أكلم به رسول الله ﷺ لعله ينبسط، فقلت له: يا رسول الله، لو رأيت فلانة ـ يعني زوجته ـ وسألتني النفقة، فصكتها/ صكة. قال: فأتى حفصة ابنته، فقال: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئاً، فما كان لك من حاجة فإليّ.. ثم تتبع نساء النبي ﷺ، فجعل يكلمهن، فقال لعائشة رضي الله عنها، يقول: إنك امرأة حسناء، وأن زوجك محب لك، لتنتهين أو ينزل فيك القرآن.. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا ابن الخطاب، أو ما بقي لك إلا ما تدخل بين رسول

٩٥/أ

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٢٨ و٢٩...

الله ﷺ وبين نسائه، ما تسأل المرأة إلا زوجها. . فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية. . .

قال: فلما نزلت آية التخيير، بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه، فخيرها، وقرأ عليها القرآن الكريم. . فقالت: اخترت الله، ورسوله، والدار الآخرة. . فربى الفرح في وجهه. . وتابعها على ذلك سائر نساء النبي ﷺ. . .

قال قتادة: فلما اخترت رسول الله ﷺ، شكرهن الله سبحانه وتعالى على ذلك، ونصره عليهن، قال: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾[1]. . الآية. . .

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت له: مضى تسعة وعشرون يوماً، فدخل رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت لا تدخل علينا شهراً، وأنك دخلت عليّ من تسع وعشرين. . فقال: إن الشهر تسع وعشرون يوماً. . ثم قال: يا عائشة، إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تعاودي أبويك. . قالت: نعم. . ثم قرأ الآية حتى بلغ: ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾[2]. . قالت عائشة رضي الله عنها: قد علم والله أن أبوي لم يكونا يأمران بفراقك. . قالت: أفي هذا أستأذن أبي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. . .

قال معمر: فحدثني أيوب، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: لا تخبر أزواجك أني اخترتك. . فقال النبي ﷺ: «إنما بعثني الله مبلغاً، ولم يبعثني متعنتاً». . .

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٢، وتمامها: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾. . وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خيَّر رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله. . .

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٢٨ و٢٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا =

واختلف العلماء في ذكر التخيير، فقال عمرو بن مسعود: إذا خير الرجل/ امرأته، فاختارت زوجها، فلا شيء عليها، وإن اختارت نفسها فواحدة، وهو أحق بها.. وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه... ٩٥/ب

وقال زيد بن ثابت: إن اختارت زوجها فواحدة، وإن اختارت نفسها فثلاثاً، وإلى هذا ذهب مالك...

وقال الشافعي: إن نوى الطلاق في التخيير كان طلاقاً، وإلا فلا...

وأما تزويجه ﷺ بصفية بنت حيي، لما فتح رسول الله ﷺ القمص حصن ابن أبي الحقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفية ابنة حيي بن أخطب، وبأخرى معها، فلما رأتهم التي مع صفية، صاحت وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ، قال: أغربوا عني هذه الشيطانة.. وأمر بصفية، فسيرت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ أرادها لنفسه، وكانت صفية رضي الله عنها قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع، أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها.. فقال لها: ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً.. فلطم وجهها لطمة أحمرت عينها منه.. فأتى رسول الله ﷺ بها، وفيها أثر منها، فسألها: ما هو..؟.. فأخبرته بهذا الخبر.. وكانت خيبراً للمسلمين،/ وكانت فدك خاصة لرسول الله ﷺ، لم يجلسوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم، شاةً مَصْلِيّة، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ، فأكثرت بين يدي النبي ﷺ، فتناول الذراع، فأخذها، فلاك منها مضغة، فلم يسعها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ النبي ﷺ، فلما مضغها بشر، مات منها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم ٩٦/أ

= فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾...

قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم إنه دعاها، فاعترفت وقالت: نعم.. فقال: ما حملك على ذلك..؟.. فقالت: بلغت من قومي ما لا يخفى عليك، فقلت: إن كان نبيًّا لم يضره، وإن كان ملكاً استرحنا منه...

قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل...

قال: وكان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه، وقد دخلت عليه أم بشر بن البراء تعوده.. فقال: يا أم بشر، إن هذا الأوان، وجدت انقطاع المري من الأكلة التي أكلت مع ابنك بخيبر...

قال: فكان المسلمون يرون أن النبي ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله عز وجل من النبوة...

* * *

قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٦٧ ـ وَكَـذَا الإِمَـامُ الأَزنجِـي أَخُـو المَفَـاخِـرِ وَالمَنَـاقِـب

٦٨ ـ النَـاسـكُ السَّـهـمُ اللَّمـيِ المُجتبـىٰ مِـنَ المَـغَـالِـب

٦٩ ـ وَطَلَبـنَ مَـهـراً رَأسَـهُ بِئسَ المَقَـاصِـدُ وَالمَطَـالِـب

٧٠ ـ فَسَـعَـىٰ إِلَيْـهِ بِضَـربَـةٍ شُلَّـتْ يَـداً بِـالسَّيـفِ ضَـارِب

واختلف في وقت قتله:

قيل: قُتل في شهر رمضان يوم الجمعة في التاسع عشر من رمضان سنة أربعين. . .

وقيل: لثلاثة عشر من شهر رمضان. . .

وقيل: في شهر ربيع الآخر، سنة أربعين. . .

وقيل: / من حديث أبي بكر التميمي: اختلفوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا: والله ما صنعوا بالبقاء بعدهم بشيء، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس بعبادة ربهم، الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو اشترينا أنفسنا، فأتينا أئمة الضلالة، فالتمسنا قتلهم، وأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا. . . ٩٦/ب

فقال ابن ملجم قبحه الله: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وكان من أهل مصر. . .

وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان. . .

وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. . .

فتعاهدوا، وأوثقوا بالله لا ينكثن رجل منهم عن صاحبه الذي وجّه إليه بقتله، أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمموها، وأعدوا لسبعة عشر من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجّه إليه. . .

وأقبل كل واحد إلى البلد الذي فيه صاحبه. . .

فأما ابن ملجم لعنه الله، فكان عداده من كندة، فخرج، فلقي أصحابه بالكوفة، فكتمهم أمره، كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، وأنه رأى ذات أصحابه من تيم الرباب، وكان قد قُتل منهم يوم النهر عدة، فذكروا قتلاهم، ولقي ذلك اليوم امرأة من تيم الرباب، يقال لها: قطام بنت السخية، وقد قتل علي رضي الله عنه أباها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها ابن ملجم التبث بقوله، ونسي حاجته التي جاء إليها، فخطبها. . فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي غليلي. . ؟. . قال: فما تسألين. . ؟. . قالت: / ثلاثة الآن، عبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب. . !؟. . فقال: أهو مهر لك. . ؟. . قالت: إن قتلته شفيت نفسي ونفسك، وتقعد تعيش معي، وإن قُتلت فما عند الله سبحانه وتعالى خير. . .

٩٧/أ

قال: ثم قالت: إني أطلب لك من يسند لك ظهرك، ويساعدك على أمرك. . فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان، فكلمته، فما لبث أن أجابها. . .

قال: وأتى ابن ملجم رجل من أشجع، يقال له: شبيب بن يحسرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة. . ؟. . قال: وما ذاك. . ؟. . قال: قتل علي بن أبي طالب. . !!. . قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إداً. . قال: وكيف تقدر على علي. . ؟. . قال: أكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج إلى صلاة الغداة، شددنا عليه، فقتلناه، فإن نجينا، شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا، فما عند الله تعالى خير وأبقى. . قال: ويحك، لو كان غير

علي، كان أهون علينا.. قال: قد عرفت بلاءه في الإسلام، وقد عرفت أنه قتل أهل النهر الصالحين الزهاد.. قال: بلى.. قال: فلنقتله عن قتل أصحابنا.. فأجابه...

قال: فجاؤوا بالظلام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم، فقالوا لها: قد اجتمع رأينا على قتل علي.. فقالت: فإذا أردتم ذلك، فأتوني.. ثم عادوا ليلة الجمعة التي قُتل فيها علي رضي الله عنه في صباحيتها، سنة أربعين.. فقال: هذه الليلة التي واعدت فيها أصحابي أن يقتل كل واحد منّا صاحبه.. فدعت بالحرير فعصبتهم، وأخذوا أسيافهم، وجلسوا مقابل/ السدة الذي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم فأقره بالسيف، وهرب وردان حتى دخل منزله.. فدخل عليه رجل من بني أمية، وصاح بالناس، فلحقه رجل من حضرموت، يقال له: عويض، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجثم عليه الحضرمي، وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف.. فأخبره بما كان، فانصرف، فجاء بسيفه، وعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه ونجا بنفسه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم فأخذوه، إلا أن رجلاً من همذان يكنى أبا همذان، أخذه فضرب رجله فصرعه، وتأخر علي، ودفع في ظهر جعدة بن هبير بن أبي وهب، فصلى بالناس.. ثم قال علي: أين بالرجل..؟.. فأُدخل عليه عدو الله.. قال: ألم أحسن إليك..؟.. قال: بلى.. قال: فما حملك على هذا..؟.. قال: استخرته أربعين صباحاً، فسألت الله عز وجل أن أقتل به أشر خلقه.. فقال علي: ما أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا شر خلق الله...

وذُكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي رضي الله عنه، فبينما هم عنده أُتي بابن ملجم مكتوفاً، إذ نادت أم كلثوم بنت

٩٨/أ الإمام علي رضي الله عنها، وهي تبكي: أي عدو الله/ لا بأس على أبي، والله مخزيك.. فقال: فعلى من تبكين، لقد اشتريته بألف وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة لجميع أهل مصر ما بقي منهم أحد...

وذُكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك ولا نفقدك، فبايع الحسن.. فقال علي رضي الله عنه: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.. قال: فرد عليه مثلها.. فدعا فأوصى إليهم...

قال: وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، وكفنوه في ثلاثة أثواب، وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات، وولي الحسن رضي الله عنه عمله ستة أشهر...

قال: ولما حضر ابن ملجم بين يدي علي، قال الحسن: أريد أن أقتل عدو الله.. فقال علي رضي الله عنه: لا، إن سلمت، فإما أن أقتص، وإما أن أعفو.. ثم قال: انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربته هذه، فاضربه بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[1]...

قال: ولما قُبض علي رضي الله عنه، بعث إليّ ابن ملجم، فقال للحسن: بي خصلة، ما عاهدت الله عز وجل إلا وفيت به، وإني كنت قد أعطيت لله تعالى عهداً عند الحطيم، أني أقتل عليًّا ومعاوية، أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك على الله تعالى إن لم أقتله، أو قتلته بسبب، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك.. فقال الحسن: أما حي يعاين النار فلا، ثم قدمه، فقتله...

---

(١) حديث صحيح متفق عليه، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن التمثيل والتعذيب في كافة مخلوقاته والتمثيل، هو: قطع وشق وبتر للحي يقوم به الطرف الأول.

قال: وكان قد قال: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ائذن لي حتى أُسرَّ لك سرًّا في أُذنك..؟.. قال: تريد أن تعضها.. فقال: «والله لو مكنتني منها لقلعتها من صماخها...

قال: وتقدمت إليه امرأة، وقالت: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، هبني إياه.. فقال الحسن رضي الله عنه: خذيه.. فأخذته المرأة، وذبحته من باريه، وألقته في النار فأحرقته...

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ أيقظ عِليًّا وهو نائم، فقال: «قم يا أبا تراب، هل صليت الوسطى..؟..».. فقال: لا يا رسول الله.. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم امسك الشمس حتى يصلي عليًّا»[1].. قال: فرأينا الشمس في طاقات المدينة.. ثم قال ﷺ: «أتدري من أشقى الناس يوم القيامة..؟..».. قال: الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: «أشقى الناس يوم القيامة رجلان، عاقر ناقة صالح، وضاربك هاهنا ـ وأومأ بيده إلى نافوخه ـ»[2]...

وعن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ، وأنا ما رأيت ناساً من بني المدلج يعملون في عين لهم في نخل.. فقال لي علي: يا أبا اليقظان، هل لك أن تأتي هؤلاء، فتنظر كيف يعملون ـ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا بنوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في صور من النخل في دفعاً من

---

(١) انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ج ١، ص ٤٢٨، حديث رقم /١٣٧٩/، وقال: قال الإمام أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات.. ولكن، صححه الطحاوي وصاحب الشفاء، وانظر أيضاً الحديث رقم /٦٧٠/ نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢٠...

(٢) انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ج ١، ص ١٣١، حديث رقم /٣٧٣/، دون لفظ ـ وضاربك هاهنا ـ، وقال: رواه الطبراني والحاكم عن ابن عمر بزيادة: ما سفك على الأرض من دم إلا لحقه منه لأنه أول من سن القتل..

التراب، فنمنا، ووالله ما أنبهنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا، وقد تقربنا من تلك الدفعة، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا أبا تراب ـ لما يرى عليه من التراب ـ ألا حدثتكما بأشقى الناس يوم القيامة».. قلن: بلى يا رسول الله.. قال ﷺ: «احيمر ثمود الذي عقر ناقة صالح، والذي يضربك يا علي على هذه ـ يعني: على قرنه ـ حتى تبلى منه»[1]. هذه/، يعني: لحيته... ٩٩/أ

واختلف في سنة يوم قتله، وهو ابن سبع وخمسين...

قال: وفي حديث مصعب بن عبد الله، قال: كان الحسن يقول: قُتل أبي [عن][2] ثمانية وخمسين سنة...

وقال بعضهم: قُتل وهو ابن خمسة وستين...

وقال جعفر بن محمد: قُتل علي وهو ابن ثلاثة وستين سنة.. وذلك أصح ما قيل فيه...

وقال هشام: ولي علي رضي الله عنه وهو ابن ثماني وخمسين سنة، واستشهد، فكانت ولايته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، ثم قتله ابن ملجم، وتزوج علي رضي الله عنه ثماني نسوة، وولد له واحد وثلاثون ولداً، منهم سبعة عشر ذكراً، والباقي إناث...

وأما عمرو بن بكر التميمي، فجلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة، وقد اشتكى عمرو من بطنه، فأمر خارجة بن حبيبة، وكان صاحب شرطة، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي.. فشد عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه، يسلمون عليه بالأمرة.. قال: من هذا..؟.. قالوا: عمرو بن بكر.. قال: من قتلت..؟.. قال: خارجة، ووالله ما ظننته غيرك.. قال عمرو بن العاص: وأردتني..؟.. وأن الله أراد خارجة.. ثم

---

(١) راجع الحديثين السابقين وشروحهما...

(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

قدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه، قتله.. فبلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه...

وأما البرك بن عبد الله في تلك الليلة التي ضُرب فيها علي رضي الله عنه، فقد قعد لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلما خرج ليصلي الغداة، سدَّ عليه بسيفه، فوقع السيف في آليته. / فأُخذ.. فقال: إن عندي خبراً أُسرك به، فإن أخبرتك به تتعاف عند ذلك.. قال: نعم.. قال: إنّ أخاك عليًّا قُتل في هذه الليلة. فقال: كيف..؟!.. قال: بلى، إن عليًّا يخرج وليس معه أحد يحرسه.. فأمر به معاوية رضي الله عنه، فقتل...

٩٩/ب

قال: وبعث معاوية رضي الله عنه إلى الساعدي، وكان طبيباً، فلما نظر إليه، قال له: اختر إحدى خصلتين، إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع الولد منك، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة.. فقال معاوية رضي الله عنه: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد ففي يزيد وعبد الله ما يقر عيني.. فسقاه تلك الشربة، فبرىء معاوية رضي الله عنه ولم يولد له بعد ذلك، وأمر بعد ذلك بالمقصورات، وحرس الليل، وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد...

وعن الشعبي، وطلحة، وأبي عثمان، قال: قُتل عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الجمعة، لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، واثنتين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقُتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ابن تسعين سنة، أو ثمانية وثمانين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً...

قال: وفي سنة ست وثلاثين، حث معاوية رضي الله عنه الناس على قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان كل يوم يصعد المنبر، ويظهر قميص عثمان بن عفان رضي الله عنه الملطخ بالدم، ويظهر أصابع زوجة

عثمان نائلة رضي الله عنهما، فإذا رأوا الناس ذلك، يبكون.. فبقي كذلك سنة، حتى أنهم آلوا على أنفسهم أنهم/ لا يغتسلون من الجنابة، ولا يقربون نساءهم على فراشهم حتى يستوفوا دم عثمان رضي الله عنه، أو يُقتلوا...

١٠٠/أ

قال: وفي سنة سبع وثلاثين، التقوا على صفين، وكان عدد أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثمانية وستين ألفاً ومئتي رجل، وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة، وممَّا يليهم ومواليهم ثمانية آلاف، فكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً وثلاثمائة رجل، وثلاثمائة ألف رجل ومائة من أهل البصرة، وكان عدد أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مائة ألف وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، وخمسة وسبعون ألفاً من أهل الشام.. وقامت الحرب بينهم ثلاثة وأربعين يوماً من ذي الحجة كله، وثلاثة عشر يوماً من صفر..

قال: وأتى معاوية يوم صفين بأسير من أهل العراق.. فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك.. قال: لا تقل ذلك يا معاوية، فإنها مصيبة.. فقال: وأي نعمة من أن أمكنني الله تعالى من رجل قتل جماعة من أصحابي في ساعة واحدة.. يا غلام اضرب عنقه.. فقال الأسير: اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلني فيك، ولا أنك ترضى بقتلي، وإنما يقتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله.. فقال معاوية رضي الله عنه: ويحك، سألت فأبلغت، ودعوت فأحسنت.. يا غلام خلِّ عنه...

١٠٠/ب

قال: ثم أُحضر/ بين يديه أسير آخر من صفين، فأمر بضرب عنقه.. فقال الأسير: بالرحم الذي بيني وبينك أعف عني.. قال: لا رحم بيني وبينك ولا قرابة.. قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من أين..؟.. قال: أنت..؟.. قال: أنت خالي.. قال: وكيف ذلك..؟.. قال: لأن أختك زوجة النبي ﷺ، وهي أم المؤمنين رضي الله عنها، وأنا ابنها، وأنت خالي.. فقال معاوية رضي الله عنه: أطلقوا سبيله...

قـال: كتب قيصر إلى معـاوية بن أبي سفيـان رضي الله عنـه: أخبـرني عمن لا قبلة له، وعمن لا عشيرة له، وعمن لا أب له، وعمن سار به قبـره. .

وعن ثلاثة أشيـاء لم يخلقوا في رحم، وعن شيء، ونصف شيء، ولا شيء، وابعث الجواب عن كل ذلك في قارورة. . فبعث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنـه بالكتـاب إلى ابن عبـاس رضي الله عنهما، فقـال: أمـا من لا قبلة لـه فالكعبة، وأما من لا أب له فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأما من لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأما من سـار به قبـره فيونس عليـه السلام، وأمـا الثلاثة التي لم تخلق في رحم، فكبش إسماعيل عليـه السلام، ونـاقة صـالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وأما الشيء فالـرجل لـه عقل يعمـل بعقله، وأما نصف الشيء فالذي ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول، وأما لا شيء فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره من ذوي العقـول. . ثم مـلأ القارورة، وقـال: هـذا جـواب كـل شيء. . / فبعث معـاويـة بن أبي سفيان رضي الله عنه الجواب. . فلما وصل إلى قيصر الجـواب في القارورة، قال: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة. . . ١٠١/أ

قال: وبايع الحسن بن علي رضي الله عنه، معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في جمادىٰ الأولىٰ سنة أحدىٰ وأربعين، ودخل معاوية رضي الله عنه الكوفة في عشر من جمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة.

وقيل: في ربيع الآخر، وهذا قول الواقدي. .

قال: وفي هذه السنة دخل الحسن والحسين رضي الله عنهما منصرفين إلى المدينة. .

وقـال محمد بن عمـرو: في سنة خمسين أمـر بمنبـر رسـول الله ﷺ أن يُحمل إلى الشام، فحرك، فكسفت الشمس حتى بانت النجوم، فأعظم الناس في ذلـك. . فقال: لم أرد حمله، وإنمـا خفت أن يكون قـد ارتض، فنظرت إليه. . ثم كساه يومئذ. . .

وحدثني ابن سعيد بن دينار عن أبيه، قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إني رأيت منبر رسول الله ﷺ وعصاه لا يُتركان بالمدينة...

قال: فلما قدم أمير المؤمنين، وطلب العصا، وهي عند سعد القرظ، فجاء أبو هريرة رضي الله عنه وجابر بن عبد الله رضي الله عنه.. فقال: يا أمير المؤمنين، نذكرك أن لا تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح...

قال: فخرج بمنبر رسول الله ﷺ في موضع وصف، وأخرج عصاه إلى الشام، وزاد فيه ست درجات، وهو اليوم ثمان درجات، واعتذر إلى الناس فيما صنع.. وقال له قبيصة: أذكرك الله أن لا تفعل، فلما حركه كسفت الشمس...

قال: وقد قال رسول الله ﷺ: «من حلف على منبري، فليتبوأ مقعده من النار»[1]...

١٠١/ب / وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لما ثقل معاوية رضي الله عنه، وحدث الناس آية الموت، قال معاوية رضي الله عنه لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسقوا رأسي دهناً.. ففعلوا، فبرقوا وجهه بالدهن، ثم مهدوا له، فجلس رضي الله عنه وقال: أسندوني.. ثم قال: ائذنوا للناس.. فسلموا قياماً، ولم يجلس أحد...

قال: فلما خرج الناس من عنده، أنشد قائلاً:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لوشك البين لا أتضعضع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف عبد عند هذا المنبر على يمين آثمة، ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار». رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام، باب: اليمين عند مقاطع الحقوق /٢ - ٧٧٩/ برقم /٢٣٢٦/، وأحمد في المسند ٢/٣٢٩ و٥١٥.. والحاكم في المستدرك ٤/٢٩٧، وقال الذهبي في التلخيص: حديث صحيح، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، رواه ابن حبان، وأبي داود، وابن ماجة، ومالك، والشافعي، والبيهقي...

ثم إنه رضي الله عنه أوصى أن يأخذوا أظفار رسول الله ﷺ، وأن تُجعل في منافذ وجهه، وأن يكفن بثوب رسول الله ﷺ. . .

قال: ومات معاوية رضي الله عنه في سنة ستين، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة ونصفاً وثلاثة أشهر. . .

واختلف في مدة عمره، قيل: خمسة وسبعين، وقيل: ثمانية وثمانين، وقيل: تسعين. . .

قصة الحسن بن علي رضي الله عنه

٧١ ـ وَكَـذَلِـكَ الحَسَـنُ ابْنُـهُ لَيْـثُ الكَتيبَـة وَالـعَصَـائـب
٧٢ ـ جَـرَّعْنَـهُ كَـأْسـاً بِـهِ أَوردنَـهُ سُبـلُ المَـعَـاطـب

وأمـا الأخبـار التي وردت بسبب وفـاة الحسن بن علي بن أبي طـالب رضي الله عنهمـا، وذلك من كتـاب الإرشاد للشيـخ المفيـد أبي عبـد الله بن النعمان، وكذا رواه من ما نقلته من تاريخ المسعـودي على الوجـه المذكـور، وذكـر السم الذي تجـرع به الحسن رضي الله عنـه، جماعـة، ومـا جـرى من الخوض فيه عند دفنه. . .

وذلـك ما رواه عيسى بن مهـران، قال: أرسـل معـاويـة بن أبي سفيـان رضي الله عنه/ إلى جعدة بنت الأشعب، قال: إنني مزوجك ابني يزيـد على أن تسممي الحسن، وبعث إليهـا بمئـة ألف درهم، ففعلت وسمت الحسن، فوهبها المال ولم يزوجها يزيد، فخلف رجل عليها من آل طلحة، فـأولدهـا، وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيروهم، فقالوا: يـا ابن مسممة الأرواح. . . ١٠٢/أ

وروي عن عيسى بن مهـران، قـال: كنت مـع الحسن والحسين رضي الله عنهما في دار، فدخـل الحسن رضي الله عنه المخـرج، ثم خرج فقـال:

لقد سُقيت السم مراراً، وما سُقيته هذه المرة لفظت قطعة من كبدي، فجعلت أقلها تعود معي.. فقال له الحسين رضي الله عنه: ومن سقاك[1]..؟.. فقال: وما تريد منه، هل تريد أن تقتله..؟.. إن يكن هو، فالله سبحانه وتعالى أشد نقمة منك، وإن لم تكن، فما أحب أن يؤخذ بي ربي...

وروي، قال: لما حضرت الحسن رضي الله عنه الوفاة، استدعى الحسين رضي الله عنه، فقال: يا أخي، إنني مفارقك، ولاحقٌ بربي عز وجل، وقد سُقيت السم، ثم رميت كبدي في الطشت، وإني لأعرف من سقاني السم، ومن أين ذهبت، وإني أخاصمك الله عز وجل، فبحقي عليك أن لا تكلمني في شيء من ذلك، وانتظر ما يحدثُ الله عز وجل، فإذا قُضي عليّ، فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ، لأجدد به عهداً، ثم تدني إلى قبر جدتي/ خديجة بنت خويلد بن أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها، فادفني هناك، وستعلم يا ابن أمي، أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند جدي رسول الله ﷺ، فيجلبون في منعكم من ذلك، وبالله أقسم عليك أن لا تهرق في أمري محجمة دم، ثم أوصى إليه بأهله وبأولاده وتركاته، وما كان أوصى به أمير المؤمنين حين استخلفه، وأهله لمقامه، وكانت شيعته على استخلافه ورضيه لمقامه لهم علماً من بعده...

١٠٢/ب

قال: فلما قُبض رضي الله عنه، غسله الحسين، وكفنه، وحمله على سريره، ولم يشك أحد من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله ﷺ، فتجمعوا لذلك ولبسوا السلاح.. فلما توجه به الحسين رضي الله عنه إلى قبر جده رسول الله ﷺ، فتجمعوا لذلك ولبسوا الحديد والسلاح، وقد توجه به الحسين رضي الله عنه ليجدد به عهداً عهد به، فجعل مروان يقول: يا رب،

(١) أن الروايات تتضافر دائماً لتجعل كل شخصية لها وزن خطير في الأمة تقضي نحبها بالسم عن طريق معاوية، وكأنما الأمر غدا من المسلمات التي لا نقاش فيها، وجميعها روايات موضوعة لا سند لها أصلاً ـ وانظر: البداية والنهاية ـ لابن كثير ٤٢/٨...

هيجا حي خير مردعة، وأقبلوا إليه في جمعهم، ولحقتهم عائشة رضي الله عنها على بغلة وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي . . .

قال: فقال مروان: أيدفن عثمان بن عفان رضي الله عنه في أقصى المدينة، ويدفن الحسن رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ، والله لا يكون ذلك أبداً. . وأنا أجعل السيف حكم. . .

قال: وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبين أمية، فبادر ابن عباس رضي الله عنهما إلى مروان وقال: يا مروان، ارجع من حيث أتيت، فإنا ما ندفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ، ولكن نريد أن نجدد له عهداً بزيارته، ثم نرده جدته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، / فندفنه عندها بوصيته كذلك، ولو أوصى بدفنه مع جده ﷺ، كنت أقصر باعاً من أن تردنا عن ذلك، ولكنه أقسم بالله عز وجل وبرسوله ﷺ، وحرمة قبره، من أن يُهدم ويطرق عليه، كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه. . .

١٠٣/أ

قال: ثم أقبل على عائشة رضي الله عنها، فقال: وانسوتاه، يوماً على بغل، ويوماً على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله تعالى، وتقاتلين أولياء الله تعالى، ارجعي، فقد لقيت الذي تخافين، وبلغت ما تحبين الله تعالى منتصراً لأهل هذا البيت ولو بعد حين. . .

قال: وقال الحسين رضي الله عنه: والله لولا عهد الحسن بحقن الدماء، وأني لا أهرق محجم دم، لعلمتم كيف يأخذ سيوف الله تعالى بأخذها منكم، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا. . .

قال: ومضوا بالحسن رضي الله عنه، فدفنوه بالبقيع عند جدته خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد مناف رضي الله عنهم أجمعين. . .

* * *

قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

٧٣ ـ وَكَذَلِكَ سَعْدٌ قَدْ رُمِي   مِنُهنَّ بِالشُّهبِ الثَواقِب

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾[١]...
وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾[٢].. الآية..

قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وذلك أنه لما أسلم، قالت له أمه حمنة: يا سعد، بلغني أنك صبوت[٣]، فوالله لا يظلني سقف بيت من الريح، ولا أشرب، ولا آكل، حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى ما كنت عليه.. وكان رضي الله عنه أحب ولدها إليها.. فأبى سعد رضي الله عنه، وصبرت أم سعد ثلاثة أيام، لم تأكل، ولم تشرب، ولم تستظل، / حتى خُشي عليها.. فأتى سعد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، وشكا ذلك إليه.. فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤]، والتي في لقمان[٥]...

١٠٣/ب

(١) سورة الأحقاف ـ الآية ١٥...
(٢) سورة العنكبوت ـ الآية ٨...
(٣) صبوت: تركت دين آبائك...
(٤) انظر: أسباب النزول ـ للواحدي ـ تفسير الآية ٨، من سورة العنكبوت ص ٢٨٤...
(٥) انظر: أسباب النزول ـ للواحدي ـ تفسير الآية ١٥، من سورة العنكبوت ص ٢٨٧.. قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾..

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فيَّ. قال[1]: حلفت أم سعد لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب، ومكثت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، حتى غشي عليها من الجهد، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً**﴾.. رواه مسلم عن أبي خيثمة[2]... قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي**﴾...

قال سعد بن مالك، نزلت هذه الآية فيّ: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا**﴾[3].. قال: كنت رجلاً باراً بأمي، فلما أسلمت، قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت..؟.. لتدعن دينك هذا، أو لا آكل وأشرب حتى أموت، فتعير بي، ويقال: يا قاتل أمه.. قلت: لا تفعلي يا أماه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء.. قال: فمكثت يوماً لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها.. قال: فلما رأيت ذلك، قلت: تعلمني والله يا أماه، لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت لا تأكلي، وإن شئت فكلي.. فلما رأت ذلك، أكلت، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية[4]...

وقال مسروق بن الأجدع: إن زوجته [قالت له][5]: أضررت ببدنك..؟.. فقال لها: كرامة أريد...

١٠٤/أ /وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يفتر عن صلاة ولا صيام: ويحك يا مسروق، أما يعبد الله تعالى غيرك، أما خلقت النار إلا لأجلك..؟.. فقال

---

(١) القائل: هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص، والحديث عن أبيه...

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم ٤٣/...

(٣) سورة العنكبوت ـ الآية ٨، وتمامها: ﴿... إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾...

(٤) انظر: أسباب النزول ـ للواحدي ـ تفسير الآية ٨، من سورة العنكبوت ص ٢٨٥...

(٥) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

لها: ويحك، إن طالب الجنة لا ينام، والهارب [من النار][1] لا ينام...

وشكت أم الدرداء، فقال لها زوجها: تصبري يا أم الدرداء، فإن أمامنا عقبة كؤود، لا يتجاوزها إلا أخف الناس...

وقالت امرأة لزوجها، وكان قد كبر للصلاة بالليل: يا رجل، صلاتك مع زوجتك في فراشك، أفضل من صلاتك منفرداً...

وقالت امرأة سعيد بن المسيب لما ضُرب وأقيم للناس: يا شيخ، لقد أقمت مقام جزية من مقام الجزية، ففررت...

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

قصص في نكث العهود

٧٤ - وَبِـهِـنَّ أَنصَـاري كَـانَ مُحَـافِظـاً لأخيـهِ تَـائـب

٧٥ - نَكَـثَ الـعُـهـودَ وَلَـمْ يَنـلْ إِربـاً مِـنَ البِيضِ الكَـوَاعـب

وسُئل سفيان عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1] بمن نزلت..؟.. فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني بها أحد قبلك.. قال: لما كان رسول الله ﷺ، نادى الناس، فاجتمعوا، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[2].. فشاع ذلك في البلاد، فبلغ ذلك النضر بن الحارث، فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له، حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته، وأناخها فعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في جمع من الناس، فقال: يا محمد، أمرتنا/ أن نشهد بأن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.. ففعلنا، وأمرتنا أن نصلي خمساً.. ففعلنا، وأمرتنا بالزكاة، فقبلنا، وأمرتنا بالحج.. فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان.. فقبلنا، ثم لم

١٠٤/ب

(١) سورة المعارج ـ الآية ١...

(٢) قال في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ٢/٢٧٤، الحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه». رواه الطبراني، وأحمد، والضياء في المختارة، عن زيد بن أرقم، بلفظ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». فالحديث متواتر أو مشهور..

تـرض حتى رفعت بعضد ابن عمـك ففضلته علينـا، وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فهذا شيء منك، أم من الله عز وجل.. فقال ﷺ: «والـذي لا إلٰه إلا هو، إن هذا من أمر الله جل جلاله»[1]...

قال: فولى النضر بن الحارث يريد راحلتـه، وهو يقـول: اللهم إن كان ما يقوله محمـد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو آتنا بعذاب أليم...

قال: فما وصـل إليها حتى رمـاه الله سبحانـه وتعالى بحجـر سقط على هامته، فخـرج من دبره، فقتله.. وأنـزل الله سبحانـه وتعالى: ﴿سَـأَلَ سَائِـلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[2]...

١ ـ ● ـ روى ابن عباس رضي الله عنه، قـال: آخى رسول الله ﷺ بين أنصاري وثقفي، فخرج رسول الله ﷺ، وخرج معـه الثقفي، وبقي الأنصاري خليفته على بيته، وليقض حاجة أهله.. فجـاء الأنصاري يـوماً، فـوجد امـرأة [الثقفي][3] تغتسل، وقد تجللت بشعرها، فلمـا نظر إليهـا، لم يملك نفسه، حتى دخل عليها بغير إذن، فسترت وجهها بكفها، فتقدم إليها فقبل كفها...

قال: ثم أنشد شعـراً:

سترت بمعصمها محاسن وجهها ... هتكت بمـا سترت بــه ستـري

قـال: ثم ندم واستحيـا.. فقالت لـه: خنت أمانتـك، وعصيت ربك، ولم تصب حـاجتك، فخـرج من عندهـا نادمـاً على مـا بـدا منـه، فسـاح في الأودية/ والجبال.. إلى أن قدم رسول الله، وأتى الثقفي زوجته، فسألها عن ١٠٥/أ

(١) قال ابن الجوزي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فضائله الصحيحة كثيرة، غير أن البعض لم يقنع بذلك، فوضع له ما يضع ولا يرفع ممَّا يسوغ في العقل ولا يسوغ...

(٢) سورة المعارج ـ الآية ١ و٢، وذكر القصة الواحدي في أسباب النزول ـ ص ٣٦٢، والآية: أي ما نزل في الآية من سورة الأنفال ـ قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَو آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾... الآية ـ ٣٢... ولم يُذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه...

(٣) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

الأنصاري، فأخبرته بخبره، فطلبه، فلم يجده، حتى أُخبر أنه قد ساح، فاستدل عليه، فوجده ساجداً وهو يبكي ويقول: رب قد خنت أخي، رب ذنبي.. فتقدم إليه، فرفع رأسه وقال له: قم معي إلى رسول الله ﷺ لعل يكون عنده فرج.. قال: فأتيت به إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فنزل جبريل عليه السلام، وقرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]...

٢ ـ ● ـ وقال الحسن رضي الله عنه: لقد اهتز العرش مرتين، مرة لوفاة سعد بن معاذ[2]، ومرة أخرى كان رجلاً وأخاً لرجل، وكانت له امرأة جميلة، فوقعت في قلبه، ولم يفسدها عن زوجها ويعيبها حتى طلقها.. قال: فتزوجها.. واحتاج المطلق ذات يوم، فاستأجره زوج المرأة، قال: فدخل يوماً وهو يحمل على عنقه، فنظر إليها وهي إلى جانبه، فبكى ونظر إلى السماء.. فاهتز العرش...

٣ ـ ● ـ كذلك حدثنا عثمان بن شبيب، قال: كان بالبصرة أخوان، فغز أحدهما، وخلف امرأته على أخيه.. فراودته عن نفسه، فامتنع عنها.. فقالت: إن لم تفعل لأخبرن أخاك إذا قدم أنك دعوتني إلى ذلك.. فدام على امتناعه.. فلما قدم أخوه، أخبرته/ بذلك، فهجر أخاه زماناً، حتى مات الأخ، وندمت ١٠٥/ب

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٣٥، وانظر أسباب النزول للواحدي ص ١٠٥، من رواية الكلبي. وفيه: إلى قوله تعالى: ﴿ونعم أجر العاملين﴾.. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله. أخاص هذا لهذا الرجل أم للناس عامة..؟.. قال: «بل للناس عامة». وفي الباب أيضاً: قال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت الآية في نبهان التمار، قال: أتته امرأة حسناء، باع منها تمراً. فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ، وذكر له ذلك.. فنزلت هذه الآية...

(٢) ورد الحديث: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». قاله العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ص ٢٦١، ج ١، وقال: رواه الشيخان عن جابر، وفي ذلك يقول حسان:

وما اهتز عرش الله من أجل هالك ... سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

المرأة، فأخبرت زوجها بالخبر الصحيح على حقيقة الأمر، فبقي الأخ يأتي قبر أخيه في كل يوم يبكي ويقول شعراً:

هجرتك في طول الحياة وابتغي	وصالك لما صرت رمماً وعظما
أخـذك آكـد لـيـلاً ولا تـرى	عليـك لأهـل الـزم أن تتكلما
ولـدثـار لـو حللت مكـانـه	فمرا بوادي الدوم حباً وسلما[1]

٤ ـ ● ـ وحكي، أنه عرض الحجاج بن يوسف الثقفي سجنه يوماً، فأُتي برجل، فقال له: ما كان جرمك. .؟. . [قال][2]: أصلح الله الأمير، وأنا مخبرك بخبري، فإن كان الكذب منجي، فإن الصدق أولى بالنجاة. . فقال: وما قصتك. .؟. . قال: كنت أخاً لفلان، فضرب عليه الأمير البعث إلى خراسان، وكانت امرأته تهواني وأنا لا أشعر، فبعثت إليَّ ذات يوم رسولاً يقول: إنه قد جاءنا كتاب صاحبك، فهلمَّ لتقرأه، فمضيت إليها، فجعلت تشغلني بالحديث، حتى صلينا المغرب، ثم أظهرت لي ما في نفسها مني، ودعتني إلى الشر، فأبيت ذلك. . فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن أنك لص، فخفتها والله أيها الأمير على نفسي. . فقلت لها: امهليني إلى الليل، فلما صليت العشاء، فنظرت وخفت من حرس الأمير، فخرجت من عندها هارباً، وكان القتل أيسر عليَّ من خيانة أخي، فلقيني عسس الأمير[3]، فأخذوني. . وقد قلت في ذلك شعراً. . فقال الحجاج: وما هو. .؟. . قال:

رب بيضاء نضة ذات	دلال قد دعتني لوصالها
فأبيت إن يكن شأني العفاف	ولكن كنت ندمان زوجها فاستحييا

فقال الحجاج: خلو سبيله. . .

---

(١) وردت القصة في عيون الأخبار ١٢١/٤، بإيجاز هنا في العرض، واختلاف في الشعر. . .
(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى. . .
(٣) العسس: الجند العاملين. . .

١٠٦/أ ٥ ـ/ ● ـ قال: حدثنا عبد الملك بن عمير، قال: كان أخوان من ثقيف من بني كنده، بينهما من التحابب والإيثار شيء لا يعلمه إلا الله تعالى، كل واحد منهما أخوه عنده يعدل نفسه، فأما الأكبر فقد خرج إلى سفر له، وكان له امرأة، فأوصى أخاه بحاجة أهله، فبينما هو مقيم في داره، إذ مرت امرأة أخيه، وكانت من أجمل البشر، في درع تجوز من بيتها إلى بيت، فرآها، فرأى شيئاً حيّره، فلما رأته ولّت ووضعت يدها على رأسها ودخلت بيتها، وقد وقع حبها في قلبه، فتغير لونه، ونحل جسمه.. فلما قدم أخوه، قال: يا أخي، ما لي أراك متغيراً..؟.. وما هو وجعك..؟.. فقال: ما بي من وجع.. فدعا له الأطباء، فلم يقع أحد على دائه غير الحارث بن كندة، وكان طبيباً، فقال: أرى عينين صحيحتين، وما أرى هذا الوجع، وما أظن إلا أنه عاشقٌ..!!.. فقال: يا سبحان الله، أسألك عن وجع أخي، وأنت تستهزىء بي.. فقال: ما فعلت، وسأسقيه شراباً من عندي، فإن كان عاشقاً فيتبين لكم.. فأتاه بشراب، وجعل يسقيه قليلاً قليلاً، فلما أخذ منه الشراب، تهيج وتكلم.. فقال ما في نفسه، وعلم أخوه بالأمر، فطلق امرأته كي يتزوجها أخوه الضعيف.. فقال الأخ المريض: كذا وكذا إن تزوجتها.. فمات ولم يتزوجها...

٦ ـ ● ـ وقيل: كان عمرو بن قميئة البكري من أعجب الناس بأبي مرثد، وكان أبو مرثد يجمع بينه وبين امرأته على طعام، وكانت إصبع عمرو الوسطى والتي تليها ملتصقتين، فخرج أبو مرثد ذات يوم يضرب بالقداح[1]، / فأرسلت امرأة أبي مرثد إلى عمرو أن عمك يدعوك، فجاءت به ١٠٦/ب من وراء البيوت، فلما دخل عليها، لم يجد عمه، وأنكر شأنها، فراودته عن نفسه.. فقال: لقد جئت بشيء عظيم.. فقالت: إما لتفعلن، أو لأسوأنك..

---

(١) القداح: من عمل أهل الجاهلية يستقسمون بها، وهي كالأزلام، وكانوا يكتبون عليها الأمر والنهي، ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً، فإذا خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كف عما يريد...

فقال: بئسما ما دعوتيني.. ثم قام وخرج.. فأمرت بجفنة فكفيت على أثر قدميه.. فلما رجع أبو مرثد وجدها متغضبة، فقال: ما شأنك..؟.. فقالت: رجل قريب للقرابة منك، جاءني يسومني نفسي..!!.. فقال: من هو..؟.. فقالت: أما أنا فلا أسميه، وهذا أثر قدميه.. فعرف أبو مرثد أنه عمرو، فأعرض عنه.. وعرف عمرو الأمر، فقال شعراً:

لعمرك ما نفسي تحده رشيدة ... تؤامرني شراً لا صوم أبي مرثدا
عظيم وماذا الغدر لا متعبس ... ولا آيس منها إذا هو أخمدا
فقد أظهرت مني برانق جمة ... وأفرغ من لومي مراراً وأصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته ... سوى قول باغ جاهل متعمدا

قال: وذكرها السراج في كتابه مصارع العشاق...

* * *

قصة عبد الله بن رواحة

٧٦ ـ خَوفَةُ ابْنُ رَوَاحَة مِنْهُنَّ أَصْبَحَ وَهُوَ كَاذِب

ويحكى عن الشعبي: أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أصاب من جاريته، فبادرت إليه امرأته، وقد أخذت بيدها شفرة، ثم أتت إليه، فوافقته وقد قام عنها، ثم قالت: أفعلتها يا ابن رواحة..!؟.. فقال: ما فعلت منه شيء.. فقالت: إذاً.. اقرأ القرآن الآن، أو لأعجلنك بها.. قال: ففكرت في قراءة القرآن، وإني لجنب، وهي امرأة غيراء، وفي يدها/ شفرة، ولا آمنها على نفسي.. فقلت: وفينا رسول الله ﷺ يتلو كتابه كما انشق مشهور، من الصبح غال، يبيت يجافي جنبيه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع، وإن الهدى بعد العمى، فقلوبنا به موقنات، إن ما قال واقع... فقالت: آمنت بالله تعالى وكذبت بصري...

١٠٧/أ

قال رضي الله عنه: فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بذلك.. فضحك وأعجبه ما صنعت...

* * *

قصص في شكوى النساء

١ ـ ● ـ حكي أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فاستأذن عليه، فأُذن له.. فلم يدخل، ورجع من حيث أتى.. فأُخبر رسول الله ﷺ بما صنع.. فأحضره وقال له: فما حملك على ما صنعت، أذنا لك بالدخول فأعرضت..؟..

فقال: يا رسول الله، إن لي زوجة تؤذيني بلسانها، فأتيت أشكوها إليك، فلما أَذنت ليّ بالدخول، تذكرت أن لك تسعاً، فاستحييت من ذلك ووليت...

٢ ـ ● ـ وحكي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشكو إليه زوجته، وما يلقى منها.. فقال له عمر رضي الله عنه: وأنا والله الساعة خرجت من عند زوجتي، وقد أدبتني، وقالت: إنما أنت رابح إليَّ كذا وكذا..

٣ ـ ● ـ قال: وهكذا ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس رضي الله عنه: وهكذا إبراهيم عليه السلام اشتكى من زوجته سارة وما يلقى منها إلى الله سبحانه وتعالى، فأوحى الله سبحانه وتعالى: أن ألبسها ثوب التقى..

فقال: أصبت بالحكمة...

وأما أخبار الخلفاء/ ولطفهم: ١٠٧/ب

٤ ـ ● ـ قال: مرَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطريق من طرف المدينة، فإذا امرأة تطحن برجلها وهي تقول:

وهـويته من قبـل قـطع تمـايمي   متيـامـنـاً مثـل القضيب النـاعم
وكـأن نـور البـدر يشبـه وجهــه   يـرمي ويصعد في ذؤابـة هـاشم

فـدّق عليهـا البـاب. . فخـرجت إليــه، فقـال: ويلك، أحــرة أنت أم مملوكـة. . ؟. . فقالت: مملوكـة يا خليفـة الله. . فقال: ومن هـويت. . ؟. . فبكت ثم قـالت: يا خليفـة رسول الله، بحق الله تعـالى إلا انصـرفت عني. . قال: وحقه لا أدنو من مكاني أو تعلميني الأمر. . فقالت:

وأنـا الـذي لعب الغـرام بقلبهـا   فبكت لحب محمـد بن القـاسم

فقال لها: ويلك، إياه أردت. . ؟. . قالت: وما صرت هاشمية. . قال: صدقت. . ثم سار إلى المسجد، وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفـر بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقـال: هي لك، وهؤلاء والله هنَّ فتنة الرجال، والله قد مات بهن كل كريم، وعطب عليهن كل سليم. . .

٥ ـ ● ـ وعن جبيـر مـولى ابن عباس رضي الله عنهما، وكـان قـد أدرك الصحابة رضي الله عنهم، قال: ما زلت أسمع حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه خرج ذات ليلة يطوف بـالمدينـة، وكان يفعـل ذلك كثيـراً، إذ مرَّ بامرأة من العرب مُغلقة عليها بابها، وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كـواعبه   وأرقني أن لا ضجيــع ألاعبــه
ألاعبــه طوراً وطـوراً كـأنمـا   بدا قمر في ظلمـة الليل حـاجبه
/يسـر به من كـان يلهـو بقـربـه   لطيف الحشا لا يجتـريه أقـاربه   ١٠٨/أ
ولكني أخشى رقيباً مؤكلاً بأنفسنا   لا يـفـتـر الـدهـر كـاتبـه

٦ ـ ● ـ وقد نقل عنه رضي الله عنه: أنـه أتت امرأة إلى أميـر المؤمنين رضي الله عنـه تشكو زوجهـا إليه. . فقـالت: يا أميـر المؤمنين، إن زوجي لم يزلْ يصوم النهار ويقوم الليـل. . فقال عمـر رضي الله عنه: جـزاك الله خيراً، كما أثنيتِ عليه خيراً. . قالت: يا أمير المؤمنين، منذ عرفني لم يلق جنبه إلى

الأرض إلا قائماً يصلي، وصائماً نهاره.. فقال لها عمر رضي الله عنـه: جزاك الله خيـراً، كما أثنيتُ عليه بـالخيـر.. فقـال لـه بعض الصحـابـة: يـا أميـر المؤمنين، إنها تشكو زوجها أنه ما يقربها.. فأرسـل إليه، فلمـا حضر عنـده، قـال له الإمـام عمر رضي الله عنـه: اعلم يا فـلان، إن لـربـك حقاً عليـك، ولعينيـك حقاً عليك، ولـزوجتك حقاً عليـك، فأعـطي كـل ذي حق حقـه.. فقال: يا أميـر المؤمنين، أليس قد أجـاز لي الشرع أن أتـزوج بأربـع.. قال: بلى.. قـال: فلها ليلة، ولهن ثـلاث.. فقـالت: رضيت.. فجعل لهـا ليلة، ويتعبد ثلاثاً...

٧ ـ ● ـ وعن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما، قـال: كنت أطـوف البيت مـع عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه، وكفي في كفـه، فـإذا بـأعـرابي يحمل امرأة كأنها مهاة يطوف وهو يقول شعراً:

صـرت لـهـذا جمـلاً ذلـولاً — مـوطـأ أبـتـغـي الـمـهـولا
أخـذ لهـا بـالكف أن تميـلا — احـذر أن تـسـقط أو تـمـيـلا
أرجـو بـذلـك نـائـلاً جـزيـلاً

/فقال له عمر رضي الله عنه: من هذه..؟.. قال: يـا أمير المؤمنين، ١٠٨/ب هذه امرأتي.. فقال: برب هذا البيت لقد جازيتها.. فقال: أما أنها مع ذلـك لحمقاء مرغامة، أكول قحامة، مشومة الهامة، ما تبقي لها هامة.. قال: فمـا تصنع بها يا أعرابي..؟.. قال: حُسناً فلا تغرك، وأمـا لعيالـك فلا تتـرك.. فقال: شأنك بها.. ذكرها الخرائطي...

٨ ـ ● ـ وسمع عمر رضي الله عنه امرأة في الـطواف تقول: فمنهن من يُسقى مبرداً فاح، ومنهن من يسلك فرات خضراء من أجاج، ولولا خشيـة الله تعـالى لفـررت.. ففهم عمـر رضي الله عنـه شكـواهـا، فبعث إلى زوجهـا، فوجده مغبـر الفم، قبيح المنـظر، فخيره بين خمسمـائة درهم، أو جـارية من الفيء، على أن يطلقها.. فاختار خمسمائة درهم وطلقها...

٩ ـ ● ـ وعنه أيضاً رضي الله عنه، قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الليالي، فسمع امرأة تدق بالدف وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وليس إلى جنبي حبيب ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لزعزعت من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصونني ... وأكرم عليّ أن تنال مراكبه

قال: فلما أصبح عمر رضي الله عنه، مضى إليها.. فقال لها: ما الذي سمعته منك البارحة..؟.. فقالت: زوجي بعثت به إلى الموضع الفلاني، وأردت بذلك ترمل النساء..؟...

قال: فدخل عمر منزله، وأحضر حفصة رضي الله عنهما، وقال لها: كم تقدر المرأة الصبر عن زوجها.. فقالت: ستة أشهر.. فسأل عمر رضي الله عنه عن زوج تلك المرأة.. / فقالوا: إن لزوجها منذ سنتين في الجهاد.. فجعل البدل منذ ذلك اليوم ستة أشهر... ١٠٩/أ

١٠ ـ ● ـ وعن أبي مخيف قال: رفع إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه غلام من العرب أخلّ في قوم بالليل.. فقال له: ما قصتك..؟.. قال: يا أمير المؤمنين، لست بكافر ولا سارق، ولكن أصدقك.. قال: هات.. فقال:

تعلقت في دار الرباحي جودة ... يتدلى من حسنها القمر البدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب ... إذا افتخرت بالحسن جانبها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجتي ... أتيت وفيها من توقده الجمر
تبادر أهل الدار بي ثم أصبحوا ... هو اللص محتوماً له القتل والأسر

قال: فلما سمع علي رضي الله عنه شعره، رقّ له، وقال لرباح، وهو المهلب بن رباح اليربوعي: اسمح لي بها ونعوضك بها.. فقال: يا أمير المؤمنين، لمن..؟.. فقال: للغلام.. فقال الرباح: خذ بيدها هي لك...

١١ ـ ● ـ وقيل: إن عبد الملك بن مروان بعث بعثاً إلى اليمن، فأقاموا سنتين حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق، قال: والله لا عن مدينة دمشق، ولا سمعت الناس ما يقولون في الذي أغريت رجال البعث، وأغرمت فيه أموالهم، فبينما هو في بعض أزقتها، إذ هو بصوت امرأة قائمة تصلي، فتسمع عليها، فلما انصرفت إلى مضجعها، قالت: اللهم يا غليظ الحجب، ويا منزل الكتب، / ويا معطي الرعب، ويا مولي الغرب، ويا مسير النجب، ١٠٩/ب أسألك أن ترد عليّ زوجي، فتكشف به همي، وتصفي بها لذتي، وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان، وأنه الذي فعل بنا هذا، فقد صير الرجل نازحاً، والمرأة متقلقلة في فراشها، ثم أنشدت تقول شعراً:

تطاول هذا الليل والعين تدمع	وأرقني حزن بقلبي موجع
فبت أقاسي الليل أرعى نجومه	وبات فؤادي خائفاً يتفزع
إذا غاب منها كوكب في مغيبه	لمحته بعيني آخر الليل يطلع
إذا ما تذكرت الذي كان بيننا	وجدت فؤادي للهوى يتقطع
وكل حبيب ذاكراً لحبيبه	يرجى لقاه كل يوم ويطمع
فياذا العرش فرج ما ترى من صبابتي	فأنت ترعى أموري وتسمع
دعوتك في السراء والضراء دعوة	عليّ علته بين السرى سيف يلدع

فقال عبد الملك لحاجبه: أتعرف هذا المنزل..؟.. قال: نعم، هذا منزل يزيد بن سنان.. قال: فما المرأة منه..؟.. قال: زوجته.. فلما أصبح قال: كم تصبر المرأة عن زوجها..؟.. قالوا: ستة أشهر.. فأمر العسكر أن لا يمكث أحد أكثر من ستة أشهر...

١٢ ـ ● ـ وعن أبي مصعب الزهري، قال: هوي رجل من ولد سعيد بن عياض جارية مغنية بالمدينة، فهام بها دهراً، وهو لا يعلمها ذلك.. ثم إنه ضجر بالمكاتبة، فتعرض لها عشية، فلما خرجت قال: بأبي أنت وأمي، / أن تتغنين بهذا الشعر..؟!.. قالت: وما هو..؟.. قال: ١١٠/أ

أحبكم حباً بكل جوارحي فهل لكم بما لكم عندي
أتجزون بالود المضاعف مثله فإن كريماً من جازا الود بالود

فقالت: نعم، وأغني أيضاً، فأنشدت:

للذي ودنا المودة بالضعف وقتيل البادي به لا يجازى
لو بدا ما يناله لملأ الأرض وأقطارها معاً والحجاز

قال: فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، وكان أميراً على المدينة، فابتاعها بمال كثير، وأهداها إليه، فمكثت عنده سنة، ثم ماتت.. فبقي بعدها شهوراً ثم مات أسفاً.. فقال أبو السائب المخزومي: هذا سيد شهداء الهوى، فامضوا بنا ننحر على قبره سبعين بدنة كما كبر رسول الله ﷺ على حمزة رضي الله عنه سيد الشهداء سبعين تكبيرة...

١٣ ـ ● ـ وحدثنا أبو الحسن بن زيد البصري، قال: بلغني أن بشر بن مروان كان إذا ضرب البعث على رجل من كندة، ثم وجده، فداخل بمركزه، أقامه على كرسيه، ثم سمَّر يديه في الحائط، ثم ينزع الكرسي من تحت قدميه، فلم يزل يتشحط حتى يموت.. قال: وضرب ذات مرة البعث على رجل حديث عهد بعرس ابنة عمه، فلما صار في مركزه، كتب إلى ابنة عمه كتاباً، ثم كتب في أسفله:

لولا مخافة بشر في عقوبته وأن يرى حاسد كفي بمسمار
إذ لعطلت ثغر ثم زرتكم إن المحب إذا ما اشتاق زوار

١١٠/ب / قال: فورد الكتاب إلى ابنة عمه، فأجابته على كتابه، ثم كتبت في أسفله شعراً:

ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو كانت العقوبة في نحره النار
على المحب الذي لا شيء يفزعه أن يستقيم ومن يهواه في الدار

قال: فلما قرأ كتابها، قال: لا خير في الحياة من بعدها.. وأقبل حتى دخل المدينة، فأتى إلى بشر بن مروان في وقت غدائه، فدخل عليه.. فقال

له: ما الذي دعاك إليّ، أما سمعت نداءنا وأبعادنا.. قال: فإما أن عفوت، وإما عاقبت.. فقال: ويلك، وهل لمثلك من عذر.. قال: فقص عليه قصة ابنة عمه.. فقال بشر: يا غلام، ضع اسمه من البعث، وأعطه عشرة آلاف درهم،.. ثم قال له: ألحق بابنة عمك الشيباني...

١٤ ـ ● ـ وعن قحطب بن حمد، قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً، وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم ـ وقد همَّ بالقيام ـ امرأة عليها هيأة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.. فنظر المأمون إلى يحيى بن الأكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي بحاجتك.. فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا إماماً به قد أشرق البلد

تشكو إليك عميد القوم أرملة ... عدي عليها فلم يترك لها سبد

وابتز مني ضياعي بعد منعتها ... ظلماً وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه فأجابها شعراً:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عني وقرح مني القلب والكبد

/ هذا آذان صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد ١١١/أ

فالمجلس السبت إن يقضي الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد، جلس، فكان أول من تقدم إليه المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.. فقال لها: وعليك السلام، أين الخصم..؟.. قالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس ابنه.. فقال: يا أحمد، يا ابن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم.. فصار كلامها يعلو على كلام العباس.. فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك.. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن

الحق أنطقها، والباطل أخرسه.. ثم قضى لها بردِّ ضياعها، وبحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة...

١٥ ـ ● ـ وحكي أن جارية زفت إلى بيت رجل، فوثبت عليها ضرتها، وضبطتها بنات عم لها، إلا أنها كانت قد افتضتها بإصبعها.. فاستفتى الرجل إلى الحسن رضي الله عنه.. فقال له: إنها إحدى دواهيكم يا أهل الكوفة، ولها عليّ الحكم لها اليوم، فما ترون..؟.. قالوا: أنت أعلم.. قال: فإني أرى أن التي افتضتها زانية، عليها صداقها، وتجلد مائة جلدة، وأرى اللواتي ضبطنها مفتريات، وعليهن ثمانين جلدة لكل منهن...

١٦ ـ ● ـ قال: أتت أم ابن جامع إلى معن بن زائدة، وابن جامع معها، وهو صغير يتبعها، ويطأ ذيلها، وكانت من قريش، وكان معن بن زائدة على اليمن، فقالت: أصلح الله الأمير، إن عمي زوجني/ زوجاً ليس بكفؤ، ففرق بيني وبينه.. قال: ومن هو..؟.. قالت: ابن ذي متاجب.. قال: عليَّ به.. فدخل أقبح من خلق الله تعالى، وأشوهه خلقاً.. فقال: من هذه منك..؟.. قال: امرأتي.. فقال: خلِّ سبيلها.. ففعل.. فأطرق معن ساعة، ثم رفع رأسه إليه، وأنشد يقول شعراً: ١١١/ب

لعمري لقد أصبحت غير محبب — ولا حسن في عينيها ذا متاجب
فما لمثلها لما بكت وجهه — وعيناً لها خوصاً من تحت حاجب
وأنف كأنف البكر تقطر دائماً — على لجيه عطلاً شائب وشارب
أنت بها مثل المهمات أسومها — فيا حسن مجلوب ويا فتح جالب

قال: فأمر لها بمئتي دينار، وقال لها: تجهزي إلى بلادك...

١٧ ـ ● ـ وحكي أن الحجاج بن يوسف الثقفي، أتى بحرورية، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه..؟.. قالوا: اقتلها، أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها.. فتبسمت الحرورية.. فقال لها: لم تبسمت..؟.. فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك، استشارهم في قتل موسى عليه

السلام، فقالوا: أرجه وآخيه، وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي.. فضحك الحجاج، ثم أمر بتعجيل طلاقها...

١٨ ـ ● ـ وخرج الحجاج ذات ليلة من الليالي يتجسس الناس، وإذ امرأة في غرفة مشرفة، قد أخرجت رأسها، والقمر في ليلته الرابعة عشر، فقالت: اللهم يا نور النور، ويا مدبر الأمور، أسألك بهذا النور الذي نورت به السموات والأرض، أن تحفظ/ الحجاج بن يوسف الثقفي... ١١٢/أ

قال: فتعجب الحجاج من قولها، فوقف تحت شرفتها، ورفع رأسه إليها، وقال: أما تخافين الله تعالى، تدعي لرجل يقال عنه أنه قد حارب الله ورسوله، وسفك الدماء، أما تراقبين الله تعالى.. فقالت: ما أدعو لصحبة معه، وإنما أدعو الله تعالى خوفاً أن يبدلنا بأبخس منه وأظلم...

١٩ ـ ● ـ قال: كانت فاطمة بنت الحسين بن علي، عند الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، فلما احتضر، قال لبعض أهله: إن عبد الله بن عمر بن عثمان، إذا سمع بوفاتي، يجيء متهيئاً في إزار، ورداء قد أسبله، فيقول: حيث أشهد ابن عمي، وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة، فإذا جاء فلا يدخل...

قال: فوالله، ما هو إلا أن أغمضوه، حتى جاء عبد الله في تلك الصفة التي وصفه بها، فمنعوه ساعة.. فقال بعض القوم: لا يدخل.. وقال البعض الآخر: افتحوا له فإن مثله لا يرد.. ففتحوا له، فدخل، فلما ساروا به إلى القبر قامت عليه فاطمة وهي تبكي، ثم تطلعت في القبر فجعلت تصك وجهها بيديها خاسرة عند ذراعيها، فدعا عبد الله بن عمرو وصيفاً له، وقال: انطلق إلى هذه، وقل لها: يقرئك ابن عمك السلام، ويقول لك: كفي عن إخفاء وجهك، فإن لنا بك حاجة، فلما بلغتها الرسالة أدخلت يدها في/ كمها ١١٢/ب حتى انصرفت...

قال: فتزوجها عبد الله بعد ذلك، فولدت محمد بن عبد الله، وكان يُسمى المُذهَبِ، وذلك لجماله، وكانت ولدت حسن بن حسين بن عبد الله بن الحسن الذي حارب أبو جعفر، ولديه إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن الحسن، حتى قتلهما...

٢٠ ـ ● ـ قال: شكا جرير بن عبد الله البجلي، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما يلقى من النساء.. فقال: لا عليك، فإن التي عندي، ربما خرجت من عندها فتقول: إنما تريد أن تتصنع لفتيات بني عبد المطلب.. وسمع كلامهما عبد الله بن مسعود، فقال: لا عليكما، فإن إبراهيم الخليل عليه السلام شكا إلى ربه ذرعاً من خُلق سارة، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه، أن ألبسها لباسها، لم تَرَ في دينها ضناً.. فقال عمر رضي الله عنه: إن بين جوانحك علماً...

٢١ ـ ● ـ قال: تنافرت امرأة وزوجها إلى أسلم بن قتيبة، فقالت: أبغضه والله لخصال فيه.. فقال: وما هي..؟.. فقالت: هو قليل الغيرة، سريع الطيرة، شديد العتاب، كثير الحساب، قد أفل نخره، وأدبر دفره، وهجمت عيناه، واضطربت رجلاه، يفيق سريعاً، وينطق وجيعاً، يصبح خلياً، ويمسي رحياً، إن جاع جزع، وإن شبع جشع...

٢٢ ـ ● ـ قال: ونظر خالد بن صفوان إلى جماعته في مسجد البصرة.. فقال: ما هذه الجماعة..؟.. قالوا: إن امرأة تدل على النساء.. فأتاها، فقال لها: أبغي امرأة.. فقالت: صفها لي.. فقال: أريدها بكراً كفيت، أو ثيباً، حلوة من قريب، تحفة من بعيد، كانت في نعمة، وأصابتها حاجة، فيها أدب النعمة، وذل الحاجة، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة.. / قالت: قد أصبتها لك.. فقال: وأين هي..؟.. فقالت: في الرفيق الأعلى، في الجنة، فاصعد إليها... ١١٣/أ

٢٣ ـ ● ـ قال: أخبرنا خالد عن الشعبي، قال: جاءت امرأة إلى شريح، فجعلت تبكي.. فقال رجل: ألا ترى هذه المرأة المسكينة وهي تبكي.. فقال شريح: قد جاء إخوة يوسف عليه السلام في العشاء يبكون، ثم أنشد شعراً:

أغرك من شيخ بطاء ومملقة ... أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فإن بني يعقوب جاؤوا أباهم ... عشاء وهم يبكون زوراً ومخرقه

* * *

قصص المحافظين والعابدين والزهاد

٧٩ ـ كَمْ زَاهِداً وَمُحافِظاً وَمُجَاوِراً للديرِ ذَاهِب
٨٠ ـ مِنْ جُورِهِنَّ وَمَا لَقُوا مِنهُنَّ أَضْحُوا في المَعائب

ذكر من افتتن من الرهبان، والعباد، والصالحين، والمشايخ، وما حدث عليهم من أجل النساء، وما لقوا منهن، وما يتعلق بأسبابهن مع الحكام الجارية عليهن...

عن وهب بن منبه، قال: إنه رأى بعض أصحابه ينظر إلى امرأة، فقال له: احبس نظرك عن النظر إلى ما ليس لك بحق، فكل عابد، وراهب، افتتن، وما كان سبب فتنته إلا النظر، وجعل يحدثهم:

١ ـ ● ـ قال: كان في بني إسرائيل راهب يتعبد في قلب جبل، فمكث ستين سنة في أشد العبادة... قال: فمرت به يوماً امرأة من بني إسرائيل، فدعته نفسه إليها، فنظر إليها، ثم رجع إلى نفسه فقال لها: بعد عبادة ستين سنة تركني إلى الدنيا، لا ذقت طعم الدنيا بعد اليوم أبداً، ومد يده إلى عينيه/ فاقتلعهما.. قال: وكان يتلمس الأرض إذا أراد حاجة، ويقول لنفسه في معاينتها: كيف رأيت العقوبة..؟...

١١٣/ب

وفي هذا لنا شعر:

يا عين ويحك من دعاك إلى ملاحظة القمر

ذوقي بـزعمـك مـا جنيـت   عـلى جـفـونـك بـالـنـظر
قـد كـنـت أحـذر قـبـل ذا   ويـلي فـمـا نـفـع الـحـذر

٢ ـ ● ـ وحكي أن عـابدين تـوافقا في السيـاحة زمـانـاً طـويـلاً، فبـدا لأحدهما الرجوع إلى وطنـه، فكتب الآخر معـه كتاباً إلى أهله، فلما أوصـل الكتاب إلى زوجة صـاحبه، نـظر إليها فـافـتـن بها، وكـانت جميلة صالحـة، وكلّمها بسرّه ـ فقالت له: إذا كان الليل سر إليّ بعد العشاء. . ثم خرجت إلى ابن عم لها قاعد في دكان يعرض عليها المـال، وكانت تتمنـع. . فقالت لـه: أحتـاج إلى مئـة دينـار. . فـأعـطاهـا ذلــك. . فـدخلت حجــرة النخـاسين، واستعرضت جارية على صفتها، واشتـرت لها الثيـاب الفاخـرة، وقالت لهـا: إني اشتريتك لأخ لي، ثم صنعت ألواناً من الطعام، فلما أمست، جاء الرجل فدخل عليها، فرأى الجـارية مـزينة، فـظن أنها هي صـاحبته، فـأكل وغسـل يديه، فقامت الجارية فطرحت الفراش ونصبت الشمعة، وقام العابـد يصلي، والجـارية نـائمة، والمـرأة الصالحـة تـتطلع عليهم من شقـوق الباب، فصلى الرجل ما شاء الله تعالى أن يصلي، ثم جاء إلى الشمعة فأحرق إصبعه بالنار، ثم عاد إلى الصلاة، ثم لم يزل كذلك حتى أحرق أصابعه كلها. . .

/ قـال: فلما قـرب الصباح، سجـد سجـدة، وقـال: يـا إلّهي، إني لا أطيق نفسي، فاقبضني إليك. . فقبض في سجدته تلك، فلمـا سكنت نفسه، خرجت المرأة الصالحة، وأيقظت الجارية حتى توقظه، فحركته فإذا هو ميت، فشاع الخبر في الليلة، وكثر المصلون والباكون عليه. . . والله أعلم. . . ١١٤/أ

٣ ـ ● ـ وحكي أيضاً: أن عابداً كان في بني إسـرائيل، عبـد الله تعالى ستين سنـة، ثم نزل من صـومعته، فـرأى امرأة فـافتـتن بهـا ولم يـطق الصبـر عنهـا، ثم دعته نفسـه إليهـا، فخـاف الغلبـة على نفسـه، فسـاح في الجبـال والأودية، ولم يزل كذلك حتى قبض الله تعالى روحه. . .

٤ ـ ● ـ وحكى الأصمعي: أن فتى جميلاً خرج في سبيل الله تعالى، فوقع في فلاة من الأرض، فصاحبته امرأة، فوقع في نفسها، فقالت له: أيها الفتى، هل تحسن شيئاً من القرآن: قال: نعم...

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... بسم الله الرحمن الرحيم... ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾(١)..

فقالت: دعنا من هذا.. أتحسن شيئاً من حديث رسول الله ﷺ.. قال: نعم.. حدثنا فلان، عن فلان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الزنا يورث الفقر»(٢).. وفي المعنى: لو وضع ذراع الزاني على رأس جبل لانهد إلى الأرض السابعة.. فقالت: دعنا من هذا الحديث، هل تحسن شيئاً من الشعر.. قال: نعم.. ثم أنشد:

١١٤/ب / ولست من النساء ولست مني ولا أبغي الفجور إلى الممات

٥ ـ ● ـ وعن محمد بن السماك، أنه قال: كان عندنا بالكوفة فتى من الزهاد، وكان يخرج من المسجد إلى منزله وفي طريقه جارية من العرب، فنظرت إليه ذات يوم فهويته، وكان من أجمل الناس وجهاً، وكانت هي فائقة الجمال، وكان لها قدرة ويسار، وكانت تقعد له على الطريق، تنتظر أمره لتتبعه إلى منزله، فمكثت على ذلك حيناً، فلما طال عليها الأمر، وعيل صبرها، قعدت له يوماً كما كانت تقعد، وكانت ذا عقل وبيان وأدب، فلما مرَّ بها، قالت له: يا هذا، قف حتى أكلمك.. فوقف وقال لها: ما حاجتك.. وهو مطرق رأسه...

---

(١) سورة النور ـ الآية ٢...

(٢) رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وانظر كشف الخفاء ـ ج ١، ص ٤٤١، حديث رقم /١٤٢٧ و١٤٣٢/...

ولنا في هذا معنى:

يا ذا الذي عن حاجتي مستخبر	**رفقاً أمثلك عن غرامي يُسئل**
لا حاجة لي في سواك وإنما	**يسعى لأجل هوى النفوس الأرجل**

فقالت: اسمع مني ما أقول لك، وأنزله على أحسن منزل، فوالله ما حملني على كلامك إلا مخافة مفارقة الدنيا بغير حجة لنفسي إذ كنت سبباً.. قال: فراعه ذلك وهاله، وقال لها: لا تكثري الحديث، فإن هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن تكون للتهم فيَّ موضعاً.. قالت: ما حملني على كلامك تجربة مني لهذا الفعل مع غيرك، وإن هذا المقام لا يشبه به أهل المروات، وإن الأقدار تسوق أهلها إلى منتهاها، /. واعلم أيها الرجل، أن قلبي قد أصبح فارغاً من جميع الهموم إلا من ذكرك، فالله في أمري، واستدل بقلبك على كثير ممّا عندي.. قال: فتغير وجهه ولونه وحار على جوابها ولم يتكلم.. فلما رأت ذلك منه، ولّت عنه وهي تقول: اسأل الله سبحانه وتعالى الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل لي ما عسر من أمرك، ثم أنشدته: ١١٥/أ

بنفسي وأهلي أنت متنسك إذاً	**ما رأتك العين جازت فما تمشي**
وطار فؤادي واعترتني وساوسي	**وهجن بنات القلب بعضاً على بعض**
وجلت على عيني حجاباً مستراً	**وتمضي أوطاراً وهاتيك لا تمضي**

ثم أنشدت هذه الأبيات:

لا أنسى ما أنسى منه يوم موقفه	**إذ جئت أشكو إليه بعض بلوائي**
فطرفه خاشع من خوف سيده	**يا حسنه حائف من حرق نيراني**
لألبسن لهذا اليوم مدرعة	**وأهجر اللهو فيه خوف عقباني**
ولا أبوح بما قد كنت تكرهه	**ولا ادعيت ولو حققت دعواني**

قال: وانصرفت إلى منزلها، ولم تزل راكعة وساجدة وصائمة وقائمة، وكان إذا غلب عليها الأمر، تدعو بكتابه فتضعه على يمينها.. فيقال لها: وما يغني عنك..؟.. فتقول: وهذا ذو غيرة.. وكانت إذا حان الليل نادت: يا

وارث/ الأرض هي لي منك مغفرة، قد كنت أفعل فعل الفاجر الداني، فانظر إلى قلق يا مشتكي حزني بنظرة منك تجلو بعض أحـزاني. . فلم تزل كـذلك حتى فارقت الدنيا إلى رحمة الله تعالى. . .

٦ ـ ● ـ وعن أُبي بن كعب عن الحسن رضي الله عنـه، قـال: كـانت امرأة بغي، لها ثلث الحُسن، لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وأنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب فعمل بيديه وعالج حتى جمع مائة دينار، ثم جاء إليها، فقال: إنك أعجبتني، فـانطلقت فعملت بيـدي، وعالجت حتى جمعت مـائة دينار. . فقالت لـه: ادخل. . فـدخل. . وكـان لها سـرير من ذهب، فجلست على سـريرهـا، ثم قالت: هلم. . فلمـا جلس منها مجلس الـرجـل للمـرأة، أخذته رعدة، فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار. . قالت: ما بدا لـك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك، فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينـار، فلما قـدرت علي فعلت الذي فعلت. . فقـال: فرقـاً ـ خوفـاً ـ من الله تعـالى ومن مقامي بين يـديه، وقـد بغضت إليّ، فـأنت أبغض النـاس إليَّ. . فقـالت: إن كنت صادقـاً فما لي من زوج غيـرك. . فقـال: دعيني أخـرج. . فقـالت: لا، إلا أن تجعـل لي أنـك تتـزوج بي. . قـال: لا حتى أخـرج. . فقالت: فلي عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجني. . قال: لعـل يكون ذلـك. . ثم تقنع بثوبه وخرج إلى بلده. . .

قالت: لعل الله يجمعني به يوماً. . ثم إنها ارتحلت تائبة نادمة على مـا كـان منها حتى قـدمت بلده، فسألت عن اسمـه ومنزلـه، فدلّت عليـه، وكـان يصلي، فنظرت إليه، فلقيت منه ما لقيت. . .

قال ابن عباس رضي الله عنه: فقيل لـه إن الملكة قـد جاءتـك. . فلما رآها شهق شهقة فمات وسقط في يدها رحمة الله تعالى عليه. . / فقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب. . ؟ . . قـالوا: أخـوه رجل فقيـر. . قالت:

١١٦/أ

فـإني أتزوجـه حباً لأخيـه. . فتزوجتـه، فنشر الله سبحـانه وتعـالى منها سبعـة أنبياء. . .

٧ ـ ● ـ قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن إسناد لا أحفظه: أنـه علق فتى من الحي بـابنة عم لـه، فخطبهـا من أبيها، فـرغب بها عنـه، فبلغ ذلك الجارية، فأرسلت إليه تقـول: قد بلغني حبـك إياي، وقـد أحببتك لـذلك لا إلى غيـره، فـإن شئت خـرجت بغيـر علم أهلي، وإن شئت سهـلت لـك المجيء. . فأرسل إليهـا: كل ذلـك لا حاجـة لي فيه، إني أخـاف أن يلقيني حبك في نار لا تطـفأ، وعذاب لا يقطع أبداً. . فلمـا جاءهـا الكتاب بكت، ثم قالت: لا زال راهباً، والله لا أجد بأولى بهذا الأمر من أحـد من الخلق في الوعد والوعيد مشتركين. .

قال: ثم قامت الفتـاة فتدرعت وأقبلت. . فكبـر ذلك على أهلهـا وعلى أبيها، فلم تزل تعبد الله سبحانه وتعالى حتى ماتـت. . فكان الفتى يأتي قبرها كل ليلة، ويدعو لها ويستغفر. . ثم ينصرف. . .

قال: فأُخبرنا أنه رآها في النوم. . فقال لها: يا فلانة. . فقـالت نعم. . ثم قالت:

نعم المحبة يا سؤالي بمحبتكم ... حب بحـر لي خيـر وإحسـان
إلـى نعـيم وعـيش لا زوال لـه ... في جنة الخلد خلد ليس بالفاني

قال: فقلت لها: أفتذكريني وأنت هنـاك. .؟. . فقالت: والله لا أتمنى على الله تعالى مولاي ومولاك إلا ذلك، فـأعن نفسك عليهـا بالـطاعة، فلعله يجمـع بيني وبينـك في دار كـرامتـه، ثم ولت. . فقلت لهـا: متى أراك. . قالت: تراني قريباً إن شاء الله تعالى. . .

قال: فما لبث الفتى/ بعد هذه الرؤيا إلا قليـلاً حتى مات، فـدفن إلى جانب قبرها. . . ١١٦/ب

٨ ـ ● ـ ويحكى أن راهباً كان في صومعة له يتعبد فيها، فمرت به امرأة، فافتتن بها، فنزل إليها. . فقالت: ما تريد. . ؟. . قال: تمكنيني من نفسك. . !!. . فقالت: هيهات، ما كنت أفعل ذلك أبداً. . فقال لها: ولِمَ ذلك. . ؟. . فقالت له: إني أكره أن تكون فضيحتك في يوم القيامة على يدي. . قال: فصرخ وسقط مغشياً عليه، ثم أفاق وأنشد شعراً. . قال:

أنا المسيء المذنب الخاطي ... المفرط البيّن إفراطي

فإن تعاقب كنت أهلاً وكلاً ... وأنت أهل للعفو عن الخاطي

ثم قال: إلٓهي وسيدي، جُد عليّ بفضلك ورحمتك. . قال: فنودي. . عُد إلى صومعتك. . فعاد إلى صومعته، وأخذ في البكاء حتى ذهب بصره، وانحنى من شدة الحزن، إلى أن مات رحمه الله. . .

٩ ـ ● ـ حدثنا أبو الفضل الربعي، قال: كنت في المزدلفة بين النائم واليقظان، إذ سمعت صوتاً شجياً وبكاء حرقاً، فاتبعت الصوت، فإذا بجارية كأنها القمر معها عجوز، فلطيت ألاحظها من حيث لا تراني، وأمتع عيني بحسنها، وكانت الجارية تنشد فتقول:

دعوتك يا مولاي سراً وجهراً ... دعاء ضعيف القلب من محمل القلب

ابتليت بقاسي القلب لا يعرف الهوى ... وأقبل خلق الله الهائم الصب

فإن كان لا يقضي المودة بيننا ... فلا يخلو من حب له أبداً قلبي

رضيت بهذا إن حييت وإن أمت ... / فحسبي ثواباً في المعاد به حسبي

١١٧/أ

قال: وجعلت تردد ذلك وتبكي، والناس مشغولون بجمع الحصى. . فقمت إليها، فقلت لها: بنفسي أنت مع هذا الوجه الحسن يمتنع عليك من تريدين. . فقالت: نعم، ويفعل ذلك تصبراً، وفي قلبه مني أكثر ممّا في قلبي منه. . فقلت: فإلى كم هذا البكاء. . ؟. . قالت: أبداً، أو يصير الدمع دماً، ويطفىء نفساً غماً. . فقلت: إن هذه الليلة من ليالي الحج، فلو سألت الله سبحانه وتعالى التوبة ممّا أنت فيه، والمغفرة لما سلف، رجوت أن يذهب

حبه من قلبك. . فقالت: يا هذا عليك بنفسك في طلب رغبتك، فإني قدمت رغبتي إلى من ليس يجهل بغيبتي. . وحولت وجهها وأقبلت على بكائها وشعرها، فكانت تقول منشدة:

ومستخبر عن سر ليلي وددته بعمياء في ليلي بغير يقيني
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا قد خيرتكم بأمين

١٠ ـ ● ـ وحكي أيضاً عن عبد الله بن عبد الرحمن، قال: مرَّ بسلامة المغنية، وهي تغني فوقف يسمع غناءها. . فأدخله مولاها إليها، فوقعت في قلبه ووقع بقلبها، فقالت له يوماً وقد خلا المجلس:

دعني أبكي ما أجيش وأكتم فعساك بالشكوى ترق وترحم
لو أن قلبك صخرة وتشنة / وجدي تألم مثلها ما أتألم ١١٧/ب
إني لا أتعدى على حمل الهوى وعذابه علمني أن أتعلم

ثم قالت: أنا والله أحبك. . فقال: وأنا والله أحبك، وأشتهي أن أضع فمي على فمك، وألصق صدري على صدرك، وأضمك إلي، وتضميني إليك. . قالت: والله وأنا أشتهي ذلك. . قال: فما يمنعك من ذلك وأن المجلس خالٍ، وما يقربنا أحد. . فأنشدت شعراً وقالت:

الصبر ينقص والبلاء يزيد والدار دانية وأنت بعيد
أشكوك أم أشكو إليه فإنه لا يستطيع سواهما المجهود

فقال لها: ويحك، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1]. . وأنا أكره أن تكون خلتي لك منقطعة في الآخرة. . ثم عاد إلى طريقه وانصرف، ولم يعد إليها أبداً. . ذكره الخرائطي. . قال ولبعضهم شعر:

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية ٦٧. . .

كم قـد ظفـرت بهن أهـوى فيمنعني — مـنـه الحيـاء وخـوف الله والحـذر
وكـم خلوت بمـن أهـوى فيـقـنـعـني — منـه الفكـاهـة والتحـريـر والنـظر
أهـوى الملاح وأهـوى من أجالسهم — ولـيس لي في حـرام مـنهـم وطـر
كـذلـك الحب لا اتيـان فـاحشـة — لا خـير في لـذة من بعـدهـا سقـر

ثم قال:

والله مـا أبـغي الـوصـال لـريبـة — أو لا فـلا اتـصلت بكـفـي سـاعـد
لـكـن لـطيـب تـواصـل وتـعـازل — وتـألـف وتحـدث وتـنـاشـد
١١٨/أ / وكـذلـك كـان هـو الـظراف وإنمـا — فسـد الهوى في هـذا الـزمـان الفـاسـد

١١ ـ ● ـ وحكي أيضاً عن ابن عبـد الله الهيثم، قـال: سمعت بعض أهل الشام تحدث وقال: إن راهباً من الرهبان تعبد في صومعة له ستين سنة، فأشرف يوماً، فرأى امرأة تتمختر في مشيتها، فأصغت نفسه إليها، وجعل ينظر ويتلذذ، ثم ندم ورجع إلى نفسه، فقال: آه. . مـا أصنع بـك، وبما أعـاقبك بـه. . ثم هوى إلى عينيـه فاقتلعهمـا، فرأى في منـامه من يقـول له: إنـك قد جاوزت عقوبـة نفسك، فـاسأل حـاجتك. . فقـال: حاجتي أن لا أوافق على تلك النظرة. . فقيل له: قد كفيت موتة الحسـاب والمسألـة غداً، ثم إنـه أقام في اجتهـاده أعظم مـا كان، وكـان إذا أراد حـاجـة يضـع نفسـه على الأرض ويطلبها. . .

١٢ ـ ● ـ وحكي أيضاً أنه كان في بني إسرائيل رجل من العبـاد، وكان شـديد الاجتهـاد، فرأى يـوماً امـرأة من بني إسرائيـل، فوقعت في نفسـه بأول نظرة، فقال: ما احتال بهـذه، وليس يمكنني ما يمكن غيـري من الحركـة في أمرها، فقام مسرعاً حتى لحقها، فقـال لها: رويـدك. . فوقفت والتفتـت إليـه فعرفته، فقالت له: مـا حاجتـك يا هـذا. .؟. . قال: ذات زوج أنت. .؟. . قالت: نعم، فما تريد. .؟. . فقال: لو كان غير هذا، كان لنا نظر في هذا. . قـالت: ومـا لـنظرك. .؟. . قـال: عـرض علي / قلبي من أمـرك عـارض. . ١١٨/ب فقالت: ومن يمنعك من إنفاذه. .؟. . قال: وتـتـابعيني على ذلك. . قـالت:

نعم.. قال: فخلت به في موضع، فلما رأته مجداً في الذي سأل، قالت له: رويدك يا مسكين، لا تسقط جاهك عنده.. قال: فانتبه لها، وسكن عن قلبه ما كان يجده من فتنتها، لا حرمك الله تعالى ثواب فعلك.. ثم تنحى ناحية، وقال لنفسه: اختاري، إما عمى العين، أو قطع الإحليل، وأما السياحة في مسالك الوحوش والسباع.. فاختارت نفسه السياحة، فقال: ليس عندي ثياب السياحة.. ثم قصد طالباً مسالك الوحوش في البراري والقفار، وهو يبكي على تلك النظرة، حتى مات رحمه الله تعالى...

١٣ ـ ● ـ وحكي أنه كان في بني إسرائيل راهب يتعبد في صومعة له، وكان له صديق يتولى قوته، وكان إذا كان له شغل أرسل ابنته بقوته.. قال: فنظر إليها الراهب فافتتن بها، فشغلت عليه قلبه، فقال لنفسه ذات مرة: ما هذه الفتنة التي أتيت والليلة التي أنت عليها، وبقي مثل الحيران، قال: فرأى في ليلته في المنام من يقول له: إما أن تجعل حظك هذه الجارية، أو تحب ما عندنا.. فقال: ما عند الله تعالى خير وأبقى، ثم أخلص لله عز وجل، فذهب عن قلبه ما كان من نجواه...

١٤ ـ ● ـ وحكي أيضاً، قال: عشق رجل من النساك جارية من أهل البصرة، فبعث إليها من يخطبها، فأبت عليه، وقالت: إن/ أردت غير هذا فعلت.. فأرسل إليها، يقول: يا سبحان الله أيتها المرأة، أدعوك إلى الأمر الصحيح الذي لا عيب فيه ولا وهن، وتدعينني إلى الأمر الذي لا يصلح لا إليّ ولا لك.. فأرسلت إليه تقول: قد أخبرتك بالذي عندي، فإن أردت فتقدم، وإن أردت فتأخر.. فقال لها:

١١٩/أ

أسألها الحلال وتدع قلبي ... إلى ما تشتهيه من الحرام

فلما علمت أنه قد أشنع عليها من الفاحشة، أرسلت إليه أنا بين يديك على ما تحب.. فكتب إليها: هيهات لا حاجة لي فيمن دعوتها إلى الطاعة، وتدعوني إلى المعصية...

وقال الشاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة | إلا عصاه الحياء والكرم
ولا إلى محرم مددت يدي | ولامست لي بذلة قدم

١٥ ـ ● ـ عن زيد بن أسلم، قال: خرج عطاء وسلمان أولاد يسار حاجين من المدينة ومعهما أصحاب لهما، فأتوا منزلاً، فانطلق سلمان وأصحابه لحاجتهم، وبقي عطاء يصلي في منزله، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فأوجز في صلاته، ثم قال لها: ألك حاجة..؟.. فقالت: نعم.. قال: وما هي..؟.. قالت: قم فأصب مني، فإني قد أردت ولا بعل لي.. فقال لها: إليك عني ولا تحرقيني ونفسك في النار.. والمرأة تراوده عن نفسه.. فجعل يبكي ويقول: إليك عني.. ثم اشتد بكاؤه.. / فلما نظرت المرأة إليه ملّت بكاءه، فبينما هما في ذلك، إذ أقبل سلمان، فجعل يبكي في ناحية من الدار لبكائهما وما أبكاهما، وكان أصحابه يأتون رجلاً رجلاً، ويبكون ولا يسألون عن أمرهم، حتى كثر البكاء، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت، وقام القوم فتفرقوا، فلبث سلمان بعد ذلك دهراً طويلاً لا يسأل أخاه عن قصته وقصة المرأة، وذلك إجلالاً له، وكان أسن منه، ثم إنهما قدما إلى مصر لبعض حاجاتهما، فلبث ما شاء الله تعالى، فبينما عطاء ذات ليلة نائم استيقظ وهو يبكي، فقال سلمان: يا أخي ما يبكيك..؟.. قال: رؤيا رأيتها.. قال: وما هي..؟.. قال: لا تخبر بها أحداً ما دمت حياً.. قال: نعم.. قال: رأيت يوسف الصديق عليه السلام، فجئت أنظر إليه، فلما رأيت حسنه، بكيت، فنظر إليّ وقال: ما يبكيك أيها الرجل..؟.. قلت: بأبي وأمي ذكرتك وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها، وما لبثت في السجن، وفرقة الشيخ يعقوب، فبكيت في ذلك، وجعلت أتعجب منه.. فقال لي عليه الصلاة والسلام: ألا تتعجب من صاحب المرأة البدوية، فعرفت القصة، فبكيت على ذلك، واستيقظت باكراً.. فقال سلمان: يا أخي، وما كان حال تلك المرأة.. فقص عليه

١١٩/ب

القصة.. فما أخبر سلمان بها أحداً حتى مات عطاء، فحدث به امرأة من أهله، فما شاع الحديث إلا موت عطاء رحمه الله تعالى..

/ قال: ١٢٠/أ

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا	تقل خلوة ولكن قل عليّ قريب
لهونا لعمر الله حتى تتابعت	ذنوب على آثارهن ذنوب
فلا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا إنما يخفى عليه الذي يغيب
ألم تَرَ أن اليوم يسرع ذاهباً	وإن غدا للناظرين قريب

* * *

قصـص متفرقـة

٨١ ـ وَكَـذَا أَبُـو الـرَّجـل الَّـذِي قَـدْ كَـانَ للخيـرَاتِ نَـاهِـب
٨٢ ـ مِـنْ مَكْـرهِـنَ رُمِـي بِسَـهـمٍ كَـانَ بِـالآفـاتِ صَـائِـب

١ ـ ● ـ وأما أبو الرجل المشهور بالعبادة والزهد، وقد ذكره الله عز وجل في بعض كتبه المتقدمة، وضرب به مثلاً، ووصفه، وأثنى عليه ثناءً صالحاً، لما كان له مع الله سبحانه وتعالى من المعاملة، وكان أعلم بني إسرائيل، وأقواهم اجتهاداً، وكان مشتغل بالله عز وجل في صومعته، لا يألف على أحد منذ سبعين سنة، فأشرف من صومعته، فرأى امرأة تتبختر في مشيتها، فأعجبته، وشغلت قلبه عليه، ونسي ما كان فيه من المعاملة والاجتهاد، فألقى نفسه بالكلية إليها، فناداها، فوقفت، فأطمعته نفسه فيها، فهويها وكلمها، ودعته نفسه إليها، فدعاها إلى نفسه، فأجابته، فنزل من صومعته مصراً على وصالها، وأخرج إحدى رجليه من باب الصومعة، ثم إن الله سبحانه وتعالى تداركه برحمته ولطفه، وذكَّر الرجل ما بينه وبين الله سبحانه وتعالى من المعاملة، / فرجع إلى نفسه، فأخذ شفرة، وقطع بها رجله التي كانت قد خرجت من باب الصومعة.. ثم قال: والله لا تصحبني بعد هذا اليوم قدم تسابقني إلى المعصية...

١٢٠/ب

ولنا في هذا المعنى شعر.

رجل سعت في معاصي الله لا سلمت   من الـردى ولا نـالت أمـانيهـا
لأرمين بـهـا عنـي وأقـطعهـا   ولا يكـون تلفي في تـلافيهـا

قال: وكان الـرجل المشهـور إذا أراد أن يقوم، أمسـك بالحـائط ومشى إلى حيث أراد، ولم يزل نادماً على ما سلف منه وما فعل، إلى أن مات رحمه الله تعالى . . .

٢ ـ ● ـ قـال: وعن عبـد الله بن عمـر بن الخـطاب رضي الله عنهمـا، قال: لقد سمعت من رسـول الله ﷺ، ولو لم أسمعـه إلا مرة أو مـرتين، حتَّى عدَّ سبع مرات، ما حدثت به، ولكن سمعته أكثر من ذلك، قال: كـان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتـتـه امرأة، فـأعطاهـا ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة، ارتعدت وبكت، فقال لهـا: ما يبكيـك، أأكـرهتـك . . ؟ . . قـالت: لا، ولكن هـذا عمـل لم أعمله قط . . فقـال: وما حملك على هـذا . . ؟ . . قالت: حملني عليـه الحاجـة . . قال: فتركها . . ثم قال لها: اذهبي فالـدنانيـر لك . . ثم قـال: والله لا يعصى الله تعالى الكفل أبداً . . فمات في ليلته تلك، فأصبح مكتوباً على بابـه: غفر الله تعالى للكفل . . .

٣ ـ ● ـ قال: وحكي أيضاً أنه كان في بني إسرائيل امـرأة ذات جمال، وكانت/ عند رجل يعمل بالمسحاة، وكان إذا جاء بالليل، قـدمت له طعـامه، وفـرشت له فـراشه، فهـويها ملك ذلـك العصـر، فبعث إليهـا عجـوز من بني إسرائيل، فقالت لها: ما تصنعين بهذا الـذي يعمل بـالمسحاة، لـو كنت عند الملك، لكساك بالحرير، وفرش لك الديباج . . .

١٢١/أ

قال: فـوقع الكلام في مسامعها، فلما جاء زوجها بالليـل، لم تقدم لـه طعـامه، ولم تفـرش له فـراشه . . فقـال لها: مـا هذا الخُلق يـا امرأة . . ؟ . . فقـالت: هو مـا ترى . . فقـال لها: أطلقـك . . فقـالت: نعم . . فـطلقهـا . . فتـزوجها ذلـك الملك، فلمـا زفت إليـه، نـظر إليهـا فعمي، ومـدَّ إليهـا يـده فيبست . . .

قال: فرفع نبي ذلك الزمان خبرهما إلى الله عز وجل، فأوحى الله عز وجل إليه: أعلمهما أني غير غافر لهما، أما علما أنه لا يغيبني ما عملا بصاحب المسحاة. . .

٤ ـ ● ـ قال: وذكر السراج في مصارع العشاق، وقد ورد في الصحيح أن بني إسرائيل نزل بهم قحط وجدب وبلاء، فجمع موسى عليه السلام بني إسرائيل، وخرج بهم ليستسقوا نحو من ثمانين ألفاً، فلم يسقوا. . فقال موسى عليه السلام: من أصاب من نفسه ذنباً فليخرج عني. . فاندفع عنه بنو إسرائيل جميعهم إلا رجل واحد أعور، فالتفت موسى عليه السلام إليه فوجده خلفه. . فقال موسى عليه السلام له: أما سمعت كلامي. . ؟. . قال: بلى. . فقال موسى عليه السلام: فلم لم تذهب معهم. . ؟. . فقال: يا نبي الله، والذي اصطفاك نبيًّا، إني لم أعرف أن لي ذنباً سوى ذنبٍ واحدٍ، وذلك أني نظرت إلى امرأة يوماً، فأعجبتني، فأطلت النظر إليها، فرجعت إلى نفسي، فمددت يدي إلى عيني هذه فاقتلعتها. . فرفع موسى عليه السلام/ يديه، وجعل يدعو به حتى سقوا. . . ١٢١/ب

ولنا في المعنى، يقول الشاعر:

يا جابر العظم الكسير ... وكاسي الشيب الهرم
ارحم بلطفك مذنباً ... زلت به فيك القدم
نكث العهود بنظرة ... وجرى بشقوته القلم
فسلبت ناظري الضياء ... وكسوته ثوب الظلم
ذوقي العذاب كما نظرت ... فآفة النظر الندم
هذا بذلك فاصبري ... فالصبر من شيم الكرم
قسماً بمن أسرى به ... دون الأنام من الحرم
لولا انقيادي للهوى ... من ألم العين للمم
كلا ولا ألف الضنا ... جسمي ولا عرف السقم

* * *

قصص المرتدين

٨٣ ـ كَمْ مُسلمٍ عَبدَ الصّليبَ لأجْلِهُنَّ وَكَانَ تَائب
٨٤ ـ مِنهُنَّ أَصْبحَ خَاسِراً مِنْ مَا قَدْ كَانَ كَاسب

١ ـ ● ـ قال: أُخبرت عن رجل من أهل البصرة، نسيت اسمه، قال: نزلنا في ظل حصن من حصون الروم، فسمعت صوتاً، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن شعر:

فكم بين آلاف كي نلتقي في — إلى خمس إلى ميقات زعيم
أتى الدواء من ثغر تقي — عوارض ومن حمل رخيم
ومن عين مكحلة المآقي — بلا كحل ومن كشح هظيم

قال: وكان ينشد بلسان فصيح ويبكي.. فناديته: أيها المنشد.. فأشرف فتى كأحسن الناس خلقاً.. فقلت: من الرجل..؟.. وما هي قصتك..؟.. فقال: أنا رجل من الغزاة من العرب، نزلت مكانك هذا، فأشرفت على جارية جميلة، فعشقتها وكلمتها.. فقالت: إن دخلت في ديني لم أخالفك.. فغلب عليَّ الشيطان، فدخلت في دينها، فها أنا كما تراني.. فقلت: فهل كنت تقرأ القرآن..؟.. قال: والله لقد حفظته.. / فقلت: فما تحفظ منه اليوم..؟.. فقال: لا شيء إلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ١٢٢/أ

الَّـذِينَ كَفَرُوا لَـوْ كَانُـوا مُسْلِمِينَ﴾[1]. . فقلت: فهل لـك أن تعظم فـداك . . ففكر ساعة، ثم قال: انطلق يرحمك الله تعالى . . .

قال: وتلك هي قصته. . والله أعلم. . .

٢ ـ ● ـ قال العتبي: كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية نصرانية من أجمـل النساء، يقـال لها: سفـري. . فجنَّ بها، فجعـل يراسلهـا، وهي تأبى عليـه، حتى بلغه أن عيـد النصارى قـد قرب، وأنهـا ستخرج فيـه، وكان في موضع العيد بستان حسن، وكانت النساء يدخلنه، فـاتفق الوليـد مع صـاحب البستان أن يدخله، وكان قد غير حليته، ودخلت المـرأة سفري إلى البستـان، فنظر الوليد إليها، فجعلت تمشي حتى انتهت إليه، فقالت لصـاحب البستان: من هـذا. .؟. . فقال: رجـل مصـاب. . فجعلت تمـازحـه وتضـاحكـه حتى استشفى من النظر إليها. . فقيل لها: ويلك، أتدرين من ذلك الـرجل. .؟. . قالت: لا. . فقيل لها: إنه الوليد بن يزيد، تخفى حتى ينظر إليك، وقـد جئناً بك لذلك، وكان من أحرص الناس عليك. . فقالت فيه شعراً:

أضحى فؤادك يـا وليـد عيـدا	صبـاً قـديمـاً للحسان صيـودا
من حب واضحة العوارض طفلة	بـرزت لنـا نحـو الكنيسـة عيـدا
مـا زلت أرمقهـا بعيـني رامق	حتى بصـرت بهـا فقبـل عـودا
عود الصليب فويح نفسي من رآني	مـثلك صـليبـاً مثله مـعبـودا
فسـألت ربي أن أكـون مكـانـه	وأكـون في لهب الجحيم وقـودا

قال: ذكرها السراج في مصارع العشاق. . .

١٢٢/ب ٣ ـ ● ـ قال: وحكي أيضاً أن رجلين ترافقا في السياحة/ واصطحبنا اثنتي عشرة سنة، فكانا سنة يخرجان إلى الغزو، وسنة إلى الحج، فكل ما يكسبـونه في الغـزو ينفقونـه في الحج، فبقـوا على ذلك اثنتي عشرة سنـة، وكـان أكثـر

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٢ . . .

قصدهم بلاد الروم ست سنين، ثم قصدوا مكة حرسها الله تعالى الستة الأخرى في الجهاد، فلما كانت السنة التي يغزونه فيها، دخلا بلاد الروم، فرأى أحدهما امرأة، فافتتن بها، ووقعت في قلبه لساعته.. فالتفت إلى صاحبه وقال له: ارجع وانج بنفسك، فقد أُخذت وسُلب ديني.. فقال له صاحبه: يا أخي، فبحق الله عليك لا تفعل.. قال: لا تقل لي شيء، فما بقي يفيد الكلام معي، لأن القضاء قد تحكم فيّ.. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. قال: يا أخي، فادعيها إلى دينك لعل تصبو إليك.. فقال: الطلب لي.. فقال: يا أخي، اذكر القرآن الذي كنت تتلوه.. فقال: والله ما بقي في خاطري سوى آية واحدة، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَطْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[1]. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

قال: وكانا صاحبا اجتهاد ومعاملة مع الله سبحانه وتعالى، فبقي صاحبه متحيراً في أمره، فأخذ يسأل الله عز وجل السلامة، وهو خائف على نفسه.. ثم التفت إليه وقال: يا أخي، لي حاجة إليك، أشتهي أن تقضيها.. قال: وما هي..؟.. قال: تدخل السوق، وتشتري لي زناراً، ويكون هذا آخر العهد مني، حتى تعلم أني قد دخلت في دينها وتيأس من صحبتي...

قال: ولنا في قضاء الحاجة شعر:

/ألا يا أخا الأصحاب ارحم عاشق	تملكه رق الهوى فأذله	١٢٣/أ
له حاجة أضحت إليك فإنه	ليخشى بأن تقضي وما قضيت له	
فعجل عليها واحتسبها ضيعة	فإنك قد أصبحت للفضل أهله	

قال: فغاب عنه ساعة، وجاء معه زنارين.. فقالت له: يا مسلم، أنت أيضاً..!؟.. هل لك معي قلب، ولك فيَّ إرادة.. قال: لا والله الذي رفع

(١) سورة المائدة ـ الآية ٥.

السماء، وأجرى الماء، وأنار الظلام.. قالت: أراك قد أتيت ومعك زنارين.. فقال لها: والله لا أختار نفسي عليه أبداً...

قال: ولنا في المعنى شعر:

لا تعجبني مني إذا وافقته	في الشرك بعد عقيدة الإسلام
فله عليّ العهد منذ صاحبته	فأريد أن أفي له بذمامي
إني لا أكَرِمُ بعد دين محمد	دين الصليب وصحبة الأصنام
ما في المروءة أن يفارق دينه	أبداً ولو جرعت كأس حجام

قال: فقالت له: وكأنك تبيع آخرتك برضا قلبك وقلب صاحبك.. فقال لها: والله إن كان في جهنم كنت معه، وإن كان في الجنة كنت معه، ولا أختار نفسي عليه أبداً...

قال: ولنا في المعنى شعر:

ومن صاحبته في الله أنني	سأحفظ وده حتى المعاد
ولا أختار نفسي قط يوماً	عليه وفي إرادته مرادي
وإن يكب في الجحيم كنت معه	ويدل في مودته اجتهادي

قال: فقالت له: يا مسلم، أنتم تقولون أن دينكم الحق، وديننا الباطل، فتتركوا دين الحق وتدخلوا في دين الباطل.. قال: نعم، أنا صاحبته في الله وما لي خروج عنه ولا أكون..

قال: وأنشد بعضهم شعراً:

١٢٣/ب

/وكنا كغصن أنه ليس واحد	نزول به الرايتين عن رأي واحد
تملك في خل فخاللت غيره	وخليفة لما أراد تباعدي
ولو أن كفي لم تردني قطعتها	ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبح الرحمن كل مصاحب	يكون أخاً في الحفظ لا في الشدائد

قال: ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم منَّ علينا برحمتك وفضلك،.. ثم إن الله سبحانه وتعالى تغمدهما برحمته ولطفه ونظر إليهما،

وذلك لما سبق لهما في المعاملة، . . فقالت لهم المرأة: والله ما هذا إلا دين الحق. . حتى وافق أحدهما لصاحبه حتى في القدوم على جهنم. . ثم قالت: والله لا أفرق بينكما، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن كل دين سوى الإسلام باطل. . .

قال: فلما أسلمت أخذوها معهم، وتزوجها صاحبه، وأقاما بالشام، إلى أن توفيا رحمهما الله تعالى. . .

* * *

قصص القضاة

٧٧ ـ وَبِهِنَّ قَاضٍ بِالعِرَاقِ لَهُ تَصَانِيفُ غَرَائِب
٧٨ ـ أوقَعْنَهُ بِخِدَاعِهِنَّ فِي النَدَامَةِ وَالنَكَائِب

١ ـ قال: وقد ذكر أن قاضياً بالعراق يقال له: تاج الدين القزويني، مقامه ببغداد، وحكم فيها، وصنف كتاباً في الأصول، وقد ذكروا أنه في خزائن أبي حنيفة، وكان عمره لما توفي نيف عن سبعين سنة، وكان قد ربى عنده عبداً، وكان قليل الحركة، فلما اشتد وبلغ مبلغ الرجال، طالبته نفسه بالباه، فأتى إلى القاضي وقال: يا سيدي، إن نفسي/ تطالبني بالزواج. . وكان بليد الخاطر. . فقال له: وما معك من أحوال الدنيا. .؟. . قال: ولا قيراط واحد. . قال: فتبيعني يدك بمائة دينار. .؟. . قال: لا. . ولا أحد رجليك بمائتي دينار. .؟. . قال: لا. . قال: ولا رأسك بألف دينار. .؟. . قال: لا. . فقال: فيستحق الألف دينار، لأن قيمة المسلم عند الله تعالى ألف دينار، أو مائة ناقة، خمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون بنت مخاض، وخمس وعشرون حقة، وعشرون خليفات، وهي التي في جوفها ولدها. . فأرسل القاضي خلف رجل من أهل بغداد، وكان من أكابر أهلها، وكان له مال جزيل، ونعمة صالحة، وكان له مضاربين في البلاد، وما كان له ولد سوى بنت، وكانت من أجمل بنات زمانها، وأكملهم حسناً وعقلاً

١٢٤/أ

وذكاء، فأرسل القاضي خلف أبيها، فأحضره إلى عنده، وقال له القاضي: أريد ابنتك.. فقال: لمن..؟.. قال: لعبدي هذا، وله عندي ألف دينار على ما أنفق بيني وبينه، والمهر من عندي خارج عن الدين الذي ذكرت لك.. فقال: السمع والطاعة.. فأمر القاضي من الموجبات التي لا تخالف، فزوجها به، فلما دخل عليها، رأت صورة لم يكن أقبح منها، فشق عليها ذلك، والمرأة تريد من الرجال الشباب والجمال، كما يريد الرجل الجمال من المرأة، فأقام عندها مدة لا يخرج من البيت ولا يتصرف في نفسه، والنفقة من عند أبيها كل يوم بيومه، فلما طال عليها ذلك، ونفذ صبرها، واشتد بلاؤها، التفتت وقالت للعبد: أنت جئت عالة علينا، قم وتصرف/ بنفسك، ١٢٤/ب واعمل كما يعمل الرجال.. فقال: والله ما لي حرفة ألتجأ إليها، ولا والله ما أعلم أن أحداً أفقر مني.. فازدادت المرأة في بغضه، فقالت: ومن زوجك بي..؟.. قال: أبوك والقاضي.. فقامت المرأة إلى عند أبيها، وقالت: يا سبحان الله، قد ثقلت عليك وكرهتني، وما لك غيري، وتركتني لا أرفع رأسي بين نساء العالمين حياءً منهن، يقولون: هذه امرأة العبد، وأيضاً جئت لما تفعله، والله ما قلت في نفسي أنك سترميني هكذا لعظم محبتك لي، وأنا حديثة السن ابنة ستة عشر سنة، والله ما فعل والد بولده بمثل ما فعلت بي ولو كان يأكل التراب.. فقال: يا بنية، إني استحييت من القاضي أن أرده، وقد ذكر لي أن للعبد عنده ألف دينار.. فقالت: سأسأله.. فقامت ودخلت على العبد، وقالت: قد سمعت أن لك عند القاضي ألف دينار.. فقال العبد: والله ما لي عند القاضي فلس واحد إلا أن يقطع يدي أو رجلي أو رأسي حتى أستحق عليه الألف دينار بعد أن يقتلني، والموت ما يشتهيه أحد.. فرجعت المرأة إلى أبيها وأخبرته الخبر، وقالت له: عملت معي ما يسألك الله تعالى عنه، أتأذن لي أن أخرج وأحتال في نفسي.. فقال لها: اخرجي...

قال: وكان للوزير القائم ابنة فيها علة السل، يقوم عليها طبيبان جرائحي وطبائعي، وكان لها سنة على فراش الضنا.. قالت: فلبست أفخر

ثيابها وحليها، وخرجت إلى عند القاضي بعد أن قام من مجلس الحكم، فطرقت عليه الباب، فخرج إليها الخادم.. فقالت: أنا مظلومة.. فدخل الخادم، ثم خرج فقال لها: احضري غداً إذا جلس القاضي في مجلس الحكم.. فناولته ديناراً/ وقالت: إني من ذوات البيوت، وما أقدر كل ساعة أن أخرج، ولا يمكنني ذلك.. فأذن لها في الدخول.. فلما دخلت رفعت إزارها وكشفت عن وجهها.. والقاضي يقول لها: استري صانك الله يا بنية.. فقالت: يا سيدي القاضي، ما بقي صيانة للمرأة إلا الزوج أو القبر، وأنا ابنة الوزير، وإن كل من جاء يطلبني يقول له الوزير: ما لي ابنة تصلح للزواج، إن ابنتي مريضة.. وها أنا أمامك يا سيدي القاضي كما ترى، هذا خصري، وهذا صدري، وهذا شعري، ثم أسبلت ضفيرتين إلى ساقيها، وهذا ساقي، وكشفت عنه، وهذا وجهي قد رأيته، والقاضي يقول: يا بنيتي لا تفعلي ما لا يحل لك هذا من الله تعالى.. فقالت: قد نظرت جمالي كما ترى، فأشتهي منك مساعدتي عليه، وأن تقول له: إنه لا يحل له منعي من الزواج، فإن نفسي تشتهيه، وإني أشتهي ما يشتهيه الناس، وإلا.. فسيكون غير ذلك، ويكون قد أحوجني إلى ما لا أطيق ولا يليق بي...

١٢٥/أ

قال: فقال لها القاضي: والله يا بنيتي أنا أكفيك في هذا الأمر.. فخرجت المرأة من عنده.. وقد بقي في قلب القاضي شيء منها لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فلما أصبح القاضي، أرسل من يخطب ابنة الوزير على أنها تلك المرأة التي رآها.. فقال له الوزير: ونعمة الخليفة ما عندي ابنة تصلح للزواج إلا ابنة مريضة، وعليها طبائعي وجرائحي يعالجونها، فأرسل من يشاهدها.. فقال القاضي: لا أحتاج ذلك، قد بلغني الأمر، وأنا راضٍ به.. وقال للشهود: اشهدوا عليه بأنه قدم عليَّ جميع ما ذكرت له من هذه/ الجارية. قال: نعم، وهو أقل ما يكون.. قال القاضي: اشهدوا عليّ يا بني، أني قد رضيت بجميع ما ذكره من أمرها.. فكتب الكتاب واستعجل في الأمر، وذلك لما حصل في قلبه من محبة تلك المرأة، فلما دخل عليها

١٢٥/ب

وجدها كما ذكر له أبوها، ملقاة على فراش الضنا، ما كاد يتبين لها أثر في فراشها، وهي قد خفيت عن النظر إليها، وهي كما قائل القائل بشعر:

لم يبق إلا نفس خافت ... ومقلة إنسان باهت
ومغرم تشتعل أحشاؤه ... بالنار إلا أنه ساكت
ذاب فما في الجسم من ... مفصل إلا وفيه سقم ثابت
عدوه يبكي له رحمة ... يا ويح من يبكي له الشامت

فبقي القاضي متحيراً من أمره، وكيف تمت عليه الحيلة، ومن كانت تلك المرأة التي رآها وسلبت عقله، وبقي لا يقر له قرار، ولا له على البلوى اصطبار، وبقي على تلك الحالة ثلاثة أشهر، يخرج من الصبح، ولا يعود إلى بيته إلا في المساء، والصبية مثل الخلال لا تشعر من سقمها بمن غاب عنها أو حضر.. وما بقي القاضي يتكلم.. ثم إن زوجة القاضي ازدادت سقماً وألماً، وهي تعاني ما تعانيه.. أما زوجة العبد فقد عادت إلى القاضي، ودخلت عليه وهي كالبدر عند تمامه.. فلما نظر إليها، بادرته بالكلام فأنشدته شعراً:

يا أيها القاضي الذي ... ألبسني ثوب الضنا
أوقعتني فسعيت فيك ... وقد بلغت فيك المنى
خذ مثلها مني وأشر ... واعلم بشأنك من أنا
واشرب كما أشربتني ... هذا لك بذاك ولك الهنا

وقالت له: كيف رأيت ما فعلت بك، أوقعتني فأوقعتك، فخلصني حتى أخلصك.. قال: فأحضر عبده وطلقها منه.. وقال لها: أنا أحق بك منه من جميع/ الناس، وأنفذ إليها القاضي، وقال لها: أما أنا فقد قابلت الأسى بالإحسان، وأستغفر الله تعالى مما جرى، وقد قمت بكلامي، فأقيمي بكلامك.. فأنفذت إليه وقالت: أما أنا فعاجزة عنك، وما يحل لي أن أفرق بين المرأة وزوجها، فإن الله عز وجل يكره الطلاق.. فبقي القاضي في قلبه ١٢٦/أ

حسرة منها إلى يوم القيامة، قال: وهذا من جملة المكر والخديعة، فما لإحداهن طاقة، ولم يبق غير التسليم إلى الله سبحانه وتعالى. . .

٢ ـ ● ـ قال: عن محمد بن جعفر، أن أم جعفر كان الأحوص يكثر الكلام فيها في الشعر، وهي امرأة من الأنصار من بني حطمة، وهي أم جعفر بنت عبد الله، وللأحوص فيها أشعار كثيرة، فلما كثر القول فيها، جاءت منقبة، فوقفت عليه في مجلس قومه وهو لا يعرفها، وكانت امرأة عفيفة، فقالت له: أقبضني ثمن الغنم التي ابتعتها مني. . فقال: ما ابتعت منك شيئاً. . فأظهرت كتاباً قد صنعته عليه، وبكت وشكت حاجة وضراً وفاقة، وقالت: يا قوم، كلموه. . فكلمه قومه، وقالوا له: اقض حق المرأة. . فجعل يحلف مجتهداً أنه ما رآها قط، وأنه لا يعرفها. . حتى استفاض قولها وقوله، واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار بينهم، وكثر لغطهم. . ثم قامت وقالت: يا عدو الله، صدقت والله، وما لي عليك حق، وأنت لا تعرفني، وقد حلفت بذلك وأنت صادق. . وأنا أم جعفر، وأنت تقول: قلت لأم جعفر، وذلك في شعرك. . فخجل الأحوص وانكسر/ على ذلك، وبرئت عندهم. . .

١٢٦/ب

٣ ـ ● ـ قال: وذُكر عن إياس، وهو: إياس بن معاوية بن قرة، أبو وائلة المربي، قاضي البصرة، تولى قضاءها وهو ابن ثماني عشرة سنة، وتوفي في سنة عشرين ومائة من الهجرة النبوية، وكان ممَّن يُضرب به الأمثال في الذكاء والعلم، يقال: أركن من إياس، والركن: العلم بالأخبار الكثيرة المشهورة، وقد صنف أبو الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني كتاباً برأسه في أخباره وقضاياه لأبي تمام، فيه: إقدام عمرو، وسماحة حاتم، وحلم الأحنف، وذكاء إياس، وكانت له زوجة وهي ابنة عمه، وكانت تستطيل عليه وتؤذيه بلسانها، وتأخذ من عرضه، وما تفتر عنه في أذاها، وكان سبب ذلك أنه كان متزوج عليها، وكانت تحملها الغيرة على ذلك، وكانت من الأصل سفيهة اللسان، وكان لها مال، فكانت تقول: أنت تأخذ مالي وتنفقه على زوجاتك. . وكانت خالية من الجمال، فتزوج يوماً امرأة فقيرة، وكانت

من أحسن الناس في نساء البصرة، وأجملهم، وفائقة بالحسن. . فلما سمعت به ابنة عمه، ابتلته بأشد بلاء، وتسافهت عليه، وجعلت تأخذ من عرضه، فلما كثر منها ذلك، قال لزوجته: اذهبي إلى بيت فلان، واستعيري من زوجته أفخر ثيابها وحليها على لساني، والبسي ذلك، ثم اذهبي إلى بيت ابنة عمي وقولي لها: إن زوجي تزوج عليّ وترك حسني وجمالي، ويأخذ مالي ينفقه عليها، وأشتهي منك أن تحضري معي إلى عند القاضي حتى أشكو إليه حالي، حتى إذ حضر بين يدي القاضي، يكون القاضي قد علم بقصتي. .

ففعلت ما قال لها، وذهبت إلى بيت ابنة عمه، / وطرقت عليها الباب، وقالت: أشتهي أن تحضريني إلى عند القاضي، وأخبرتها خبرها، فقالت لها: والله أنت مثلي، وأحضرتها عند القاضي، وقالت له: اسمع قصة هذه المرأة. . فقصتها القصة. . فقال لها: ما لك. . ؟. . قالت: زوجي قد تزوج عليّ، وهذا حسني وجمالي قد رأته ابنة عمك، وهو يأخذ مالي وينفقه على زوجته، وأشتهي إذا أحضرته بين يديك أن تساعدني عليه. . فقال لها: أيتها المرأة الصالحة، هل أبصرت بعينك زوجك قد تزوج. . ؟. . قالت: لا، ولا أراني زوجته. . قال: فكلما يقول الناس ما هو صحيح. . وهكذا ابنة عمي هذه كل ساعة تخاصمني وتأخذ من عرضي وتتهمني بالزواج، وأنا كل امرأة لي في عقد نكاحي خارجة عن هذه العتبة فهي طالق مني ثلاثاً، فلما سمعت ابنة عمه هذا منه، تقدمت إليه وقبلت رأسه، وقالت: والله يا ابن عمي ما عدت أقول لك شيئاً أبداً. . .

١٢٧/أ

٤ ـ ● ـ وعنه أيضاً أن رجلاً أعرابياً قصد الحج إلى بيت الله الحرام، فلما قدم إلى البصرة، وكان رب نعمة صالحة، فأخذ ألف دينار، وأودعها عند بعض عدول البصرة، فلما قضى ما عليه، وعاد، طلب ماله من العَدِل، فأنكره ذلك ولم يعترف به، فشكا ذلك الأمر إلى القاضي، وكان القاضي إياس بن معاوية، فقال له: لا تحضره عندي، وإنما عد إليّ بعد ثلاثة أيام. . .

قال: ثم إن العَدِل فإنه لما حضر إلى عند القاضي، أظهر له القاضي أن عنده شغل قلب يؤرقه.. فقال له العَدِل: خير أرى عند الصاحب فكرة ـ فقال: وكيف لا يكون ذلك، وأنا لا أنام الليل لتفكري في مال الأيتام، وقد ضاق عليَّ الوقت وبات حرجاً، وأنا خائف على مال الأيتام، وما أدري إلى أين/ أنقله، وما أدري أين أضعه، فإن كنت تعرف بمكان فعرفني به.. فقال العَدِل: بيتي كما تحب، وجيراني فلان وفلان، وإني أضعه بالخشب من داخل البيت.. فقال له القاضي: تكون قد أسعدتنا بهذا الثواب.. فقام العَدِل وعمل جميع ما ذكره القاضي.. وأما الأعرابي فإنه عاد إلى القاضي.. فقال له القاضي: ارجع إلى خصمك واطلب مالك، فإن أبى فأحضره إلى مجلس الحكم، وأي شيء تم لك عرفني به.. فانطلق الأعرابي إلى العَدِل وطالبه بالمال، وقال له: لا أدعك حتى تحضر معي دار القاضي.. فلما سمع العَدِل بهذا الكلام، دفع إليه ماله.. فرجع الأعرابي إلى القاضي وأخبره بالخبر.. فقال له: خذ مالك وامض لشأنك...

١٢٧/ب

قال: وأما العَدِل فبقي مدة والقاضي لا يقول له شيء.. فذهب إليه وقال: لقد امتثلنا لأوامر الصاحبية، وما أشرت إليه من المصالح، فما يرسم مولانا القاضي.. فقال القاضي: أرسم أن لا تحضر مجلس الحكم، ولا تخط قدميك في محضري أبداً...

٥ ـ ● ـ قال: وحكي أن امرأة قدمت زوجها إلى بعض القضاة، وطلبت من القاضي أن يطلقها من زوجها، فرفع القاضي رأسه إليها، فوجدها شابة حسنة الصورة جميلة، ووجد زوجها شاباً حسناً فائق الجمال.. فقال لها القاضي: ما تشتكين منه..؟.. قالت: أريد طلاقه.. قال: هل قصر في نفقتك..؟.. قالت: لا.. قال: هل قصر في كسوتك..؟.. قالت: لا.. قال: أفيهجر مضجعك..؟.. قالت: لا، إنه ليوفي هذا كله.. قال: فاكشفي لنا ما تكرهين منه.. قالت: أريد طلاقه.. قال: يا امرأة، ارضي زوجك، وصوني عرضك، واصبري لقضاء ربك.. ثم نظر إليها القاضي

وقال: قد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «تزوجوا/ ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش»[1]. . فقالت المرأة: أريد طلاقه. . فقال القاضي: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس، فحرام عليها لا تشم رائحة الجنة»[2]. . فقالت: أريد طلاقه. . فقال: العدل هو المصالحة، أن تسمعي كلام الصاحب، فإن الله سبحانه وتعالى يبغض الطلاق. . قالت: أريد طلاقه. . فقال القاضي: لقد جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تطلقوا النساء إلا من ذنب، فإن الله تعالى لا يحب الذواقين ولا الذواقات»[3]، قالت: أريد طلاقه. .

١٢٨/أ

قال: ثم إن القاضي انشغل بقضية أخرى، فالتفتت إلى المرأة عجوز مسنّة، وقالت: يا بنية، ما تشتكين منه. . ؟. . فقالت لها: قد حرمني لذة النوم، وجعل فراشي مرتعاً له، وصدري فراشاً له، لا ينزل عنه ساعة واحدة، والله كأن ذكره قد خُلق من حديد لا ينثني ولا يلين. . فقالت لها العجوز: واحسرتاه، إني أبكي على ليلة واحدة منه، والله لو درت عليه لأستمتع ما نفعني أحد مثله. . لا تكوني يا بنية مجنونة، واشكري نعمة الله تعالى عليك، ولا تخبري أحد بخبرك، فإنهم يحسدونك عليه، وربما أحد يسمع بذلك فيأخذه منك، وأنا والله لك من الناصحين. . .

(١) ورد في الكشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ج ١، ص ٣٠٤، حديث رقم /٩٧٣/ قال: قال الصغاني: موضوع، ولكن عزاه في الجامع الصغير لابن عدي بسند ضعيف عن علي، وبلفظ: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش»، وقال ابن الجوزي: موضوع. ورواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري بلفظ: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات». اهـ. . .

(٢) رواه ابن ماجة في سننه برقم ٦٦٢/١، وحسنه الترمذي. . .

(٣) ورد في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ج ٢، ص ٣٤٦، حديث برقم /٢٩٧٩/: بلفظ: «لا أحب الذواقين من الرجال ولا الذواقات من النساء»، وقال: رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري رفعه، وللديلمي عن أبي هريرة بلفظ: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات»، وللدارقطني في الإفراد عن أبي هريرة مثله. . اهـ. .

قال: فأيقظتها من رقدتها، فالتفتت عندئـذ المرأة إلى القـاضي وقالت: لقد تصالحت مع زوجي.. فقال لها: خذيه واذهبي.. ثم قال للعجوز: قولي لي ما قلت لها، فقد سألتها وذكرت لها أحاديث رسول الله ﷺ فأبت أن تسمع منا، وأنت في ساعة سمعت منك.. فما الخبر.. فقـالت العجوز: قلت لهـا كذا وكذا، وعـرّفتها كـذا وكذا.. / فـأدرك القاضي الأمـر، ثم قال للعجـوز: اجلسي في هذا الصف، أنت تقضين بين النساء، وأنا أقضي بين الرجال...

١٢٨/ب

قال: ولنا في المعنى شعراً:

لله درَّ عجـوز من لي بتقبيـل فـاهـا فصيحة ذات عقل تفقهت لي مبـاهـا

وليتهـا الحكم لما علمت صـدق وفـاهـا ولم أجد مسعداً لي في الحكم غيري سواها

٦ ـ ● ـ قـال: وحكى بعض قضاة الـروم، وكان هـذا القـاضي، سلب المحيا، سلس القيادة، بشوش الوجه، ضحوك السن، لـطيف العشرة، وكـان من أزهد أهل زمانه، وأعلمهم وأذكاهم...

قال: فحضر عنده يوم من الأيام، رجل وامرأة، وكان الرجل يدعي على المرأة بثلاثة دنانير، وكان قد عاملها فيها، وكـان الأصل دينـاراً واحداً، وكـان بالمهلة يزداد على وجه الربـا، حتى صاروا ثـلاثة دنـانير، فـادعى عليها أمـام القاضي، وكان على رأس القـاضي طرطـور طويـل، وكانت لحيتـه تصل إلى تحت سرته... قال: فقال الخصم: استحق من هـذه المرأة ثـلاثة دنـانير.. فقال لها القـاضي: ما تقـولين..؟.. قالت: لا حـول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم.. فقال القـاضي: كلما قلت لـك أجيبي خصمك، تقـولين: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. فقالت: رأيت على رأسك طرطـوراً طويـلاً، ولحيتـك طويلة تصـل إلى مشعرك.. فـأخذ القـاضي طرطـوره ووضعـه على الأرض، ثم أخذ لحيته ووضعها تحت ثيابه، وقال لها: قولي فما بقي لك من حجة.. فأنشدته شعراً:

ما يستحق عليّ ممّا ادعى عندي /وهنـاك عن ذاك اليمين يميني

١٢٩/أ

إن حظي مثل الذي حطيتني   يا أيها القاضي وفيت ديوني
إن كنت أعطيته الذي ادعى   فيكون عقلي معتري بجنوني

قال: فرفع القاضي رأسه إليه وقال له: اترك لها دينارين، وخذ رأس مالك، واعمل كما عملت، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ﴾[1]. . . فقال الرجل: رضيت بذلك، تعطيني رأس مالي، ولا أُحرم ثواب صبري عليها.. قال: لك ذلك. . .

٧ ـ ● ـ قال: وعن ابن سهل، قال: كنت عند آدم بن الليث وهو يومئذ قاض بمصر، وإذ بجارية تغني شعر:

ترى في الحكومة يا سيدي   على مَنْ تعشق أن تُقتل

قال: وكان في يده قلم، فرمى به، ثم قال: لا. . . لا. . .

٨ ـ ● ـ قال: ودخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء، ومعه امرأة من أجمل النساء، فاختصم إليه، فأدلت المرأة بحجتها، وقرأت بينتها.. فقال الشعبي للزوج: هل لك يا هذا من يدافِع عنك.. وكان الشعبي قد افتتن بالمرأة لما رُفع الطرف إليها، فقد فتنته بنظرات عينيها، وتخطي حاجبيها، ومشت رويداً رويداً بدلال وهزت منكبيها.. فقضى عندئذ على الخصم جوراً، ولم يقضِ عليها. . .

قال: فقال الشعبي: فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما رآني تبسم، وقال لي: فُتن الشعبي لما رُفع الطرف إليه.. فقال لي فيما بعد: يا شعبي، ما فعلت بقائل هذه الأبيات..؟.. قلت: أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من حرمتي في مجلس القضاء، وبما افترى عليَّ.. فقال: أحسنت والله. . .

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٥.

١٢٩/ب ٩ ـ ● ـ قال: وحكي أيضاً أنه كان/ بواسط رجل صياد، وكان قد وقف عليه المعاش، وكان لديه فضل، فجاء إلى امرأة واستلف منها دينارين إلى الموسم، فأقرضته، وكانت من أجمل نساء أهل واسط حسناً وجمالاً، وكانت خالية من الزوج، فلما انقضت المهلة التي جرت بينهم، طالبته بدينها، وأحضرته إلى قاضي واسط، وادعت عليه بدينارين، فاعترف الخصم.. فقال القاضي: قد اعترف لك.. فقالت: أريد مالي.. فالتفت القاضي إلى الصياد وقال: ترد عليها مالها.. فقال للقاضي: أسألك بالوجه الذي تُسئل به يوم القيامة، أن تسألها الصبر عليَّ شهراً.. فقال لها القاضي: قد ثبت مالك، والصبر على المعسر صدقة، وقد سألتك أن تصبري عليه شهراً.. فقالت: قد قبلت الأوامر الصاحبية...

قال: فخرج الصياد وجعل يصطاد وهو فقير وله عائلة، فما كان يفضل عنه شيء، فنظر ذات يوم فرأى الهلال قد أدبر، فقال: هذه للقاضي ورمى الشبكة، فلما أخرجها، طلع فيها حوت كبير من أجود ما يكون، فحمله إلى القاضي، وقال له: يا سيدي، أنا الذي سألت المرأة لأجلي الصبر عليَّ، وأنا أخاف من الحبس، ولي عائلة، وما لي والله مقدرة على شيء، والمقصد من الصدقة المهلة عليَّ، لعل الله سبحانه وتعالى يسهل عليَّ شيئاً، وأقبل مني هذا الحوت لغلمانك، ولا تعمل معي غير ما يوجب الشرع، إلا المهلة، لعل الله سبحانه وتعالى بنيتك يفتح عليّ.. فقال القاضي: مبارك...

قال: فلما فرغ الشهر، أحضرته إلى القاضي، وادعت عليه.. فلما رأى ما وقع في قلب القاضي منها.. قال: أراض بخصمك..؟.. فأمر بحبسه.. فعاد إليه وقال: يا سيدي، أنا صاحب الحوت.. فقال القاضي: / ١٣٠/أ
ردوها.. فلما حضرت المرأة، قال لها: تعلمين أنّا أمرنا بحبسه، وما لديه أو يوفيك مالك وهو في الحبس،.. قالت: نعم.. قال: إذاً تقسطي عليه المال.. قالت: رضيت.. فقال له القاضي: بكم تتعيش كل يوم..؟.. قال: بنصف درهم.. فقال القاضي: لك ربع ولها ربع.. قال: رضيت..

فقال القاضي: فأين نجدك يا امرأة إذا أتاك بقسطك..؟.. قالت: في بيتي.. قال: فإن لم يراك فيه فإنه يصرفه. ولكن.. تقعدي أنت في الحبس معززة مكرمة حتى يأتيك بقسطه كل يوم.. فأسفرت عن وجه كالبدر في كماله، فلما رآها القاضي، اشتعل قلبه، وسلبت عقله.. فقالت: يؤخذ مالي وأقعد في الحبس.. فقال لها: إن الحبس على قدر حال المحبوس، وأنت حقك قد تم، فدعيه ولا ترهبيه، إنما حبسك عندي.. فقال لغلامه: أنزلها عند الجوار، وسلمها لهن، واضمن عليّ الصياد.. ثم قال له: وأنت تحمل القسط كل يوم وتأتي به إلى الدار.. فلما بلغ الصياد ذلك، أنشد يقول شعراً:

أنا صياد ولكن للسمك ... فتح الله انجبار لي ولك

كانت المهلة أنهي غرضي ... وأنت بالسجن ستبلغ غرضك

ليت شعري هل ترى من أحد ... للقضاء إن مت يوماً يخلدك

١٠ ـ ● ـ قال: وحكي أن امرأتان كانتا تمشيان على شط بغداد، وإذ بشيخ راكب أتانة، وهو ينظر إلى الشط، فمرَّ عليهن.. فقالت إحداهن للأخرى: تعالي نخرج مع الشيخ..؟!.. فحث الشيخ أتانه وضربه، فضرطت البهيمة.. فقالت إحداهن: ضرطت حمارة الشيخ.. فقال لهما: أنا الذي ما حملتني انثى إلا ضرطت.. فتبسمت إحداهن/ وقالت: بشر أمك لقد لقيت منك جهداً شديداً.. ولنا في المعنى شعر: ١٣٠/ب

فيا ويل أمك في تسعها ... لقد وجدت منك جهداً جهيداً

فلفواً لها بك في حملها ... لقد لقيت منك ضراً شديداً

١١ ـ ● ـ قال: لقي عمرو بن أبي ربيعة، ليلى بنت الحارث بن عمرو البكري، وكانت تسير على بغلة لها، وكان قد شبب بها.. فقالت: نظر إليّ وقال: جعلني الله فداك، عرجي هاهنا كي أسمعك بعض ما قلته فيك.. فقلت: أو قد فعلت..؟.. قال: نعم...

فأنشدها قائلاً:

ألا يا ليلى إن شفاء نفسي نوالك ... إن تجليت فتؤنسينا
وقد حضر الرحيل وحان منّا ... فراقك فانظري ما تؤمرينا

فقالت: آمرك بتقوى الله سبحانه وتعالى، وإيثار طاعته، وترك ما أنت عليه، ثم صاحت بالبغلة، ومضت...

١٢ ـ ● ـ وحضر عمرو بن معديكرب عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له أمير المؤمنين: قل لي من أشجع رجل رأيت، وأمكر رجل رأيت، وأجبن رجل رأيت..؟.. فقال: يا أمير المؤمنين، خرجت يوماً أحترم، فرأيت إنساناً جالساً لقضاء حاجة وقد نزل عن فرسه، فقلت له: خذ حذرك يا أخا العرب.. فقال: من أنت..؟.. قلت: عمرو بن معديكرب، فوالله يا أمير المؤمنين، ما أتممت كلامي إلا وقد جلس على عجزه وسقط ميتاً، فنزلت وأخذت سلبه وفرسه وسلاحه، فما رأيت يا أمير المؤمنين رجلاً أجبن منه...

قال: وخرجت يوماً أحترم، فرأيت إنساناً قد نزل عن فرسه، وأركز رمحه، وأنزل سيفه عن عاتقه، وقد استظل بظل شجرة، فقلت/ له: خذ حذرك يا أخا العرب.. فقال: ومن أنت..؟.. فقلت: عمرو بن معديكرب.. فرفع رأسه وقال: تقول خذ حذرك وأنت راكب على فرسك، معتقلاً برمحك، متقلداً سيفك، أمهلني حتى أركب فرسي، وأتقلد سيفي، وأعتقل رمحي.. قلت: لك ذلك.. قال: لا آمنك على نفسي دون أن تعطيني موثقاً إلى أن أركب.. فقال: وذمة العرب لك ذلك.. فقال: وذمة العرب لا أركب أبداً.. قال: فما رأيت يا أمير المؤمنين أمكر منه...

١٣١/أ

قال: وخرجت يوماً أحترم، فرأيت في صدر البرية فارساً، فقلت له: خذ حذرك يا أخا العرب.. فقال: ومن أنت..؟.. فقلت: عمر بن معديكرب.. فقال: أحسن العرب وأجبنهم، والله لولا العرب تعيرني بدم

مثلك لعلوت عنقك هذا بسيفي.. فقلت: خذ حذرك.. فقال: لا بد..
فقلت: نعم.. فقال: تحمل عليّ وأحمل عليك.. فساق أمامي، فوالله يا
أمير المؤمنين لقد وصفت سنان رمحي في ظهره حتى قلت إنه خارج من
بطنه، فطلبته على رأس فرسه فلم أجده، وطلعت الطعنة باطلة.. وحمل
عليّ وأخذ سنان رمحه تحت إبطه وضربني بعقبه في قبة رأسي، وقال: هذا
عفو عنك يا عمرو.. وحمل عليّ ثانية، ووالله يا أمير المؤمنين لقد جئته
عرضاً حتى ظننت أن رمحي قد طلع من جنبه، فلم أجده على فرسه،
فطلعت الطعنة باطلة، وأخذسنان رمحه فوضعه تحت إبطه وضربني بعقبه في
قبة رأسي وقال: هذا عفو عنك يا عمرو.. وأما الثالثة/ وذمة العرب، فعلمت ١٣١/ب
أن لا قدرة لي عليه، وأنه صادق.. فقلت له: يا أخا العرب، انتسب..
فقال: من عتيبة بن شهاب.. فقلت: حياك الله، وإني أسألك الصحبة..
فقال: أخاً بالله، بسم الله، أنا لي حبيبة في هذا الحي وأريد أن آخذها...

قال: فسقت معه إلى أن وصلنا الحي، قال: مكانك حتى آخذها..
فما كان ساعة إلا وهي خلفه على بعير، وإذ بالخيل في أثرنا تلحقنا.. فقال:
تسوق على حمية وألقاهم أنا، وأسوق أنا على حمية وتلقاهم أنت.. فقلت:
أنا أسوق وتلقاهم أنت.. فساق إليهم...

قال: فتقدم إليه شيخ وشاب وحدث، فتقدم إليه الشاب، فضربه على
عاتقه فأخرج السيف من تحت إبطه، فتقدم إليه الحدث، فرمى برأسه،
واختلف بينه وبين الشيخ ضربتان، فوقعت ضربة الشيخ في فؤاد الفتى
فمات، ووقعت ضربة الرجل في رأس الشيخ فشقه، فماتا جميعاً، فرجعت
إليه وأخذت أسلابهم وسلاحهم وخيلهم، ورجعت إلى المرأة، فقلت لها:
امشي.. قالت: وذمة العرب لا أتبعك حتى تدفع لي فرساً ورمحاً وسيفاً،
وألتقي أنا وأنت، فإن قهرتني جئت معك قهراً، فقد قُتل أبي وأخي وزوجي،
وتنجو أنت، لا والله لا حياة لي بعدهم...

قال: والله يا أمير المؤمنين، فقد خفت على نفسي منها، فضربت عنقها، وأخذت أسلابها، وسقت الجميع، ثم جئت، وقد قُتل أربع رجال بسببها، عليها غضب الله تعالى، وقتلت نفسها لمخالفتها، / فوالله يا أمير المؤمنين، ما رأيت أجبن من ذلك الرجل، ولا أمكر من ذلك الرجل الثاني، ولا والله ما رأيت أشجع من ذلك الرجل، ولا أقوى جناناً من تلك المرأة...

١٣٢/أ

* * *

طرائف وحكم في النساء

● ـ صحب شيخ من أهل المدينة شاباً في سفينـة، وكانت معـه جاريـة تغني، فقالوا له: إن معنا جارية تغني، ونحن نجلك، فإن أذنت لنا، فقلنا.. فقال: اعزلوا وافعلوا ما شئتم.. فتنحّى حتى غنت الجارية:

حتى إذ الصبح دنا نوره ... وغابت الجوزاء والمغرم
أقبلت والوطأ أخفى كما ... ثياب في ممكنة الأرقم

قال: فرمى الشيخ بنفسه في الفرات بثيابه وجعل يتخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم.. أنا الأرقم.. فأخرجوه وعدلوه، وقالوا: ما صنعت في نفسك..؟.. فقال: والله إني أعلم ما لا تعلمون...

● ـ وقال عبد الله بن جعفر، لابن عتيق: لو غنتك جارتي صوتاً، ما أدركت دكانك.. فقال ابن عتيق: قل لها تفعل وليس عليك إن مت،.. فأخذ بيده عبد الله بن جعفر وأدخله منزله، ثم أمر الجارية، وقال لها: هات ما عندك.. فغنت:

بهواك صيرني السعدو نكالاً ... ووجد السبيل إلى المقال مقال
ونهيت نومي عن جفوني فانتهيت ... وأمرت ليلي أن يطول فطال

قال: فرمى ابن عتيق بنفسه على الأرض، فقال: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[1] . . .

● ـ عن عبد الله بن جعفر قال: حضر قاضي مكة مائدة لرجل من الأشراف، فلما انقضى الطعام اندفعت جارية تغني:

إلى خالد حباً بحياء خالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فلم يدر القاضي ما يصنع من الطرب، حتى أخذ نعله فعلقهما في أذنيه، ثم حبا على ركبتيه، ثم قال: اهدوني فإني بلبه جدت لمسلم بن عبد الله ومسلم بن جندب . . .

● ـ قال: خرجت أنا وزياد السواق إلى العقيق، ولم جمّال فشاوره، وفيهن جارية خضابية العينين، فلما رآها زياد قال لي: يا ابن الكرام، دم أبيك في نقابها لا يُطلب، أترى بعدها عين، فأنشدني قول أبي مسلم بن جندب، فقال شعراً:

ألا يا عباد الله هذا أخوكم قتيل فهل فيكم به اليوم ثائر

خذوا بدمي إن مت كل جارية مريضة طوق العينين والجفن ساحر

قال: فقالت لي الجارية: أنت ابن جندب . . ؟ . . فقلت: نعم . . فقالت: فاغتنم نفسك واحتسب أبارك، فإن قتيلنا لا يؤذي، وأسيرنا لا يفنى . . .

ومن طرائف كلام النساء، قالت:

● ـ قالت سلمى بنت أيمن التميمية، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وكان زوجها من أقبح الناس وجهاً، فقالت له يوماً: أنا وأنت في الجنة . . فقال: ولِمَ . . قالت: رزقت مثلك فصبرت، ورزقت مثلي فشكرت، وإن الصبور والشكور في الجنة . . .

---

(١) سورة الحج ـ الآية ٣٦.

قـال: فقيـل لهـا: كيف تصبـرين على قبحـه وأنت من الجميـلات الحسان..؟../ فقالت: أمـا أنه قـدم عند الله تعـالى حسنة، أثبت عنـده أنا ١٣٣/أ فصبرت ثوابه، وصبر عقابي...

● ـ قال: اشترى رجل جارية بديعة في الحسن، وكان في غاية القبح، فلمـا صارت في داره، نـظر إليها فضحـك، ونظرت إليـه فبكت.. فقال لهـا كـالمغضب: أنظر إليـك فأضحـك، وتنظرين إليّ فتبكين.. فقـالت: نـظرت أنت إلى ما يسرك فضحكت، ونظرت أنا إلى ما يسوءني فبكيت...

● ـ قال: وكانت جارية أحمد بن سليمان قد قدمت المائدة إليه ونسيت الملح.. فقال لها: أين الملح..؟.. فقالت: في وجهي...

● ـ قال: وكانت حسنة جارية المهدي، قد قال لها المهدي يوماً: نعم الفراش بطنك.. فقالت: يا سيدي، لِمَ لا تفرشه كل ليلة...

● ـ قال: وتكلم السماك يوماً، وجارية لـه تسمع كـلامه، فلمـا دخل، قال: كيف سمعت كلامي..؟.. قالت: ما أحسنه لولا أنك تردده.. فقـال: أردده ليفهمه من لم يفهمه.. فقـالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمـه، فكفى، فله من فهمه...

● ـ قال: كانت نمـرة بنت زهر قـد مرت بقـوم من بني نمير، فتـأملوها جـداً، فقالت: يـا بني نمير، لا قـول الله أطعتم، ولا قول الشـاعر سمعتم.. قال الله تعالى: ﴿قُل لِلْمُؤمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[1].. وقول جرير:

فغض الـطرف إنـك من نميـر ... فـلا كعبـاً بـلغت ولا كـلابـا

● ـ وقـال رجل لمعشـوقته: / أعـطني خاتمـك أذكـرك بـه.. فقـالت: ١٣٣/ب خاتمي من ذهب وأخاف أن يذهب، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود...

---

(١) سورة النور ـ الآية ٣٠.

● ـ قال: واستعرض رجل جارية سوداء مليحة، فقال لها: ما اسمك..؟.. فقالت: مكة.. فقال: الله أكبر، لقد قرب الطريق، أفتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود.. فقالت: هيهات ولم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس...

● ـ وكانت لمحمود الوراق جارية موصوفة بالجمال، فطُلبت منه للمعتصم بالله بعشرة آلاف دينار.. فأبى أن يبيعها.. فلما مات محمود الوراق، اشتريت من ورثته بألف دينار، فلما دخلت على المعتصم، قال لها: طلبناك بعشرة آلاف دينار، فاشتريناك بألف دينار، فقالت: إذا كان مثل أمير المؤمنين، وخليفة الله تعالى في أرضه ينتظر بشهوته المواريث، فيكثر لمثلي مائة دينار.. فاستظرفها وتعجب من جوابها وحظيت عنده...

● ـ اقترح رجل على قينة هذا الصوت، وقال لها: هو سري وسرك، لا يعلم به إلا الله سبحانه وتعالى، وأنت وأنا.. فقالت: يا سيدي، والقوادة لا تنساها إذ لا بد منها...

● ـ قال: وحكى مطيع بن إياس، قال: طلعت على جاريتين يتساحقان، فرميت بنفسي على الفوقانية، وأخذت في شأني.. فقالت السفلانية: ما هذا..؟.. فقالت الفوقانية: جاء الحق وزهق الباطل...

● ـ قال جعفر البرمكي: قدمت لي الجارية مجمرة، وألقت عليها مثلثة من مسك وعود وعنبر، ووضعته تحتي.. فوافق خروج ريح مني، فأردت مغالطتها.. فقلت: ليست هذه المثلثة على/ طبيعتها.. فقالت: لا نكد بيعتها...

١٣٤/أ

● ـ وقال محمد بن أحمد بن عبد ربه: إن البلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن نفس الكريم عشرتها، ولا تقر العين برؤيتها...

● ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: النكاح رق، فلينظر أحدكم عند من يستر كريمته...

● ـ وقال العباس بن خالد السهمي : خطب عمرو بن زكريا بن حجر إلى عوف بن محكم الشيباني، ابنة أم إياس.. فقال: نعم أزوجها، على أن أسمي بنيها، وأزوج بناتها.. فقال عمرو بن حجر: أما بنوها فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وأعمامنا، وأما بناتها فتنكحهن ألفاً هن من الملوك، ولكني أصدقها حاجة من كندة، وأمنحها حاجات قومها، لا ترد لأحد منهم حاجة.. فقبل ذلك منه أبوها وأنكحها إياها، فلما حان الوقت أن يبني بها، خلت بها أمها، وقالت لها: أي بنية، إنك قد فارقت حقك الذي منه خرجت، وعمك الذي منه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقريناً لم تألفيه، فكوني له أمة، يكون لك عبد، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذكراً وذخراً:

ـ أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة...

ـ وأما الثالثة والرابعة: فالتغزل في موضع عينه، فلا يقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح...

ـ وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن تواتر الجوع ملهية، وتنغيص النوم مغضبة...

ـ /وأما السابعة والثامنة: فالحرص على ماله، والدعاية لحشمه وعياله، ١٣٤/ب فملكك الأمر في المال حسن التفقد، وترد في العيال حسن التدبر...

ـ وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمر، ولا تفشين له سر، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإياك ثم إياك الفرح بين يديه إذا كان مغتماً، أو الكآبة بين يديه إذا كان فرحاً...

● ـ قال رجل لحياة بنت شريح: أريد أن أتزوج، فما ترين..؟.. فقالت: كم المهر..؟.. قال: مئة دينار.. قالت: لا تفعل، لك أن تتزوج بعشرة دنانير، فإن وافقتك ربحت تسعين ديناراً، وإن لم توافقك تزوج أخرى، فلا بد في عشرة نسوة أن توافقك امرأة واحدة...

● ـ قال: حدث أبو جعفر، فقال: بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له، إذ مرَّ بجارية له سكرانة، وكان عليها كساء خز تسحب أذياله، فراودها عن نفسها.. فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما تريد، ولكن إذا كان من غد إن شاء الله أكون لك.. فلما كان الغد، مضى إليها، وقال لها: الموعد.. فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار.. فخرج وهو يضحك حتى قدم إلى مجلسه، وقال: من في الباب من شعراء الكوفة..؟.. فقيل له: مصعب، والرقاشي، وأبو نواس.. قال: فأمر بهم، فدخلوا، فلما جلسوا بين يديه، قال: ليقل كل واحد منكم شعراً يكون في آخره: كلام الليل يمحوه النهار...

قال: فأنشد الرقاشي، فقال:

١٣٥/أ

/متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركت مريضاً مستهاماً ... فتاة لا تزور ولا تزار
إذ استحريت الوعد منها قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

قال: لا بأس...

قال: ثم تقدم مصعب فأنشد، فقال:

أتعذلني وقلبك مستطار ... كئيب لا يقر به قرار
أحب مليحة صادت فؤادي ... بألحاظ يخالطه احورار
ولما أن مددت يداً إليها ... لتلمسها بدا منها نفار
فقلت لها (عديني منك وعداً ... فقالت في غد منك المرار
فلما جئت مقتضباً أجابت ... كلام الليل يمحوه النهار

قال: لا بأس...

قال: فتقدم أبو نواس، فأنشد فقال:

وليلة أقبلت في القصر سكرى ... ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي أردافاً ثقالاً ... وغصن فيه رمان صغار

وقد سقط الرداء عن منكبيها   من التكرية وانحل الإزار
فقلت الوعد سيدتي فقالت   كلام الليل يمحوه النهار

فقال: أخزاك الله، أكنت معنا، أم مطلعاً علينا.. فقال: يا أمير المؤمنين، عرفت ما في نفسك، فأعربت عما في ضميرك.. فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه مثلها...

● ـ قال: جلس الرشيد يوماً عند زبيدة، وكان عندها جواريها، فنظر إلى جارية واقفة على رأسها، فأشارت إليه أن تقبله، واعتلت بشفتيها.. فدعا بدواة وقرطاس، فوقع فيه قبلته من بعيد بشفتيه، ثم ناولها القرطاس، فرفعت فيها، فما برح من مكانه حتى وثبت عليه.. فلما قرأ ما كتبت، / استوهبها من زبيدة، فوهبتها له، فمضى بها وأقام معها أسبوعاً لا تدري زبيدة مكانهما... ١٣٥/ب

قال: فكتبت إليه زبيدة:

وعاشق صب لمعشوقته   كأنما قلباهما قلب
روحاهما يرق   ونفساهما نفس

كذا فليكن الحب

● ـ قال: ذُكر في كتاب الصاحب، في ذكر الحنظلية الشاعرة، قال: كانت يهملان شاعرة طريفة، تُعرف بالشاعرة الحنظلية، خطبها أبو علي كاتب بكر، فلما ألح عليها، كتبت له:

أيرك أير ما له   عند حر هذا فرج
فاصرفه عن باب حري   وأدخله من حيث خرج

قال صاحب الكتاب: هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أخت غيلان ذي الرمة، وأشعر من الخنساء أخت صخر، وأشعر من جنوب الهذلية، ومن ليلى الأخيلية...

● ـ وحكي عن بعض الفضلاء أنه كان ممتعاً عن الزواج ويكرهه، فساقه القدر أنه أذن له أن يزوجوه.. فقال: فتزوج بامرأة، فلما دخل عليها، جاء الأصحاب والأصدقاء يهنئونه، فقال: بالله ألا صبرتم عليّ حتى أنشدكم ما قد تضمنت فيها من صفات، وبعد هذا هنئوني.. فأنشد لهم شعراً:

لها جسم برغوت وساق بعوضة ... ووجه كوجه القرد بل هي أقبح
وتبرق عيناها إذا ما رأيتها ... وتعبس في وجه الضليع وتكلح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها ... تعود من حيث يمسي ويصبح
وما ضحكت في الناس إلا حسبتها ... أمامهم كلباً ينهر وينبح
وقد أعجبتها نفسها فتملحت ... بأية حال ليت شعري تملح

١٣٦/أ

● ـ/ وعن بعض النحاة، قال: تزوج، فلما دخل بامرأته وخلا بها، رأى منها ما لا يرضيه، وكانت بأقبح صورة، فأخذ يصرخ: والله ما عشوت، والله ما عشوت.. وجعل يكررها، حتى قيل له: ما بك هل جننت..؟.. وهو ما زال ينادي بأعلى صوته: والله ما عشوت، والله ما عشوت.. فحملوه إلى القاضي، فقال له القاضي: ما لك، وما الذي حدث عليك..؟.. فقال: يا مولانا، سمعت الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[1]. وأنا والله ما عشوت.. ففرق الحاكم بينهما...

● ـ قال: دخل زيد بن علي، على ابن هشام بن عبد الملك، فقال له: بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة، ولا تصلح لك ولا تصلح لها، لأنك ابن أمة.. فقال: فأما قولك، فإني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى، وأما قولك، إني ابن أمة، فهذا إسماعيل عليه السلام ابن أمة، وقد أخرج الله سبحانه وتعالى من صلبه خير البشر محمد رسول الله ﷺ، وهذا إسحاق ابن حرة، وقد أخرج الله سبحانه وتعالى من صلبه القردة والخنازير، ولقد تزوج إبراهيم الخليل عليه السلام هاجر، فولدت له إسماعيل، وتزوج محمد ﷺ

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية ٣٦.

مارية القبطية فولدت إليه إبراهيم، ولما صارت إليه صفية بنت حيي، كان أزواجه رضي الله عنهن يعيرونه باليهودية، فشكت ذلك إلى النبي ﷺ، فقال لها: «ألا قلت، وكيف تكونان خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى»[1]. . فصدقت وصدقت. . .

● / ـ وحدثني محمد بن زكريا بالبصرة، قال: حدثني إبراهيم بن عمر، قال: كان هارون الرشيد قد استعرض عنان جارية النطافي ليشتريها، فقال لها: والله أنا أحبك. . ثم أمسك عن شرائها، فجلس ليلة مع سارة، فغناه بعض من المغنين بأبيات جرير، حيث يقول: ١٣٦/ب

إن الذين غدوا بلبِّك غادروا وشلا بعينك ما يزال معيناً

فطرب لها هارون طرباً شديداً، وأعجب بالأبيات، فقال لجلسائه: هل فيكم أحد يجيز هذه الأبيات ثلاثة بمثلهن، وله بدرة من الدنانير. . .

قال: فلم يصنعوا شيئاً. . فقال خادم على رأسه: أنا لك بها يا أمير المؤمنين. . فقال: شأنك، فاحمل البدرة. . فخرج الخادم وأتى الناطفي، فقال: استأذن لي على عنان. . فدخل، وقال لها: ويحك ما هذه الأبيات. . فأنشدها إياها. . فقالت له: اكتب شعراً:

هيجت بالقول الذي قد قلن لي داء بقلبي لا يزال كمينا
قد أينعت ثمراتها من طيبها وسقمنا من الهوى فروينا
كذب الذين تقولوا يا سيدي إن القلوب إذا هويت هوينا

فقالت له: دونك الأبيات، وإذا كان في غد تجد هناك الكبار. . قال: فدفع لها البدرة، ورجع إلى هارون، فقال له: ويحك من قال هذا. .؟. . قال: عنان جارية الناطفي. . فقال: خلعت الخلافة من عنقي إن باتت إلا

---

(١) رواه الترمذي في المناقب برقم /٣٨٩٢/، والحاكم في المستدرك برقم ٢٩/٤. . .

عنـدي. . فبعث إلى مـولاهـا، فـاشتـراهـا بثـلاثين ألفـاً، وبـاتت تلك الليلة عنده. . .

١٣٧/أ ● ـ قال: عن عبد الرحمن، / عن أبي جابـر، قال: حـدثنا فقـال: كنا في مجلس فيه قينات، ومعنا أبو نواس، فخمش واحدة منهن، وقرص خدها، فـرفعت إليه بصـرها، وقـالت له: أحسبـكَ تحب الحرام. . فقـال لهـا: ومن حرمك عليّ. . ثم أنشد يقول:

قـالت حـرام تبتغي وصـالنـا   من حـرم النـاس على النـاس
نـحـن جـمـيـع مـن بـنـي آدم   هـل حـرم الـورد على الآس
قـلت فـمـن حـلل هـذا لـكـم   قـلت عـلي وابـن عـبـاس

● ـ قال: عن ابن محمد الفـارسي، قال: سمعت المبـرد يقول: كـان عبد الله بن المفتري في عنـوان شبابـه يهوى جـارية لعمتـه عائشـة بنت جعفر المتوكل، فقصد يومـاً، وبعث إليه المـوفق هدايـا، وبعثت عائشـة بهدايـا مع الجارية، فلما رجعت الجارية، كتب ابن المعتز لها رقعة:

على يد هذه الجارية نسألك قبلة   فـظننت وليس ذا فعل من يعشق
وقد تملقتها زماناً فما بها ينفع التملق   فخاصمتها وعاتبتها بالله يا عمة الموفق

فأجابته عائشة:

فهمت شكـواك حـين تـشكـو   ولـيس في ذلـك بـالـمصـدق
قـد خـبـرتـنـي فـإن فـاهـا   بفيـك طـوال الـزمـان ملصق
فـاحفظ لهـا مـا رزقت منهـا   فـليس كـل الـعـبـاد يـرزق

● ـ قـال: حـدثنـا محمـد بن سـلام، قـال الحـارث بن عـوف بن أبي جارية، لخارجةَ بن سنان بن أبي خارجة، قال: أنزلني أخطب إليّ واحـدة، / فيـزوجني. . قال: نعم. . قـال: ومن ذاك. . ؟. . قال: أوس بن الحـارثة بن حـاتم الطائي. . فقـال الحارث لغـلامه: ارحـل بنا. . ففعـل. . فركبنـا حتى انتهينا إلى أوس بن حارثة، فوجـداه في منزلـه، فلما رأى الحـارث بن عوف، ١٣٧/ب

قال: مرحباً بك يا حارث.. قال: وبك.. قال: ما جاء بك..؟.. قال: جئتك خاطباً.. قال: لست هناك..؟.. فانصرف ولم يكلمه.. ودخل أوس على امرأته مغضباً، وكانت من عبس، فقالت: من الرجل الذي وقف عليك، فلم تطل ولم تكلمه.. قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري.. قالت: فلم لم تستنزله.. قال: إنه استحق.. قالت: وكيف ذلك..؟.. قال: جاءني خاطباً..!!.. قالت: أفتريد أن تزوج بناتك..؟.. قال: نعم.. قالت: فإن لم تزوج سيد العرب، فبمن [تزوجهن]... قال: قد كان ذلك.. قالت؛ إذاً فتدارك ما كان منك.. قال: وماذا [أقول]...؟.. قالت: تقول: إنك لقيتني وأنا مغضب بأمر لم يقدم فيه قولاً، فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ولك عندي ما أحببت.. فاستعجل.. فركب في أثرهما...

قال خارجة بن سنان: فوالله إننا لنسير إذ حالت منّا التفاتة، فرأيته، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غمًّاً.. فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا.. قال: وما نصنع به، امض.. فلما رآنا لا نقف عليه، صاح: يا حارثة ارجع عليَّ.. فوقفنا له، فكلمنا بذلك الكلام، فرجع مسروراً...

قال: فبلغني أن أوساً لما دخل منزله، قال لزوجته: أدع فلانة، لأكبر بناته، فأتته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عوف قد جاءني خاطباً راغباً، وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين..؟../ قالت: لا تفعل.. قال: ولِمَ..؟.. قالت: إني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة، ولست بابنة عمه فيرعى حسبي، وليس بجارك فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني فيطلقني، فيكون ذلك ما فيه.. قال: قومي بارك الله فيك، أدع لي فلانة، ابنته الوسطى، فدعتها.. فقال لها: مثل قوله الأول، فأجابته بمثل جواب أختها الكبرى. وقالت: إني حمقاء، خرقاء، ولست أهل صنعة بيدي، ولا آمن أن يرى مني ما يكره، فيطلقني، فيكون علي من ذلك مما تعلم، فليس بابن عمي فيرعى حقي، وليس بجارك في بلدك فيستحي.. فقال:

١٣٨/أ

قومي بارك الله فيك، أدع نهيشة الصغرى، فأتت.. فقال لها كما قال لأختيها.. فقالت: أنت وذلك.. فقال: إني قد عرضت ذلك على أختيك، فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما.. فقالت: أنا الجميلة وجهاً، الصانعة يداً، الرقيقة خلقاً، الحسيبة أباً، فإن طلقني فلا أخلف الله تعالى عليه بخير ـ قال: بارك الله فيك، ثم خرج إلينا، فقال: قد زوجتك يا حارث نهيشة بنت أوس. قال: قد قبلت.. فأمر أمها أن تهيئها، وأن تصلح من شأنها، ثم أمر ببيت، فضرب به وأنزله إياه، ثم خرج إليه فقال له: أفرغت من شأنك..؟.. قال: لا والله.. قال: وكيف..؟.. قال: لما مددت إليها يدي.. قالت: مه، عند أهلي وأخوتي، هذا والله لا يكون.. قال: فأمر بالراحلة.. فارتحلنا ورحلنا بها معنا.. فسرنا ما شاء الله سبحانه وتعالى.. ثم قال لي: تقدم.. فتقدمت، وعزل بها عن الطريق، فما لبث أن لحقني.. فقلت: أفرغت..؟.. قال: لا والله.. قلت: فلم..؟.. قال: [لما مددت يدي إليها][1].. قالت: أو كما يفعل بالأمة الجليبة السبية الأخيذة، لا والله حتى ننحر الجزور، ونذبح الغنم، وندعو العرب، وتعمل ما يعمل لمثلي.. قلت: والله إني لأرى/ لك همة وعقلاً، والله لأرجو أن تكون المرأة نجيبة إن شاء الله تعالى.. فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل والغنم، ثم دخل إليّ.. فقلت: أفرغت..؟.. قال: لا والله.. قلت: وكيف..؟.. قال: [لما مددت يدي إليها][2]، قلت: لقد أحضرنا من المال ما تريدين.. فقالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما لا أراه فيك.. قلت: وكيف..؟.. قالت: أتتفرغ لنكاح النساء، والعرب تقتل بعضها بعضاً، وذلك في حرب عبس وذبيان، قلت: فتقولين ماذا.. قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم، وأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتوك.. فقلت: والله إني لأرى لك همة وعقلاً، ولقد قلت قولاً.. فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم

١٣٨/ب

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...
(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، ثم يؤخذ الفضلاء منهن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجل الذكر، ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات. . .

● ـ وذكر ابن الكلبي أنه هوى امرأة، فاستهام بها، حتى لم يعد يُعرف له خبر، فزعمت بني مرة أن الجن استطاره، فأدخلته بلادها، واستخلفته لكرمه. . .

● ـ قال: وذكر أبو عبيدة أنه كان قد هرم حتى بلغ مائة وستين سنة، فهام على وجهه خرفاً، ففقد. . .

● ـ قال: وزعم لي شيخ من علماء بني مرة، أنه لما خرج لحاجته في الليل، ابتّعد، فلما رجع ضلَّ، فهام طوال ليلته حتى سقط فمات. . وتبع قوم أثره، فوجدوا/ أثره، ووجدوه ميتاً. . فرثاه زهير بقوله: ١٣٩/أ

إن الرزية لا رزية مثلها ... ما تبتغي غطفان يوم أضلت

إن الركاب لتبتغي ذا مرة ... بجنوب محل إذا الشهور أجلت

بتعيين خير الناس عند شديده ... عظمت مصيبة هناك وجلت

ومدافع ذاق الهوان فلعن ... وأحبت عقده حيله فانحلت

● ـ قال: وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قلّة الجرذان. . فقال: ما أحسن هذه الكناية، املأوا لها بيتاً خبزاً ولحماً وسمناً. . .

* * *

وصايا وأمثال

٧٩ ـ لا تركننَّ إلى النِّساءِ وعُدَّهنَّ مِنَ الأَجَانِب

● ـ قال: أوصى بعض الحكماء ابنه، فقال: يا بني لا تستكثر من النساء، فإنهن أصل العيوب، والجالبات للركوب، واعلم أن صبرك عنهن أخير من صبرك عليهن...

● ـ وقيل: إن صحبة النساء، والإفراط في الجماع، يفسد: الرأي، والعقل، والبدن، والفكر...

● ـ وقال آخر: الإفراط في محبة النساء، ومخالطتهن، تلهي عن الدين، وتمنع عن النسك...

● ـ وقال آخر: الإفراط في مخالطة النساء، وحب الجماع، يضعف البصر، وتخلو بالبدن، وتسرع بالهرم، وتضر بالدماغ والعصب، وتسقط القوة، وتطفىء الحرارة الغريزية، ويقل نشاط البدن، وتسيء الهضم في المعدة، وتضر الكبد، وتفسد الدم، وتيبس الأعضاء الأصلية، وتذهب بنضارة الوجه، ويورم الصدر والرئة، ويقصر العمر، وتنهك الجسم، وتضعف الحواس، وتفسد العقل.. هذا إذا استعمل على موجب الشريعة ومقتضى السنة، فإذا استعمل على خلاف ذلك، اقتضى مضاره المقدم ذكرها.. / ١٣٩/ب

العار، والفضيحة، وسقوط الجاه، وضياع المال في الدنيا، والعقاب في الآخرة...

● ـ وقال بعض الحكماء: إن كثرة الجماع تبعث على محبة النساء، وإن محبة النساء تلهي وتطغي وتجعل الحر عبداً...

● ـ وقيل: لا مصيبة أعظم من الجهل، ولا شر أشر من النساء...

● ـ وقيل: العجز يُعرف في ثلاثة خصال: قلة اكتراث في المصلحة، وقلة المخالفة في الشهوة، والقبول من المرأة فيما لا يعلم...

● ـ وقيل: من أراد أن يؤتى على طلب الحكمة، فليكن على دفع تمليك النساء قادراً...

● ـ وقال بعض العلماء: ما رأيت أغلب للرجاء ذوي العقول من النساء...

● ـ وقيل: ست خصال لا تحسن في ست خصال: الظلم في الأمراء، والحرص في الفقراء، والسفه في الأشراف، والبخل في الأغنياء، وقلة الصبر على الضعفاء، وقلة الحياء في النساء...

● ـ وقيل: لا تصحبن سلطاناً ولو أطاعك في جميع الأمور، ولا تخلو بامرأة ولو كانت من أزهد النساء، ولا تتكلم بكلام اليوم تندم عليه غداً...

● ـ وأوصى رجل ولده، فقال: يا بني، اعص هواك والنساء واصنع ما شئت...

● ـ قال الأصمعي: قال أبو موسى: جاءت امرأة إلى رجل تدلّه على امرأة يتزوجها، فقال لها: لما أتيتيني تكلميني في امرأة موصوفة بالجمال فقد أصبت لها، ولكن.. والله لزواجها ما اشتهيت، إلا أن احتملت مني ثلاث خصال، فأنشد:

فمنهن عجز لا ينادي وليدة ورقة إسلام وقلة مال

● ـ وقال آخر لامرأته: يعجبني منك عند الجماع، حياء الكلام وموت النظر. . .

● ـ وقال: سُئل أعرابي: ما عندك للنساء. .؟. . فأشار إلى ذكره. . .

● ـ وقال آخر في زوجته:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قريب السوء بات معمر

فيا ليتها جاءت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه منكر ونكير

● ـ وقال/ يزيد بن عميرة في أمة له: ١٤٠/أ

أعاتبها حتى إذا قلت أقبلت إلى الله لا رجعة لها فتعود

فإن طمست قادت وإن طهرت زنت فتلك التي يزنى بها وتقود

● ـ وقال الحطيئة يهجو أمة له:

تنحي فاقعدي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا

حياتك على ما علمت فسق وموتك قد يسوء الصالحينا

● ـ وقال بعضهم: إذا قال لك أحدهم أني تزوجت نصفاً، فاعلم أن شر النصفين بقي في يده. . وأنشد:

وإن أتوك فقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفيها الذي ذهب

● ـ وفي حكمة داود عليه السلام: وجدت في الرجال واحداً في ألف، ولم أجد واحدة في جميع النساء. . .

● ـ وقالت الحكماء: لا تنهى المرأة عن شيء إلا فعلته. . .

● ـ وقال في ذلك طفيل الغنوي:

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واقع لا بد مفعول

● ـ قال: وطلق رجل امرأته، فقالت له: أبعد خمسين سنة. .؟!. . فقال لها: والله ما لك ذنب عندي أعظم من هذا. . .

● ـ وكـان الهيثم بن علي، يحب العريـانة بنت الأسـود، وهي ابنة عم له، فطلقها، فتبعتها نفسه، فكتب إليها يعرض لها بالرجوع، فكتبت إليه:

إذا كنت ذي حاجة فاطلب بها بدلاً إن الغزال الذي ضيعت مشغول

● ـ وعن الهيثم بن علي، عن ابن عبـاس رضي الله عنـه، قـال: كـان يجلس يخـاطبهن، وكـانت امـرأة من بني سلول تُخـطب، وكـان عبـد الله بن عـاصم السلولي يخطبهـا، وكان إذا دخـل عليها الشـاب، وأقبل عبـد الله بن هند، قالت/ للشاب: تم لك النهار، وأقبلت على عبد الله تحدثه بحديثها. . ١٤٠/ب ثم إن الفتى تزوجها، فلما بلغ ذلك عبد الله بن هند، أنشد يقول:

أودي بحب سليمى فـإنـك طعن بحبـه منطوٍ مـا بين أحجـاري
إذا رأتني تـقـد بيـني وتـجعـله في النار يا ليتني المجعول في النار

● ـ وحكى الأصمعي فقـال: قـال أعـرابي لـرجـل: لا تـتـزوج أربعـة نسـوة، فإن كـل واحدة تـأخذك بحمـاهـا، وأنت وحـدك كحـالـك معي، ولا تـتزوج بثلاثة نسوة، فإنهن كالإماء تصير بينهن فيلومونك، ولا تـتـزوج باثنتين ضرتين فتكون بينهما بين شرين، ولا واحـدة فإنـك تحيض إذا حاضت، وتلد إذا ولدت، وتمرض إذا مرضت. . فقال: قد نهيت عن كل ما أمر الله سبحانه وتعـالى به، فسقط في يـده. . ثم فكر الأصمعي وقـال: قرصـان، وكـوزان، وطهران، وعبادة الرحمن. . .

● ـ وعن الأصمعي أيضاً، قال: سمعت بعض الهـلاليـين يقول لبنيـه: يا بني، لا تشتروا الغنم فإنها مال الرمة، ولا تشتروا البقر فإنها مال الذلة، ولا تشتروا الإبل فإنها رقوم الدم، وصـدقات الحـرائر، وسفن البـر، وفيهن قضاء الحقـوق، ولا تـتـزوجـوا المميتـات فـإنهن يضـربن على رؤوسكم بمن كـان قبلكم، وتـزوجوا المـطلقات فـإنهن أضعف النساء، وإنكم لتضـربـوهن على رؤوسهن بمن كان قبلكن. . .

● ـ قال: وعن مجدوع النميري أنه قال:

فلا بارك الرحمن في عرس أهلها | عشية زفوها ولا قبل من بكر
/ فما غرني الإخضاب بكفها | وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
أتوني بها قبل المحاق بليلة | فكان محاقاً كله ذلك الشهر
يا ليتهم زفوا إليّ مكانها | شديداً قصيراً ذا غرام من النمر

١٤١/أ

● ـ وقال آخر:

خزاك الله شراً من عجوز | ولقاك العقوق من البنين
فقد ملكت أمر بنيك حتى | تركتهم أدق من الطحين
فإن تخلو وأمرك لا تصولي | بمشتد قواه ولا متين
لسانك مبرد لا خير فيه | ودرك در جارية دهين

● ـ وقال آخر:

يادواء السحق في الغرب والشرق | أفقن فإن النيك أسخى من السحق
أفقن فإن الخبز بلا إدام يشتهى | وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
إذا كن ترفعن الخروق بمثلها | وإني بما يسترقع الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده | إذا احتاج منه يوم إلى الدق

* * *

قصص متفرقة في الحيل

١ ـ ● ـ قال: وأخبرنا أبو خليفة، قال: كان عند الشماخ امرأة من بني هزام بن السماك، فنازعته وادعت طلاقاً، وحضر معها قومها فأعونها أمرهم، فأعانوها، واختصموا إلى كثير بن الصلت، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أقعده للنظر بين الناس، وكان رجل من كندة، وعداده من جمح، ثم تحولوا إلى العباس وهم فيهم اليوم، فرأى كثير أن عليها يميناً، فألقوا في الشماخ اليمين، يحضرهم عليها، فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر رسول الله ﷺ، فانطلق كثير إلى المسجد، ثم التجأ إليه رجل/ اسمه تيم بن سليم بن منصور، فقال: ويلك يا شماخ، إنك لتحلف على منبر رسول الله ﷺ، ومن حلف به آثماً فليتبوأ مقعده في النار[1].. قال: فكيف أفعل..؟.. قال: فداك أبي وأمي.. قال: إني سأحلف ما هجرتم.. وردني وناجيني بذلك، فإني سأدفع عنك.. فلما وقع، ١٤١/ب

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف عبد عند هذا المنبر على يمين آثمة، ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار». رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام، باب: اليمين عند مقاطع الحقوق ٢/٧٧٩، برقم /٢٣٢٦/، وأحمد في المسند ٢/٣٢٩ و٥١٥، والحاكم في المستدرك ٤/٢٩٧، وقال الذهبي في التلخيص: حديث صحيح، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه، رواه ابن حبان، وأبي داود، وابن ماجة، ومالك، والشافعي، والبيهقي...

حلف كما قال له، وأقبل على كثير، فقال: ما أحرجتكم.. فقال له: ما عنيت غيركم، فأعد اليمين لنا عليه.. فقال: ما لي أنا وما له، وهل استحلفه إلا لكم، وما اليمين إلا واحد، انصرف يا شماخ، فانصرف وهو يقول:

أتتني سليم قضها وقضيضها ... تمسح حلمي بالبقيع سيالها
يقولون لي احلف ولست بحالف ... أخادعهم عنها لكيما أنالها
فلولا كثير نعم الله ما لهم ... لكننا فعلنا حجتك فعالها
ففرجت هم الموت عني بحلفه ... كما شقت الشقراء يوماً جدالها

٢ ـ ● ـ قال: حدثنا، كنا عند أمير المؤمنين المأمون، فدخل إبراهيم بن المهدي، فقال: يا عم، هل عشقت قط..؟.. قال: أي والله إنني اليوم لعاشق.. فقال:

ما لي لا أراك كالذي تقول ... وجه الذي يعشق معروف
لأنه أصغر منحوف كالذي تلقى ... وجثته كأنه المذبح معلوف

فقال: هو كما أقول يا أمير المؤمنين:

وقائل لست بالمحب ولو ... كنت حبال في بيت منذ زمن
أحب قلبي وما درى بدني ... / ولو درى ما أقام في السمن

١٤٢/أ

قال: فاجعل بيني وبينك حاكماً، جاريتك تتريف[1]، فوجه إليها بخادم يقول: تعالي فاحكمي بيني وبين عمي.. فقالت: فبماذا..؟.. فأخبرها الخادم.. فكتبت إليه: رب ما أقبح هذا، عاشقاً مستهاماً، ما ينفقا سمناً.. قلت: زوريني.. فقالت: عندها أنا والله إذا قاسى منا، إذاً يصلي وعليه ربهم، أنت تهواني وآتيك أنا.. قال: حكمت لي يا عم، ولها علي.. قال: جهلت معرفة الهوى، ولو علمت لحكمت لي عليك.. وكتب لها:

---

(١) تتريف: من مولدات البصرة، بارعة الحسن والجمال، بديعة الظرف، موصوفة بالكمال، وكانت تقول الشعر، وصفوها للمأمون، فاشتراها، فلما رآها وقعت في قلبه، فأنزلها في منزلة عريب ومؤنة، وقدمها على سائر حظاياه. انظر: أعلام النساء ١/١٧٢...

أن تكوني جهلت مافيّ من الوجد — وعـافـاك خـالـقي وابتـلاني
فـارحـميـني لا تبتـلي بـدائي — إن بي من هـواك مـا قـد بـرأني

٣ ـ ● ـ قـال: كان من حـديث عبد الله بن علقمـة، حدثني عـامـر بن عبد مناف بن كنانة: أنه خرج مع أمه وهـو إذ ذاك غلام يـافع دون المحتلم، وذلك لتزور جارة لها، وكانت لها ابنـة يقال لهـا: حبيشة بنت حبيش.. فلمـا زارتها ورأت عبد الله بن علقمة، أعجبته، ووقعت في نفسـه، فانصـرف وترك أمه عند جارتها، فلبثت عندها يومين، ثم أتاها عبد الله ليـرجعها إلى منـزله، فوجد حبيشة قد تزينت لأمر كان في الحي، فازداد بها إعجاباً، وانصرف بـأمه في غداة تمطر، فمشى معها، وأنشد يقول:

فـمـا أدري بـي أنـه لا درى — أصـوب القـطر أحسن أم حبيش
حبشيـة والـذي/ خلق البـرايـا — ومـا أنـا عنـدهـا للصب عيش

١٤٢/ب

قـال: فسمعت ذلك حبيشـة، فتغافلت عنـه، وكرهت قـولـه، ثم غشي عليهـا، فإذا هـو بطيء على ربـوة من الأرض.. فقال: بـالمنى أخبريني غيـر كاذبة، وما يريد سؤال الحق بالكـذب، أتلك أحسن أم قلب ابن أبيه، فـأسأل حبيشة في عيني تفي إربي.. قال: فزجرتـه أمه.. فقـالت: ما أنت، وهـا أنا مـزوجتـك ابنـة عمـك، فهي أجمـل من تلك.. قـال: وأتـت امـرأة عمـه، فأخبرتها خبره، وقالت: زيني ابنتك له.. ففعلت، وأدخلتها عليه، فلما رآهـا أطـرق.. فقـالت لـه أمـه: أيهمـا الآن أحسن..؟.. فقـال: إذا غيبت عني حبيشة من الدهر مرة، لم أملك عراة ولا صبر، كـأن بالحشـا حر يحشـه وقود بالفضاء والقلب ملتهب...

قال: وجعل يراسل الجـارية وتـراسله، حتى علقته كمـا علقها، وأكثـر قول الشعر فيها، فمن ذلك قوله:

حبيشة هل وجدي ووجدك جامع — شملكـم شمـلي وأهلكـم أهلي
وهـا أنـا ملتف بثـوبـك مـرة — بصحراء بين الأليتين إلى النخـل
ومـرتشف من ثغر ريقـك مـرة — كراح ومسك خالطاً عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره، حجبوها عنه مدة، وهو يزداد غراماً به وبها، ويكثر من قوله الشعر فيها.. فأتوا، فقالوا لها: إذا أتاك فقولي له: أنشدك الله إن أحببتني، فإني والله ما على الأرض شيء أبغض إليَّ منك، ونحن بالقرب منك نسمع ما تقولين.. فواعدته، وجلسوا قريباً يسمعون، وأقبل علقمة، فلما دنا منها، دمعت عيناها، والتفتت/ حيث أهلها جلوس، فعرف أنهم بالقرب، فرجع، ثم بلغه بما أمرت، وهابه أن تقول ذاك الكلام الذي علموها إياه، فعاد وأنشد يقول:

١٤٣/أ

ولو قلت ما قالوا أردت جوا جوي ... على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك في حبي نوال بدا له ... فيسلبني عند التجلد والهجر
وما أنسى من أشياء لم أنس دمعها ... ونظرتها حتى يغيبني القبر

٤ ـ ● ـ قال: وضُرب البعث على رجل من الكوفة، فخرج إلى أذربيجان، فأفاد جارية وفرساً، وكان مليكاً يأتيه عم له، فكتب إليها ليغير بها:

ألا بلغوا أم البنين بأننا غنينا ... وأغنينا الغطارفة المجد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى ... وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذه لأيام العدو وهذه لحاجة ... نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه، وقرأته، قالت: يا غلام، هات الدرة.. ثم كتبت جوابه:

ألا فاقرأ مني السلام وقل له ... غنينا وأغنينا الغطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقرهم نفساً ... بأوغر هي خوالفه الجند
إذا شئت أغناني غلام مرجل ... ونازعته في ماء معتصر الورد
وإن شاء منهم ناشيء ما أكفه ... إلى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم ... شهودفتقضونهاعلى النائي والبعد
فعجل علينا بالسراح فإنه ... منانا ولا ندعو لك الله بالود
فلا فقد الجند الذي أنت فيهم ... وزادهم الله بعداً على بعد

فلمـا ورده كتابهـا، لم يزد على أنـه ركب الفـرس، وأردف الجـاريـة، ١٤٣/ب ولحق بهـا، وكان أول شيء بـدأها بعـد السلام، أن قـال لها: بـالله هل كنت فـاعلة..؟.. فقـالت: إن الله في قلبي أعـظم وأجـل، وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك.. فكيف ذقت طعم الغيرة.. قال: فـوهب لها الجارية، وانصرف إلى بعثه...

٥ ـ ● ـ قال: وذكر ابن العربي في كتابه المعروف ـ الفتوحات المكيـة ـ قال: إن امرأة مـاتـت، فلما قـاموا في أمـرها، أحضـروا لها الغـاسلة، فلما جردتها من ثيابها، ووضعتها على المغتسل، ورفعت الغـاسلة يدهـا، وضربت بها على فرج المرأة، وقالت: قبحك الله من فرج ما أزناك...

قال: فالتحمت يدها بالفرج، واجتهد الناس بـأسرهم أن يخلصـوها من فرج المرأة الميتة، فلم يقدروا على تخليصها، واجتمع الفقهاء، واختلفوا في هذه الواقعة...

فمنهم من قال: تقطع يد الغاسلة...

ومنهم من قال: فرج الميتة أولى...

قـال: فقالـوا: كما يؤذى الحي، يؤذى الميت أيضـاً، وبقوا على ذلـك زماناً، وهم لا يدرون ما يصنعون.. قال: وكان الإمام مالك ابن ثمـاني عشرة سنة، وهو يلعب مع الفتيان، فلما سمع بـذلك أتى إليهم والنـاس مجتمعين، فأخبروه الخبر، فقال لهم: اجلدوا الغاسلة ثمانين جلدة، فإن يدها تخلص.. فجلدوهـا ثمانين جلدة، فخلصت يـدها، لأنهـا كانت قـاذفـة، وحـد القـذف ثمانون جلدة.. لقوله سبحـانه وتعـالى: **﴿وَالَّذِينَ يَـرْمُونَ الْمُحْصَّنـاتِ ثُمَّ لَمْ يَـأْتُوا بِـأَرْبَعَةِ شُهَـداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـانِينَ جَلْدَةً﴾**[1].. فمن ذلك اليـوم سُمي فقيهاً، وهي أول فتوى أفتى بها...

* * *

(١) سورة النور ـ الآية ٤...

قصص متفرقة في المكر والدهاء

٨٠ - فَلَهُنَّ فـي المَكْرِ الخَفي مَنَاقِباً بَيْنَ المَنَاقب

١٤٤/أ /١ - ● - قال: كان عمرو بن أبي ربيعة جالساً يغني في فناء مضربه وغلمانه حوله، إذ أقبلت امرأة مبرزة عليها أثر النعمة، فوقفت وسلمت.. فرد عليها السلام، فقالت له: أنت عمرو بن أبي ربيعة..؟.. فقال لها: أنا هو، فما حاجتك..؟.. قالت له: حياك الله وقربك، هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً، وأتمهم أدباً، وأشرفهم حسباً، وأتمهم خلقاً.. فقال: ما أحب إليَّ إلا ذلك.. فقالت: على شرط.. فقال: ما هو..؟.. قالت: تمكنني من عينيك حتى أعصبهما وأقودك، حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد، عندئذ أحلل الشد، ثم أفعل بك ذلك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك.. فقال: شأنك.. ففعلت به ذلك...

قال عمرو: فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت، كشفت عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أرَ مثلها قط جمالاً وكمالاً.. فسلمت وجلست.. فقالت: أأنت عمرو بن أبي ربيعة..؟.. قلت: أنا عمرو.. قالت: أنت الفاضح للحرائر..؟.. قلت: وما ذاك جعلني الله فداك..؟.. قالت: ألست القائل:

قالت وعيش أخي ونعمة والدي لأنبهن الحي إن لم تخرج

فخرجت خوف يمينها فتبسمت | فعلمت أن يمينها لم تحرج
فتناولت رأسي لتعرف مسه | بمخضب الأطراف غير مشنج
فلثمت فاها وأخذت بقرونها | شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ثم قالت: قم فاخرج عني.. ثم قامت من مجلسها، وجاءت المرأة فشدت عيني، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي، وانصرفت وتركتني، فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن/ الله تعالى أعلم به، وبت ليلتي، فلما أصبحت إذ أنا بها.. فقالت: هل لك من العود..؟.. قلت: شأنك.. ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى موضع، فلما دخلت إذ بتلك الفتاة على كرسي، فقالت: إيه يا فضاح الحرائر.. قلت: بماذا جعلني الله فداك..؟.. قالت: بقولك:

١٤٤/ب

وناهدة الثديين قلت لها إنك | على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة | وإن كنت قد كلفت ما لم أعود
فلما دنا المصباح قالت فضحتني | فقم غير مطرود وإن شئت فازدد

ثم قالت: قم فاخرج عني.. فقمت وخرجت، ثم رددت.. فقالت لي: أوشك الرحيل، وأخاف الفوت، وإني محبة لمناجاتك والاستكثار من محادثتك، لأقضيتك، هات الآن كلمني، وحدثني، وأنشدني.. قال: فكلمت من أعلم الناس بكل شيء، ثم نهضت هي وأبطأت العجوز، وخلا لي البيت، فأخذت أنظر فإذا أنا بشيء فيه خلوف، فأدخلت يدي فيه، ثم خبأتها، وجاءت تلك العجوز فشدت عيني، ونهضت بي تقودني، حتى إذا صرت على باب المضرب، أخرجت يدي وضربت بها على المضرب، ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني، فقلت: أيكم يقضيني على باب مضرب عليه أثر خلوف كأنه أثر كف، فهو حر وله خمسمائة درهم، فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم.. فنهضت معه، فإذا أنا بالكف طرية، وإذ المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فأخذت في أهبة

١٤٥/أ الرحيل، فلما نفرت، / نفرت معها، فبصرت في طريقها بقباب ومضرب وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقيل لها: هذا عمرو بن أبي ربيعة، فساءها الأمر، وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قولي له أنشدك الله والرحم أن لا تفضحني.. فقالت العجوز: ويحك، ما شأنك وما الذي تريد..؟.. انصرف ولا تفضحنا، واضبط دمك.. فقال: لست بمنصرف أو توجّه إليّ قميصها الذي يلي جسدها.. ففعلت، ووجهت إليه بقميص من ثيابها، فزاده ذلك شغفاً، ولم يزل يتبعهم ولا يخالطهم حتى إذا صاروا على أميال من دمشق، فانصرف، وقال في ذلك:

ضاق الغداة بحاجة صدري ... ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علقتها ... عرضاً فيا لحوادث الدهر
ممكورة ردع العبير بها ... جم العظام لطيفة الخصر[1]
وكأن فاها عند رقدتها ... تجري عليه سلافة الخمر

٢ ـ ● ـ ومما نقله ابن الجوزي: أن زبيدة أخذت يتيمة فربتها، وكانت من بعض بنات جوارها، وكانت فائقة في الحسن والجمال والأدب والعقل.. فعلمتها القرآن الكريم، والخط.. فلما بلغت مبلغ النساء سلمتها زبيدة مفاتيح خزائنها، وأحسنت إليها غاية الإحسان، وبلغ من أمرها أنها حكمت وتملكت، وما كانت تخالف أمرها، فأحضرتها زبيدة يوماً من الأيام بين يديها، وقالت لها: قد أحسنت لك غاية الإحسان، وأريد أن أتمها عليك، وأن أزوجك بمن تختارين/ أنت بنفسك ويعجبك حتى لا يبقى عليّ ملامة، فإن ١٤٥/ب النساء يردن من الرجال الجمال والشباب والحسن، كما يردن الرجال من النساء، وإن الصورة الجميلة تشرح صدر من يصحبها، وقد أذنت لك أن تنزلي في شوارع بغداد كل يوم في محل أنت والقهرمانة وخادم صغير.. فسكتت الصبية.. فقالت: لا بد من هذا.. ثم إن القهرمانة أخذتها ونزلت

(١) ممكورة هي المرأة الحسناء المرتوية الساقين والمدمجة الخلف، والعبير: أثر الخلوف...

تدور في أسواق بغداد، فبقيت ثلاثة أيام تلازم النزول، فلما كان في اليوم الرابع وقع نظرها على صبي، أول ما بدا العذار بخده، وهو كما قال فيه الشاعر:

دب العذار على ميدان وجنته حتى إذا هم أن يسعى بها وقفا
كان كاتبه عز المداد به أراد أن يكتب لاما فابتدا فاها

قال: ولم يكن في عصره أحسن من صورته وجماله، فلما نظرت إليه الصبية، قالت للقهرمانة: يا خالتي أريد هذا الصبي.. فقالت لها: حباً وكرامة...

قال: وجلست على دكانة، واستعرضت فيه مما شاء، ونظر الصبي إلى الصبية فسلبت عقله، وكان القماش يساوي مائتي دينار، وكان الشاب بما غلب على قلبه حب الجارية لم يسألهم من أنتم، وأخذت القهرمانة القماش ورفعته إلى دار الخلافة، وأعلمت زبيدة بذلك.. فقالت لهم زبيدة: إن أول نظرة لا يؤخذ بها، ولكن النظرة الثانية لك.. فأخذت القهرمانة الذهب ونزلت الجارية معها، ودفعت الدراهم إليه، وأخذت قماشاً غيره يساوي ثلاثمائة دينار، ولم يقل لهم شيء، وكان أكثر القماش الذي دفعه لهم لجيرانه...

قال: فغابت عنه أسبوعاً كاملاً، والصبي قد اشتغل قلبه بالصبية، فلا يعرف النوم، وجيرانه يطالبونه بثمن/ القماش... ١٤٦/أ

قال: ومن كثرة ما زادوا في وصف الغلام، قالت زبيدة: لا بد أن أحضره، وأنظره، وأشاهد الذي يصفونه بكمال الحسن من قبل أزوجها حتى أشاركها في النظر...

قال: فنزلت القهرمانة وحدها، وأخذت الذهب معها، وقالت له: لا نكون قد أبطأنا عليك بالذهب، فقد عرض علينا شغل عاقنا عنك، ودفعت إليه الذهب، وقالت: لا يكون قد اشتغل قلبك بذلك.. فقال لها: أنا مملوكك، فبحق الله عليك يا ستي من بيت من أنتم، وهذه التي كانت معك،

جارية أم بنت ناس هي..؟.. قالت: أتحب أن أزوجك إياها..؟.. قال: نعم إن أردت.. فقالت: هي جارية الخليفة.. فلحق الصبي الرعب وندم على ما تكلم به وخاف.. فقالت العجوز: لا بأس عليك، قم واسبقني إلى سوق الصناديقية، واجلس في المسجد الذي هناك.. فسبقها إلى المسجد، فلما وصلت إليه وقد أحضرت صندوق، قالت للفتى: اجلس فيه.. فجلس الصبي فيه.. فأقفلت عليه بقفل، واستدعت حمال، وقالت: ارفع هذا الصندوق إلى دار الخلافة.. فلما وصلت به إلى الدهليز الأول، قال البواب: ما في هذا الصندوق..؟.. قالت: إلى دار زبيدة.. قال: لا بد من الوقوف عليه.. قالت: لا تفعل فإنني مستعجلة.. قال: لا يحمل هذا الصندوق ولا يدخل حتى أنظر ما فيه.. فزعقت في الحمال أن يضعه بين يديه، وألقت إليه المفتاح، فبال الصبي لما سمع، فلما رأت البول/ قد خرج من الصندوق، أمسكت ثوبها وجذبته وشقته ولطمت على وجهها، وقالت: قد أهلكت شيئاً بألف دينار، ولا زالت تلطم وجهها حتى جرى الدم من منخريها، فلما رأى البواب ذلك خشي على نفسه، فألقى إليها المفتاح، فقالت: والله لا بد للسيدة أن تضرب رقبتي ورقبتك. فقال: خذيه وانصرفي ما بقيت افتحه.. فلما وصلت إلى دار الخليفة، كان الخليفة خارجاً من دار النساء، والسيف بيده، فقال: ما في هذا الصندوق..؟.. فقالت: يا أمير المؤمنين، قماش للجواري.. فقال: لا يفتح حتى أُبصر القماش الذي هو فيه.. قال: وتركها أمير المؤمنين ومضى، فحملت الصندوق إلى بين يدي زبيدة، فأخرجوا الصبي من الصندوق، وأخفوه.. وملأوا الصندوق قماشاً، وأُقفل عليه.. فلما دخل الخليفة، فتحوا الصندوق أمامه، فأبصر القماش الذي هو فيه، وثمنَّ عليه، ودفع إليهم ثمنه، فأخذوا الذهب ودفعوه للصبي وقالوا له: اخطب الجارية من صاحب المخزن، فخطبها وزوجوه بها، وجهزها الخليفة بأبهى ما يكون من حلي وجواهر وأواني ذهب وفضة وزفوها إليه...

١٤/ب

٣ ـ ● ـ وقد حكي عن بعض الملوك أنه كان قد أبغض إليه البنات، وكان من تقدير الله سبحانه وتعالى أن ولدت له بنتاً، فسماها تحفة، وأخفاها

عن الناس، وكتم أمرها، وأنزلها في سرداب تحت الأرض، وأنزل معها الداية والمرضعة وجارية تصلح حالهم، ولم يروا فيها ضوءاً ولا منفذ هواء، وكان كل يوم يبعث إليهم ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس وغير ذلك. . .

قال: ثم رزق الملك ولداً ذكراً، فسماه طرفة، وسلمه إلى الخدم، وكان إذا حضر إلى عند أخته لم يفرق بينهما/ في الحسن والمنظر والشكل، ١٤٧/أ وأما الصبي فإنه نشأ أعجل ما يكون، فتعلم وكتب وحفظ القرآن وتعلم الصلاة، وكان من أشد الناس حرصاً على ما فرضه الله سبحانه وتعالى، فلما أدرك ولحق بالرجال، طلب من أبيه دستوراً إلى مكة حرسها الله تعالى، فأذن له في السفر، ولم يخالفه لقوة محبته له، وقدم له جميع ما يحتاجه من أموال وخدم ومحمل، فلما عزم على الرواح دخلت عليه أخته تودعه، فبكت وقالت: يا أخي بحق الله تعالى عليك خذني معك، وكان يحبها حباً شديداً، فطلب من أبيه دستوراً لها. . فقال له: خذها. . فنزل إليها وأخرجها، وأخذها معه، وأخرج لها جوار لصحبتها وخدمتها، ثم سافر حتى قدموا على مدينة، فدخل ابن الملك يدور فيها، فأذهل أهل تلك البلدة بحسنه وجماله، فرفعوا قصته إلى الملك، فأرسل بإحضاره، فلما مثل بين يديه، سأله عن حاله. . فقال له: من أين أقبلت. .؟. . وإلى أين تريد. .؟. . فقال له: أنا ابن الملك الفلاني، وأن أختي معي، وأنا طالب بيت الله الحرام. . فقال الوزير للملك: يكذب هذا العلق، إنما هو ابن مغنية، والبارحة كانت أخته عندنا تشرب معنا ونشرب عليها. . .

قال: وكان الوزير قد جهز غلامه على الصبي فسرق منديله، فبعثه إلى أخت الصبي، وطلب منها فردة السوار، فلما رأت المنديل عرفته، فأخرجت فردة السوار ودفعتها إليه، فأخذها الغلام ودفعها للوزير. . .

قال: فأحضرها الوزير أمام الملك، وقال للصبي: يا علق، هذه فردة سوار أختك أخذناها رهناً على الصحبة، فماذا تقول. .!؟. . .

١٤٧/ب قال: فأطرق الصبي رأسه، وقال: بلى.. فضربوا/ في رجله القيد، وأودعوه السجن...

قال: فبلغ أخته ذلك، فلبست ثياب أخيها، ودخلت إلى المدينة تدور فيها، فرأت للملك فصيلاً[1]، وكان الملك مغرماً به، وقد ألبسوه الأطلس والنسيج المعمول بالذهب، وفي عنقه حجارة الياقوت واللؤلؤ والأطواق والذهب في رأسه، وعليه عشرين من الحرس ليلاً ونهاراً، فتعجبت من ذلك، ثم إنها دخلت السوق، فرأت طباخاً أعجمياً، فنظر إليها فسلبت عقله، وهو يعتقد أنها غلام، فأجلسها على الدكان وقدم إليها طعاماً.. فأكلت.. فقال لها: تجيء معي إلى البيت الآن..؟.. فقالت: بحلمك، فأنا غريب، ومالي أحد إلا الله سبحانه وتعالى، ثم أنت، فإن كنت تحسن إليّ، فما أموت إلا تحت قدميك...

قال: ثم قالت: إن سمعت مني، سمعت مني وسمعت منك.. فقال: قل لي.. قالت: وتتفضل.. قال: نعم.. قالت: قم معي إلى فيصل الملك، وقد شرب الحراس الخمر، فننحره، ونأخذه إلى دكانك...

قال: فتسمر الصبي، وشد وسطه بفوطة، وقد قدم عليه جميع أهل البلدة يشترون منه، وكان قصد الجميع الفرجة عليه، وأي مبلغ يطلبه منهم يأخذه...

قال: وأما الفيصل، فقد أخبروا الملك خبره، فأخذ الحرس فصيلهم.. ثم إنه أُخبر بأن الطباخ عنده غلام له، وأنهما يبيعان لحم الفيصل...

قال: فأحضر الملك الطباخ والصبي، وكانت روح الملك معلقة بالفيصل، وما كان يصبر عنه ساعة واحدة، فقال الملك للطباخ: أنت عقرت

---

(١) الفصيل: ولد الناقة...

الفيصـل. . ؟. . قال: لا والله. . فقـال الصبي: أنا عقـرتـه. . فقـال الملك: ولِمَ فعلت ذلك. . ؟. . فقال: وقفت أتفرج عليه، وأنا صبي غريب، فضربني الحرس، فاشتهيت الانتقام منهم، وذلك لما فعلوا في حقي، وما كان لي بهم من قـوة غير الـذي صنعت. . فقال الملك: / أكنت وحـدك. . ؟. . قـال: لا والله، كنت أنـا والوزيـر. . فقال الـوزيـر: والله يكـذب، والله مـا رأيت هـذه الصـورة إلا هذه السـاعة. . فقـال الملك: وكيف اجتمعت بـالـوزيـر. . ؟. . فقال: رآني غلام في السوق، فوصفني له، فأنفذ الوزيـر خلفي، فشكوت لـه مـا لقيت من الحرس، فقـال لي: تبيت الليلة عندي، وأنـا أعقـر الفيصـل. . فبت عنـده، ونـال مني مـا أراد، وهجم الليـل، فقـام وأخـذني معـه، وعقـر الفيصل. . .

١٤٨/أ

قال: وكان للوزير مملوك يعز عليه، وكان قد رآه حامـل سيف الوزيـر، وقـد خرج في حـاجة، فلقي الصبي. . فقـال: أعطني السيف هـذا وأنا غـداً عندك. . فأعطاه السيف. .

قال: أيها الملك، فليس سـوى أن طاوعني على عقـر الفيصل، وهـذا السيف الذي له. . .

قال: فلما رأى الوزير سيفه، شق عليه ذلك، وتغير لـونه، وخـاف على نفسه من الملك، فقال الـوزير: والله لا إلـه إلا هو، إن هـذا الشخص الذي يقف أمامك ما رأيته سوى ساعتي هذه، ولا وقعت عليه عيني غير هذه الساعة فقط. . فقـال الملك: أليس هـذا هـو سيفـك. . فقـال: والله لا أعـرف لـه قضية. . .

قالت: فقالت الفتاة: يا ملك الزمان، لقد أنكرني الـوزير، وهـو يحلف بـالطلاق، وبـالمصحف الشريف وبـأجل الأيمـان، أنه مـا رآني سوى سـاعته هذه، فإذا حلف أقيم عليه البينة بحضور الملك إن شاء الله تعالى. . .

قال: فحلف الوزير بالطلاق، والعتاق، والمصحف الشريف، ورأس الملك، أنه ما رأى هذا الشخص إلا هذه الساعة فقط...

قال: فرفعت الفتاة رأسها إليه، وقالت: أيها الملك، ألم يقل الوزير أنه شرب عليَّ، وأنا بنت باكر، فأوقف عليَّ النساء فينظرونني...

قال: فلما سمع الملك كلامها، أمسك الوزير، ثم صلبه...

١٤٨/ب / ....

١٤٩/أ / ....[1]

١٤٩/ب ٤ ـ ●/ ـ قال: [وقع خلاف بين رجلين][2] في جارية كانت بينهما، فاختصما، وادعى كل واحد منها أن الجارية هي جاريته، وكان قد هجم عليهم الليل، وطلب كل واحد منهم أن تبيت الجارية عنده، وكل واحد منهم يمنع الآخر ذلك الأمر، فسمعوا مؤذناً يؤذن ويذكر الله سبحانه وتعالى في المنارة، فاتفقا على أنهما يودعاها عنده إلى الصباح، ويأخذاها من عنده ويتحاكما عليها، ومن يُحكم له في مجلس الحكم تكون له...

قال: فجاءا إلى المؤذن وطرقا عليه باب المنارة، فنزل إليهما، فقالا له: إن هذه الجارية بكراً، وقد اختلفت أنا وصاحبي عليها، وامتنع كل واحد منّا أن تبيت الجارية عند الآخر، وقد رأينا أن نحتكم غداً في مجلس الحكم، فلما رأيناك تذكر الله سبحانه وتعالى في هذا الليل، علمنا أنك من أهل الخير، فأتينا إليك نودع هذه الجارية إلى الغد، ولا تسلمها لأحد منّا إن لم يكن صاحبه معه، لا إليَّ ولا له إن لم نأتك نحن الاثنين.. فقال المؤذن: مبارك لكما...

---

(١) بياض في الأصل بمقدار: [١٤٨/ب] و[١٤٩/أ].

(٢) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى...

قال: ثم أخذ المؤذن الجارية، ودخل بها المنارة، وراودها عن نفسها، ثم افتضها، ثم أخرج رأسه من المنارة، وصاح وهو يقول: أيها الناس ما بقي في أحد خير قط.. فرفع الناس رؤوسهم، وقالوا: ما شأنك أيها المؤذن..؟.. فقال: قدم عليّ رجلان، وتقولا عليّ واختصما عندي ومعهما جارية، وقد ذكروا أنها بكر، وأودعاني إياها، ووالله لقد وطئتها بنفسي، واختبرتها فوجدتها ثيّباً، أيها الناس، ما بقي عند أحد أمانة ولا صدق، أي شيء يكون أعظم من هذا.. أيها الناس: اشهدوا غداً بذلك إذا حضرا لأخذها.. فقالوا: مبارك.. ولنا في هذا المعنى شعر:

يا سادتي دونكم ما قد دهيت به — فقضى هذه من أعجب العجب
ضاعت أمانات قوم لا خلاق لهم — /من بينهم عن طريق اللهو واللعب ١٥٠/أ
وقد حفظت الوفاء والعهد بينهم — واستوطنوا الغدر والتلفيق والكذب

٥ ـ ● ـ قال: كان يَسَارُ الكواعب عبداً أسود يرعى لأهله إبلاً، وكان معه عبد يراعيه، وكان [لمولى](1) يَسَار بنت، فمرت يوماً بإبله وهي ترتع في روض معشب، فجاء يَسَار بعلبة لبن فسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فبتسمت ثم شربت، وجزته خيراً، فانطلق فرحاً حتى أتى العبد الراعي وقص عليه القصة، وذكر له فرحها وتبسمها، فقال له صاحبه: يا يَسَار، كُلْ لحم الحوار، واشرب من لبن العشار، وإياك وبنات الأحرار.. فقال: دَحِكَتْ لي دحكة لا أخيبها، يقول: ضحكت لي ضحكة...

قال: ثم قام يَسَار إلى علبة فملأها وأتى بها ابنة مولاه، فنبهها، فشربت، ثم قامت واضطجعت، وجلس يَسَار حذاءها.. فقالت: ما جاء بك..؟.. فقال: ما يخفى عليك ما جاء بي.. فقالت: وأي شيء هو..؟.. قال: دحكك الذي دحكت إليّ.. فقالت: حياك الله...

---

(١) ساقطة في الأصل وإثباتها يقتضي السياق لإتمام المعنى..

ثم قامت إلى سفط لها، فأخرجت منه بخوراً ودهناً، وتعمدت إلى موسٍ، ودعت بمجمرة، وقالت له: إن ريحك ريح الإبل.. وهذا دهن طيب، فوضعت البخور تحته، وطأطأت كأنها تصلح البخور، وأدخلت يدها وقبضت على ذكره، وكان يرى أن ذلك شيء لذيذ، فإذا بها تمسك الموس وتقطع مذاكيره.. ثم قالت: صبراً على مجامر الكرام.. فذهب مثلاً...

٦ ـ ● ـ قال: عتب المأمون على جارية من جواريه، وكان بها كلف، فأعرض عنها، وأعرضت عنه، وأسلمه العراء، وأقلقه الشوق، حتى أرسل إليها يطلب مراجعتها، فأبطأ عليه الرسول، فلما رجع، أنشد يقول:

بعثناك مرتداً ففزت بنظرة	وأغفلتني حتى أسأنا بك الظن
وناجيت من أهوى فكنت معذباً	فيا ليت شعري عن ذنوبك ما انثنا
ونزهنا طرفاً من محاسن وجهها	ومتعت باستظراف نعمتها أذنا
أرى أثراً منها بعينيك لم يكن	لقد شرفت عيناك من وجهها حسناً
فيا ليتني كنت الرسول وليتني كنت	الذي أقضي وكنت الذي أدنا

قال: ثم إن المأمون أقبل مسترضياً لها، فسلم عليها، فلم ترد السلام، وكلمها فلم تجبه، فأنشد يقول شعراً:

تكلم ليس يوجعك الكلام	ولا يؤذي محاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام	ولكني بحبك مستهام
/بحق عليك أن لا تقتليني	فيبقى الناس ليس لهم إمام

١٥٠/ب

٧ ـ ● ـ قال: وقال رجل: أردت أمراً، فقلت: لاستبشرت بأول من يطلع عليَّ، ثم أعمل برأيه.. فكان أول من طلع عليه رجل قيسي راكباً قصبة.. فقال له: إني أردت النكاح، فما تشير به عليَّ..؟.. فقال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقرب، وخذ من الجود لا برمحك...

٨ ـ ● ـ قال: عن الفضل بن محمد، قال: خطبت امرأة من بني أسد في زمان زياد، وكانت النساء يجلسن لخطابهم.. قال: فجئت لأنظر إليها،

وبيني وبينها رواق، فدعت بجفنة من ثريد مظللة باللحم، فأتت على آخرها، وألقت العظام نقية، ثم دعت بالشن مملوء لبناً، فشربته حتى أكفأته على جبهتها، وقالت: يا جارية، ارفعي السحق، فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذ هي امرأة شابة جميلة.. فقالت: يا عبد الله، أنا كالأسد، ومن بني أسد، وعلى جلد أسد، وهذا طعامي، وهذا شرابي، فإن أحببت أن تتقدم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر، فتأخر.. فقلت: أستخير الله سبحانه وتعالى وانظر في أمري، فخرجت من عندها ولم أعد...

٩ ـ ● ـ قال: قال لي عبد الله بن جعفر: قال لي بعض بني هاشم: إنه رأى جارية لبعض ابن عمه، كأنها فلقة القمر تحت عبد أسود كالليل الدامس، وهي تقول له: يا سيدي، رأيت يومك ولا سمعت بفقدك...

قال: فقلت لها: فلانة.. قالت: نعم يا فلان، ولكن حال سروري / ١٥١/أ بمن ترى عن التفكر في ضرب المولى، وغدر أهل الدنيا، فما التفت إلى شيء من الحياء.. وبكت.. فقلت: يا زانية، تتباكين وتخضعين، أما تخافين الله..؟.. قالت؛ لا، لأنه جعلني أناك وجعله ينيك، وأوهب لي فأحسن، ووافق ما منحنيه من هذه الشهوة.. فعجبت من حسن احتجاجها، وجودة معانيها، فما تزيد وهي على تلك الحال...

* * *

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب في ختام شهر
شوال سنة (١٠١٧ هـ) ألف وسبعة عشر على
يد الفقير إلى رحمة الله، محمد بن أحمد
الصالحي، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه
وترحم عليه، وصلى الله على محمد وعلى
آل سيدنا محمد وسلم ورضي الله عن
أصحاب رسول الله أجمعين

الفهرس

مقدمة المحقق ٧

كتاب
ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار

مقدمة المؤلف ١٧
قصيدة ١٩
وصايا ٢٤
قصة آدم عليه السلام ٥٠
ذكر البكائين ٥٤
ذكر من خلق مختوناً ٥٥
ذكر تاريخ الأنبياء عليهم السلام ٥٦
قصة قابيل وهابيل ٥٧
قصة هاروت وماروت ٦٣
قصة نوح عليه السلام ٦٨
قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ٧٣

قصة صالح عليه السلام ٨٤
ذكر الموجب لقتل حمزة رضي الله عنه ٩١
قصة ذو القرنين ١٠١
قصة لوط عليه السلام ١٠٥
قصة جذيمة والزباء ١١١
قصة يوسف عليه السلام ١١٥
قصة يونس عليه السلام ١٢٧
قصة قارون ١٣٥
قصة بعلم بن باعور ١٤١
قصة الزاهد والبسوس ١٤٦
قصص متفرقة ١٤٨
قصة داود عليه السلام ١٥٠
قصص متفرقة ١٥٨
قصة سليمان عليه السلام ١٦٦
قصة يحيىٰ عليه السلام ١٧١
قصة خراب بيت المقدس ١٧٦
قصة شمشمون ١٨٤
قصة جريج الراهب ١٨٦
ذكر من تكلم في المهد صبياً ١٨٨
قصة الزباء ودير الزبيب ١٩١
ذكر أجواد الجاهلية الذي انتمى إليهم الجود ١٩٣
قصة برصيص العابد ١٩٧
متفرقات في مكر النساء ٢٠١
قصة إسحاق عليه السلام ٢٠٦
قصص متفرقة ٢٠٨
قصة الموءودة ٢١١

ذكر السبب الموجب لقتل البنات ٢١٣
قصة طالوت ٢١٥
قصة حمالة الحطب ٢٣٦
قصة أبو طالب ٢٣٨
قصة إنَّا زوجناك ٢٤١
ذكر أزواجه ﷺ ٢٤٦
قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٥١
قصة الحسن بن علي رضي الله عنه ٢٦٢
قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٢٦٥
قصص في نكث العهود ٢٦٨
قصة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ٢٧٤
قصص في شكوىٰ النساء ٢٧٥
قصص المحافظين والعابدين والزهاد ٢٨٦
قصص متفرقة ٢٩٨
قصص المرتدين ٣٠١
قصص القضاة ٣٠٦
طرائف وحكم في النساء ٣٢١
وصايا وأمثال ٣٣٤
قصص متفرقة في الحيل ٣٣٩
قصص متفرقة في المكر والدهاء ٣٤٤
خاتمة الكتاب ٣٥٦
الفهرس ٣٥٧